العولمة
والثقافة الإسلامية





د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى

العولمة

والثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

صدق الله العظيم

دار الأمين

طبع • نشر • توزيع

القاهرة : 24 شارع خيرت لاظوغلي - السيدة زينب

تليفون 3976098 010 002

فاكس : 3900130-00202

E-mail: darelamin-books@hotmail.com

ص . ب : 1315 العتبة 11511

الجيزة : 1 شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - تليفون : 5634699-00202

ص . ب : 1702 العتبة 11511

1425هـ / 2005م

رقم الإيداع : 18355 / 2004

ISBN : 977-279-423-3

(4F للكمبيوتر)

ت/ف : 5424630-00202

E-mail: gamal4f@hotmail.com

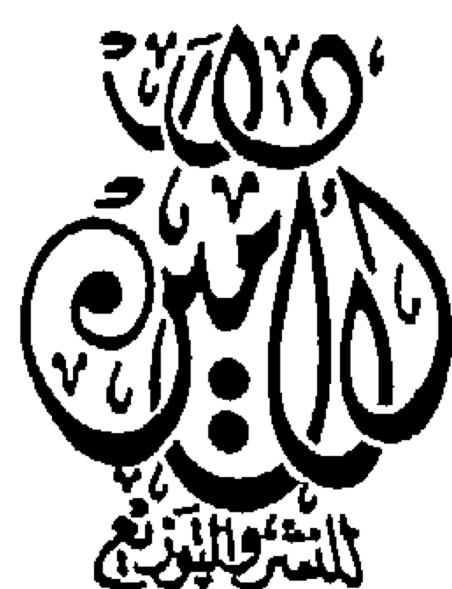
تصميم الغلاف : كرم شعبان

العولمة

والثقافة الإسلامية

دكتور

محمد الجوهري حمد الجوهري



المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كثر الحديث فى السنوات الأخيرة عن العولمة .

فما هى العولمة ؟

هل العولمة هى استعمار جديد ؟

هل العولمة هى الأمركة ؟

هل هى عولمة أم هيمنة ؟

هل هى حوار الثقافات .. أم صدامها ؟

هل العولمة هى تطور طبيعى للنظام الليبرالى الديمقراطى الغربى الحديث ، وهى تمثل فترة ما بعد الحداثة بعد انهيار الحداثة ؟

لقد حاولت فى هذا الكتاب أن أبين كيف بدأت العولمة وتعريف لها ومحاولة إبراز إيجابياتها وسلبياتها ثم مناقشة العولمة والثقافة الإسلامية وحقيقة العلاقة بين ثقافتنا العربية الإسلامية (الثقافة الإسلامية) والإسلام ، وهو : إنه لما كان الإسلام هو الرسالة الخاتمة فقد جاء شاملاً جميع جوانب الحياة ومنها جوانب الثقافة والحضارة ، أى أن الثقافة الإسلامية هى جزء من معطيات الإسلام ، وأيضاً الحضارة الإسلامية جزء من معطيات الإسلام . أما الفكر العلمانى الغربى فيعتبر المسيحية جزء من الثقافة العلمانية . وفى الفترة الأخيرة بدأت تغييرات حقيقية فى الفكر العلمانى الغربى إذ بدأت فئات من الشعوب الأوربية والأمريكية تعود للإيمان بالله ولكنه إيمان

لا يرتبط بالشعائر المسيحية فهو إيمان حر ينطلق من خلفية علمانية ويبحث عن أى دين ، فأعداد كبيرة تعود للمسيحية مثل اليمين الأمريكى ، وهناك من الأمريكيين والأوربيين من يدخل فى الإسلام وبعضهم يذهب للإيمان بالبوذية ، ولنا أن نتساءل : هل هى بداية انهيار العلمانية والهجمة الأمريكية علينا إحدى تجلياتها .. أم هى تخلى عن العلمانية والعودة للحروب الصليبية ؟

ومع أن العولمة لها أخطار فى مجالات الحضارة ، إلا أننا فى هذا الصدد سوف نهتم بالأخطار الثقافية للعولمة ، لذلك جاءت مناقشة العولمة والثقافة الإسلامية وإبراز المفاهيم الثقافية الإسلامية فى الأدب والفنون ، ومحاولة وضع نظرية للثقافة الإسلامية والنقد الإسلامى أطلقت عليها النظرية الثقافية الإسلامية ووضعت لها مقاييسها ومعاييرها التى نعاير بها الإنتاج الأدبى والفنى وحاولت أن أطبق هذه المعايير والمقاييس على بعض الأمثلة مثل الأدب الإسلامى والفنون الإسلامية ، وإبراز اختلاف الثقافات وعلاقتها بالاعتقاد الدينى .

وهى محاولة أعتقد أنها جديدة فى هذا الصدد .

وأتمنى من الله العلى القدير أن يوفقنا فى هذه المحاولة ويلهمنا الصواب ويهدينا إلى طريق الحق ، إنه نعم المولى ونعم المجيب .

دكتور

محمد الجوهرى حمد الجوهرى

E-mail : moh-goh@yahoo.com

الفصل الأول

كيف بدأت العولمة ؟

فى منتصف عام ١٩٨٠ كانت هناك مفاجأة صادفت علماء الاقتصاد والمفكرين تتعلق بالشركات عابرة القارات التى كانت موجودة من قبل ، ففى ذلك الوقت كانت هذه الشركات قد أعيد تنظيمها ، وأصبحت أكثر ليبرالية وحرية ، استجابة للمنافسة الشرسة بينها ، وفتحت حدود الدول أمامها لعبور رؤوس الأموال والتكنولوچيا مما أدى إلى زيادة الاستثمار الأجنبى المباشر وزيادة النمو والتقدم فى الدول التى دخلتها هذه الشركات .

إن فتح الحدود أمام الشركات عابرة القارات أدت إلى حرية انتقال رؤوس الأموال والأشخاص والتكنولوچيا والمعلومات . مما أدى إلى نشأة شبكة عابرة للقارات لمراكز متصلة بعضها ببعض تتولد فيها الثروة والقيمة . فكل شركة من هذه الشركات عابرة الحدود كان لها مراكز عديدة فى أنحاء العالم متصلة بعضها ببعض ، فالإنتاج كان يتم فى المكان الذى تكون فيه تكلفة الإنتاج منخفضة ، والتوزيع حيث يكون الإنتاج مطلوباً . وحرية الحركة أمام انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال والتكنولوچيا والمعلومات دون عوائق جمركية أو حواجز بيروقراطية سمح لهذه الشركات باستثمارات ضخمة فى البلاد التى تجد فيها تسهيلات موجودة ومناخ اقتصادى وسياسى مناسب وأرباح محققة. بعض هذه الشركات عابرة القارات والحدود لها شركات تابعة يبلغ عددها ثلاثة آلاف شركة منتشرة فى أنحاء المعمورة .

التقارير الدولية أشارت إلى تغييرات اقتصادية نوعية أحدثتها هذه الشركات عابرة القارات بعد أن أعيد تنظيمها وأصبحت أكثر حرية استجابة لمنافسات عظيمة

شرسة بينها . فمثلا فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين كان الاستثمار الأجنبى المباشر ينمو بالتوازى مع التجارة الدولية وكان يبلغ معدله ٢٪ إلى ٢,٥ ٪ أما فى الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٧ فإن الاستثمار الأجنبى المباشر كان ينمو نمواً سريعاً بلغ معدله السنوى ٢٠,٧ ٪ . وكان معظم هذا الاستثمار الأجنبى المباشر الإضافى مركزا فى الدول المتقدمة وقليل فى الدول النامية مثل بعض بلاد جنوب شرق آسيا .

التجارة الدولية هى الأخرى حدث لها تحولات نوعية حيث أعيد تركيبها تبعا للاستثمار الأجنبى المباشر وقد أدى ذلك إلى نمو كبير للتدفقات الرأسمالية الدولية . فمثلا فى سنة ١٩٩٧م فإن القيمة السنوية لمجموع التجارة العالمية والاستثمار الأجنبى المباشر كان يعادل ما يتم فى خمسة أيام فقط من تبادلات مالية بين الأسواق التى تحولت إلى أسواق كوكبية فى ظل العولمة .

تنبهت بعض الدول مبكراً إلى النمو السريع الغير مسبوق الذى تسببه المنافسة الكبيرة الشرسة بين شركات الأفراد والذى أوحت به ورسخته الشركات عابرة القارات ، فأسرعت بتصحيح هياكلها الاقتصادية والسياسية لتناسب حلبة التنافس الاقتصادى وغيرت من قوانين ونظم الاستثمار فى بلادها وفتحت حدودها أمام هذه الشركات العابرة للقارات وأمام الاستثمار الأجنبى وأمام الشركات الوطنية سواء كانت شركات أفراد أو شركات حكومية .

كانت دول جنوب شرق آسيا والتى أطلق عليها النمور الآسيوية من بين الدول النامية التى تنبهت مبكراً لأهمية اجتذاب رأس المال الأجنبى المباشر لأراضيها فأعادت هيكلة اقتصادها وفتحت حدودها أمام هذه الشركات لينتعش اقتصاد النمور الآسيوية فى مدة عقد واحد من الزمن . وحتى بعد الأزمة العنيفة التى حدثت فى جنوب شرق آسيا منذ سنة ١٩٩٧ فإن هذه الدول استردت عافيتها الاقتصادية سريعاً فمثلاً النمو فى ماليزيا وصلت نسبته إلى ما يزيد عن ١٠ ٪ فى سنة ١٩٩٩م .

تلك كانت بداية العولمة ، فالعولمة أساسا ظاهرة اقتصادية ولكن فى ذلك الوقت فى منتصف سنة ١٩٨٠م كان النظام العالمى القديم لازال موجودا والاتحاد السوفيتى كان موجوداً ، والحرب الباردة كانت موجودة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة - آية ٢٨٦

ومع أنه توجد عوامل عديدة أدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتى ، إلا أن النواحى الاقتصادية وخاصة ما حققته الدول الرأسمالية من تقدم تكنولوچى وازدهار اقتصادى ساعدت عليه الشركات عابرة القارات كان من أهم العوامل التى أدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتى فبعد ازدهار الاقتصاد فى الدول الرأسمالية والذى ساعدت عليه الشركات عابرة القارات - بعد تنظيم هياكلها وإطلاق الحرية لها وفتح الحدود أمامها - صارت الفروق الاقتصادية بين الدول الرأسمالية والاتحاد السوفيتى شاسعة مما ساعد على انهيار الاتحاد السوفيتى السابق .

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتفكك الكتلة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة لم يعد على الساحة إلا قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها من الدول الغربية والرأسمالية . فى ذلك الوقت اتجه بعض المفكرين فى أمريكا إلى الهجوم على الحضارات الأخرى وخاصة الإسلامية والحضارة الصينية اللتان رشحهما بعض الكتاب والمفكرين كعدوين بديلين للاتحاد السوفيتى الذى انهار . وظهرت سلسلة المقالات والكتب التى تتحدث عن صراع الحضارات ونهاية التاريخ وأن العدو هو الإسلام والإشارات المتكررة التى لازالت تركز على أهمية منازلة الأعداء وخاصة العدو الإسلامى والعدو الصينى .

والحقيقة أن كثيراً من منظرى الفكر الغربى الحديث يعتقدون أن التقدم يستلزم وجود المنافسة والصراع مع الخصوم والأعداء ، ومن هنا كان ترشيح الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية للنزال والصراع مع الحضارة الغربية العلمانية الحديثة واتخاذهما عدوين لدودين .

ولكن المفاجأة أن هذه الحضارات المرشحة كأعداء للحضارة الغربية العلمانية الحديثة لم تصمد أمام عنفوان وهيمنة أمريكا والدول الأوربية وحلف الأطلنطى .

ففى العالم الإسلامى : أجهضت تجربة الجزائر الديمقراطية بعد سيطرة الجيش الذى يخضع للفكر العلمانى الغربى على مقاليد الأمور وتم حل جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية والزج بقادتها وكوادرها فى السجون وانتشار الحرب الأهلية فى الجزائر .

وفى تركيا تمكنت أنياب الديمقراطية العلمانية التركية من احتواء حزب الرفاة الإسلامى التركى وكذلك حزب الفضيلة الإسلامى وذلك طمعا فى انضمام تركيا للاتحاد الأوربى الذى لن يقبل تركيا أبدا فى صفوفه مهما حاول الزعماء الأتراك العلمانيون ومهما حاول قادة الجيش التركى وذلك لاختلاف ثقافة المجتمع التركى عن ثقافة المجتمعات الغربية .

وكذلك تم عزل وتهديد واحتواء إيران ولبيبا والسودان والعراق وتم اختراع أو صناعة الإرهاب الذى أشعل حريقاً كبيراً فى كثير من بلاد العالم الإسلامى . وبعد ضرب العراق ومحاصرة ليبيا وترويع وتهديد السودان بالانقسام والتفتت واحتواء إيران، رأينا رئيس اندونيسيا المنتخب انتخاباً حرا عبد الرحمن عبد الواحد ، يمد يده لإسرائيل فى الأيام الأولى لولايته خوفاً ورعباً من تمزيق اندونيسيا إلى ولايات منفصلة أما الصين التى كانت هى الأخرى مرشحة كعدو للغرب والحضارة الغربية فقد تم احتواؤها بوسائل عدة مثل الانضمام لمنظمة التجارة العالمية .

وبعد أن تأهب حلف الأطلنطى للتدخل السريع ، بإنشاء قوات خاصة سريعة الحركة بهدف الإسعاف السريع فى عملية صراع الحضارات أصبحت هذه القوات لا تمثل جدوى كبيرة الآن بعد أن تلاشت السحب الحاجبة وتبخر العدو الوهمى وأصبح لا يمثل خطرا ذا شأن أمام هيمنة وغطرسة القوة الأمريكية وحلفائها الغربيين .

وظهر مايسمى الطريق الثالث بعد فوز الأحزاب الاشتراكية فى كثير من الدول الأوربية . واجتماع رؤساء الدول الكبرى فى أوربا بقيادة أمريكا لبحث الطريق الثالث واختفت الدعوات التى تروج لصراع الحضارات وحلت محلها الدعوة لحوار الحضارات.

وكان الرئيس الأمريكى چورج بوش هو أول من أعلن عن قيام النظام العالمى الجديد بعد تجمع هذا العدد الكبير من جيوش العالم ونجاحها فى تحرير الكويت من الغزو العراقى .

وتجلت ووضحت أهمية وخطورة تكنولوچيا الاتصالات والمعلومات وذلك من خلال التنافس الشرس بين الشركات عابرة القارات ثم من خلال حرب الخليج وتحرير الكويت من الغزو العراقى ، وظهرت أهمية وخطورة حرب الفضاء السوبرانى حيث يمكن الرؤية

والرصد ثم إصابة الهدف من بعيد دون خسائر فى الأرواح وخسائر لا تذكر فى المعدات وذلك بفضل ثورة الاتصالات والمعلومات .

عندئذ ظهر وانتشر مصطلح العولمة الذى كان فى بدايته ظاهرة اتخذت للتحليل الاقتصادى فى المجالات الاقتصادية ، ثم صارت مؤشراً لدراسة الاتصال بين الاقتصاديات والتدفقات الرأسمالية بين الدول وعبر الحدود . ثم انتشر مصطلح العولمة بين المفكرين والباحثين والكتاب الغربيين دون أن تتضح مدلولاته فى البداية ، ثم تناولته مراكز الأبحاث فى أمريكا والدول الرأسمالية .

وحتى الآن لازالت مفاهيم العولمة تتبلور وتتشكل على أيدى منظريها من المفكرين ومراكز الأبحاث فى أمريكا وأوربا ودول العالم المتقدم .

فالعولمة ليست نظرية ولكنها ظاهرة تعبر عن واقع جديد تكون فى العقود الأخيرة والذى يتمثل فى الشركات عابرة القارات ، وتهيئة اقتصاديات الدول للمنافسة ، وفتح الحدود أمام الأفراد والتقنيات ورؤوس الأموال ، ومنظمة التجارة العالمية وشروطها التى يجب أن تتبعها الدول التى تريد دخول الأسواق الكوكبية ، وثورة الاتصالات والمعلومات وشبكة الانترنت والقنوات الفضائية وأخيراً وجود قوة واحدة مسيطرة ومهيمنة على العالم وهى الولايات المتحدة الأمريكية .

والهدف الموضوع أمام مراكز الأبحاث فى الولايات المتحدة الأمريكية ودول العالم المتقدم هو كيفية تحويل هذا الواقع الجديد - والمتمثل فيما ذكرته سابقا - إلى مكاسب وسيطرة للثقافة والحضارة الغربية الحديثة بمفاهيمها العلمانية . فالعولمة أصبحت عولمات .. فهناك العولمة الاقتصادية : التى تعنى سيطرة مفاهيم الاقتصاد الرأسمالى وسيادته وانتشاره فى العالم .

والعولمة السياسية : وتعنى سيادة وانتشار مفاهيم النظام السياسى الليبرالى والمتمثل فى الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان .

والعولمة الثقافية : وتعنى البحث عما هو مشترك بين الثقافات المختلفة وعن إمكانية وجود ثقافة عولمية واحدة .

والعولمة الاجتماعية والعولمة فى مجال الخدمات والسياحة والفندقة وفى شتى مجالات الحياة المختلفة مع الأخذ فى الاعتبار أهمية سيادة وسيطرة النظرة العلمانية الغربية للحياة والطبيعة والإنسان وفى كل يوم تحمل لنا شبكة الانترنت معلومات جديدة ومفاهيم جديدة تفرزها مراكز أبحاث العولمة فى أمريكا والدول الغربية .

ففى أحد هذه المراكز (معهد العولمة وبحوث الإنسان) تدور آخر الأبحاث الآن للإجابة عن الأسئلة الآتية :

ما أهمية استمرار وجود الدولة فى ظل العولمة ؟

هل العولمة مفيدة أم ضارة ؟

هل العولمة أمركة نقية أم أمركة مختلطة ؟

هل يمكن الكلام عن ثقافة كوكبية واحدة ؟

ما معنى المناظرات المعاصرة فى الدراسات الثقافية عن مصطلحات الهجرة والدياسبورا (١) ؟

هل هناك فترات للعولمة فى التاريخ الماضى ؟

والسؤال الأخير أجاب عنه مركز آخر على شبكة الانترنت (٢)

بقوله : (إن الاقتصاد العالمى مارس مستويات من العولمة بين سنة ١٨٧٠م-١٩١٣م وهى الفترة التى يشار إليها بالعمر الذهبى للاقتصاد العالمى والتى انتهت بطريقة مختلفة) .

وقد أجاب عن هذا السؤال من وجهة نظر إسلامية الدكتور أحمد عبد الرحمن(٣) بقوله : (وإزاء الطرح الكثيف المتشعب لنظرية العولمة كان لابد من تناولها من وجهة

(١) الدياسبورا : اليهود فى الشتات أو اليهود المشتتون فى العالم .

(٢) سمنار عقده البنك الدولى مع مؤسسة بروكنج بواشنجتن فى جنيف فى الفترة من ١٤-١٥ يونيه ١٩٩٩ تحت عنوان « دور سياسة المنافسة على التنمية فى أسواق العالم التى هى بسبيلها للعولمة ». ونشر على شبكة الانترنت .

(٣) دكتور أحمد عبد الرحمن مقال : « العولمة - وجهة نظر إسلامية » كتاب « الإسلام والعولمة » الدار القومية العربية .

نظر إسلامية ، كأية ظاهرة جديدة تحدث فى حياة المسلمين . وأنا أزعم أن فى الإسلام عقائد وتعاليم تشكل مذهباً إسلامياً فى العولمة يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخرى ونقومها فى ضوئه .

فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة ، أو هو رسالة عالمية لكل الأجناس والأمم التى تعيش على كوكب الأرض . وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) ويقول جل جلاله عن القرآن الكريم : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾(٢) . ويقول سبحانه : ﴿ ... إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾(٣) وقد حاول المسلمون إبلاغ الرسالة الإسلامية إلى البشر فى كل أرجاء العالم فاعتنق الإسلام أقوام من الفرس والهنود والصينيين والأتراك والأفارقة والأوربيين والأمريكيين .

وعالمية الرسالة الإسلامية تستند إلى حقيقة بيولوجية أساسية يقررها القرآن الكريم ألا وهى أن كل الشعوب والقبائل البشرية ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ ا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٤) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٥) .

فبين شعوب الأرض كلها صلات رحم لأنهم ينتسبون إلى « نفس واحدة » – إلى آدم عليه السلام وزوجته التى خلقها الله تعالى « منه » – أى من آدم .

والرسالة الإلهية واحدة أيضاً وهى : الإيمان بالله تعالى ، الواحد الأحد الذى لا شريك له ولا مثيل له وتعبيد الخلق له وحده دون غيره . والأنبياء والرسل من – آدم عليه السلام – إلى محمد صلى الله عليه وسلم – دعوا البشرية فى كل مكان وزمان إلى

(١) الأنبياء : آية رقم ١٠٧. (٢) الفرقان : آية : ١. (٣) الأنعام : آية ٩٠ .
(٤) الحجرات : آية ١٣ . (٥) النساء : آية ١ .

هذه الرسالة الواحدة المعينة . وإذا كان قد حدث نسخ فإنه لم يتجاوز بعض الشرائع التى جاءت بها . وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١) .

وقد جاءت هذه الرسالة السماوية العالمية الواحدة لكل البشر فى كل زمان ومكان بعقائد وشرائع وقيم أخلاقية تكفل لهم السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة وتحررهم من عبادة الطواغيت والأصنام ليعبدوا الله الواحد الأحد .

وهناك قيم مطلقة لا تتغير ولا تتبدل من زمان إلى زمان ولا من مكان إلى مكان ولا من أمة إلى أمة فهى قيم عالمية كوكبية ، وعلى رأس هذه القيم « العدالة » ولهذا كانت القوانين التى تتصف بالعدالة مطلقة ، يتلقاها البشر بالرضا والاحترام فى كل العصور ، والعدالة هى الأساس الأخلاقى للقوانين الدولية . وقد أثبتت القيم المطلقة مذاهب فلسفية معاصرة عديدة لعل أهمها مذهب نيكولاى هارتمان وماكس شيلر وأستاذهما إدموند هسرلم .

والجسد البشرى واحد فى تكوينه البيولوجى ولذلك كان الطب بشرياً عاما وعلوم الطب وعلوم الأدوية لم تخص شعباً دون غيره بل حدث اقتباس هائل بين أمم الأرض .

والشىء نفسه يصدق على علوم الفيزياء والكيمياء لأن الطبيعة المادية واحدة وكذلك التقنيات والصناعات المبنية على العلوم المادية عالمية عامة .

فهذه كلها عناصر « عولمة » لا يملك أحد إنكارها أو الاعتراض عليها وهى من وجهة نظر إسلامية حقائق عقدية وأخلاقية وتشريعية وبيولوجية وطبيعية .

وهناك مراكز تبحث فى علم الإنسان الثقافى ، ومراكز لأبحاث العولمة فى جميع المجالات مثل السياحة والفندقة والطيران والفضاء والسياسة والاقتصاد والثقافة ... ففى مركز علم الإنسان الثقافى يبحثون فى علم الأنثروبولوجيا الثقافية وهى طريقة دراسة الثقافات الكوكبية من خلال المشاركين من ثقافات مختلفة وهم يبحثون فيما هو

---

(١) الشورى : آيه ١٣ .

مشترك بين الثقافات المختلفة ووجه الاختلاف بينها مثل أبحاث فيلدورك فى الثقافة الأمريكية واليابانية ، ويبحثون فى نسبية الثقافات فليست هناك ثقافة متقدمة وثقافة متخلفة . وكل مجتمع له ثقافة مميزة ذات تركيب وراثى وقواعد اتصال معنوية ونظم للتفاعل الاجتماعى .

وفى مركز أبحاث العولمة وصناعة الفندقة تدور الأبحاث للإجابة عن أسئلة مثل:

الطبيعة الكوكبية وصناعة السياحة .

مانوع الاستراتيجية المطلوبة للتحول للعولمة فى مجال السياحة والفندقة ؟

ما هى الأبعاد الأربعة للطبيعة الكوكبية لصناعة الفندقة والسياحة ؟

دور رجال السياحة والفندقة فى الأسواق الكوكبية .

وهكذا فى بقية مراكز أبحاث العولمة تجرى الأبحاث فى شتى المجالات حتى تتبلور الملامح الكاملة للعولمة التى تهدف فى حقيقتها إلى سيادة وسيطرة المفاهيم الثقافية والمفاهيم الحضارية الغربية الحديثة ثم استمرار هذه السيادة وهذه السيطرة على مدار الأيام . فالهدف هو استمرار سيطرة وسيادة الثقافة الغربية العلمانية الحديثة وسيطرة وسيادة الحضارة الغربية فى المجالات التى هى سائدة ومسيطرة فيها على بقية الثقافات والحضارات فى العالم ، أما المجالات التى ليست لها السيادة والسيطرة فيها فالعمل على النجاح وتجنب الفشل .



الفصل الثاني

تعريف العولمة

هناك تعريفات عديدة للعولمة فى وسائل الإعلام وعلى شبكة الانترنت وفى كتابات المثقفين ، وهى تعريفات مختلفة لاختلاف الخلفيات الثقافية ولاختلاف الأيدولوچيات ومدى الفهم العميق للفكر الغربى الحديث .

فالبعض يعرف العولمة بوسائلها المختلفة ، والبعض يعرفها بنتائجها ، والبعض يعرفها بحقيقتها ومدلولها ، وهى كلها تعريفات تتفق على مضمون واحد ونتيجة واحدة ، وسوف يتضح ذلك فى السياق التالى :

أولا : من وجهة نظرى أن العولمة اسمها يدل عليها ، فبعد أن انتشر وسيطر وساد النظام الليبرالى الغربى الحديث على معظم بلاد العالم ، تطلع المفكرون وقادة الرأى فى أمريكا والدول الغربية إلى انتشار وسيادة وسيطرة الثقافة الغربية الحديثة والحضارة الغربية الحديثة على العالم .

فالنظام الليبرالى الغربى الحديث بشقيه السياسى والاقتصادى انتشر وساد وأصبح مسيطرا على معظم بلاد العالم وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وانفصال دوله وانتشار الليبرالية الحديثة فى جميع الدول التى كانت تنتمى إلى الاتحاد السوفيتى السابق .

والنظام الليبرالى الغربى الحديث الذى نشأ فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى هو وليد تاريخ طويل ، بدأ بمرحلة نقد الكنيسة فى أوربا ورجالها وسلطاتها السياسية والمالية وسلطاتها كمؤسسة عقائدية وامتدت فترة نقد الكنيسة الأوربية

وإظهار المآخذ عليها طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ثم تلى ذلك مرحلة الحروب الدينية التى عمت أوربا والإصلاح الدينى بقيادة مارتن لوثر ونشأة البروتستنتية والمذاهب الأخرى ثم كانت مرحلة الشك والإلحاد التى قادها الفلاسفة الفرنسيين أمثال لامترى وفولتير وديدرو ودالمبيرت وجريم وهلفشيوس ودى هولباخ وغيرهم ثم تبعهم الفلاسفة فى كل أنحاء أوربا فى الهجوم على الكهنوت والكنيسة ورجالها .. ونتيجة لذلك نشأت ثقافة غربية جديدة هى الثقافة العلمانية الغربية المادية الحديثة وأصبحت المادية الجديدة تمثل الاعتقاد الدينى فى هذه الثقافة ، كما نشأ وتبلور فكر اقتصادى سياسى جديد له مفاهيم علمانية هو النظام الليبرالى الغربى الجديد .

والنظام الليبرالى الغربى الحديث أو النظام الفردى أو النظام الحر هو نظام يعنى بحرية الفرد فالفرد له الأولوية القصوى فى هذا النظام وهو الغاية ، أما نظم الحكم فهى وسيلة من وسائل تحقيق الفرد لحرياته وغاياته التى يراها .

والنظام الليبرالى الحديث يتكون من شقين ، شق سياسى وشق اقتصادى :

الشق السياسى : هو النظام الديمقراطى وهو مفهوم خاص للديمقراطية مختلف عن ديمقراطية الإغريق والديموقراطيات القديمة ، وتمثله الديمقراطية الدستورية التى تضع حدودا على السلطات بحيث لا تطغى على المجال الخاص للأفراد. فالفرد فى النظام الليبرالى الحديث هو الغاية أما نظم الحكم فهى وسيلة من وسائل تحقيق الفرد لحرياته وغاياته ، والفرد له الحق بالتمتع بنوعين من الحرية فى هذا النظام :

النوع الأول : الحرية الفردية أو المدنية وهى استقلال الفرد وحريته والاعتراف له بمجال خاص يتمتع فيه بحريته ولا يجوز للسلطة التدخل فى هذه المجال أو التعدى عليه أو تجاوزه . وهو حق طبيعى للفرد اكتسبه بالمولد ويطلق البعض على هذا النوع من الحرية « الحقوق اللاصقة »، ونحن نعتبرها فى شريعتنا الإسلامية « هبة إلهية » أو « منحة إلهية » . وصيحة سيدنا عمر لازالت أصداءها تتردد حتى الآن فى جميع أرجاء العالم : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » .

النوع الثانى : من الحرية : هى الحرية السياسية وهى تعنى أن الفرد له الحق فى اختيار السلطة التى تحكمه ، واختيار الفرد للسلطة التى تحكمه يجعل هذه السلطة الحاكمة خاضعة للفرد بشكل ما فلا تجور ولا تتدخل فى حريته الشخصية ، وإذا اعتدت هذه السلطة الحاكمة على الفرد وحرياته فله الحق فى تغييرها واختيار غيرها.

والفكر الليبرالى الحديث يعتبر النوع الأول من الحرية (الحرية الفردية) هو الغاية ويعتبر النوع الثانى (الحرية السياسية) وسيلة لتحقيق الفرد لحريته بمعنى أن الفرد له الحق فى اختيار السلطة التى تحكمه حتى يحفظ استقلاله ويضمن عدم تعدى هذه السلطة الحاكمة على مجاله الخاص وحريته الفردية .

وهذا المفهوم للحرية إذا جردناه من مفاهيمه العلمانية سواء الحرية الفردية أو الحرية السياسية أى النوع الأول والنوع الثانى من الحرية مشتق ومستخلص من المفاهيم الإسلامية للحرية وهو نتيجة لتأثر الفكر الأوربى بالحضارة الإسلامية[1] فالنوع الأول من الحرية (الحرية الفردية أو المدنية) وردت فيه آيات كثيرة من القرآن الكريم : يقول المولى عز وجل فى كتابه الكريم : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾[2] ، ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[3] ، ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[4] ، ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[5] ، وغيرها من الآيات العديدة التى تبين هذا النوع من الحرية . التى أفاءها الله سبحانه وتعالى على عباده .

---

(١) د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى كتاب : « النظام السياسى الإسلامى والفكر الليبرالى » دار الفكر العربى ١٩٩٣م .

(٢) الغاشية. آية ٢٢ .

(٣) الزمر. آية ٤١ .

(٤) الكهف . آية ٢٩ .

(٥) يونس . آية ٩٩ .

ولما لهذا النوع من الحرية من أهمية فقد ذكرها المولى سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة من القرآن الكريم . أما النوع الآخر من الحرية وهو الحرية السياسية وحرية الأفراد فى اختيار السلطة التى تحكمهم فلم يذكرها المولى سبحانه وتعالى فى آيات القرآن الكريم ولم يرد فيها نص فى السنة النبوية الكريمة ولكنها تركت لاجتهادات المسلمين مع الأخذ فى الاعتبار النصوص التى أوردها الفقهاء فى الأشخاص المرشحين لتولى الحكم . وقد تطور النظام السياسى الإسلامى ليحمل هذه المعانى فى جمهورية إيران الإسلامية فى العقدين الأخيرين فهناك نظام حر فى اختيار السلطة الحاكمة ونظام برلمانى ونظام أحزاب مثلها فى ذلك مثل الدول الديمقراطية الغربية الحديثة . والاختلاف الوحيد عن النظم الأوربية الديمقراطية والنظم الديمقراطية الأمريكية هو المرجعية التى يدور فى ظلها نظام الأحزاب والنظام الديمقراطى . فالمرجعية التى فى ظلها تدور الحرية فى جمهورية إيران الإسلامية هى المرجعية الإسلامية والمرجعية التى فى ظلها تدور الحرية فى الدول الديمقراطية الأمريكية والأوربية هى المرجعية العلمانية .

الشق الاقتصادى : الشق الثانى من النظام الليبرالى الحديث هو الشق الاقتصادى والذى يتمثل فى اقتصاد السوق والحرية الاقتصادية وقوانين العرض والطلب ودافع المنفعة الشخصية .

ومع أن هذه الأسس الاقتصادية كانت من الممارسات الفطرية التى يمارسها الأفراد والجماعات والدول عبر التاريخ وفى كل مكان وزمان ، لكن آدم سمث هو الذى أبرز أهميتها بعد أن وضع كتابه (بحث فى طبيعة ثروة الأمم وأسبابها) وذلك سنة ١٧٧٦م وأكسبها المفاهيم العلمانية .

ساد النظام الاقتصادى الليبرالى العلماني وانتشر فى جميع أنحاء العالم ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفيتى أصبحت له السيطرة العالمية بعد أن تقلص الاقتصاد الماركسى والاشتراكى .

وفى النظام العولمى الجديد استجدت أشياء جديدة على الاقتصاد الليبرالى الحديث . وتتمثل هذه الأشياء الجديدة فى النظام العولمى الذى بدأ فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين فى :

عولمة الأسواق : وعولمة الأسواق تعنى أن الدولة التى تريد أن تدخل فى نظام العولمة الجديد يجب عليها أن تنضم إلى منظمة التجارة العالمية وتنفذ شروطها وقوانينها وقبل ذلك وبعده عليها أن تهيئ نظامها الاقتصادى وتحدّثه وتجعله ملائماً للمنافسة الحرة الشرسة فالقطاع العام يجب أن يتحول لقطاع خاص حتى يصمد فى تيار المنافسة الحرة . وفتح الحدود وقوانين الاستثمار الملائمة من أولويات متطلبات عولمة السوق حتى تستطيع رؤوس الأموال وشركات الأفراد والشركات عابرة القارات الدخول والخروج إلى الدولة بحرية تامة مما يستلزم مستويات واحدة من التماثل بين الأسواق حتى تكون المنافسة عادلة ومغرية للشركات عابرة القارات وشركات الأفراد والشركات الوطنية والاستثمارات الأجنبية ، فالمنافسة الحرة الشرسة فى أسواق متماثلة حتى تكون المنافسة العادلة هى الطبيعة الجديدة لنظام العولمة الاقتصادى .

لا شك أن المنافسة الحرة الشرسة فى النظام الاقتصادى أو جميع المجالات الأخرى تولد ثروة طائلة وتقدماً أكيدًا فى هذه المجالات . ومع أن هناك عدة عوامل أدت إلى نشأة العولمة مثل سيطرة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، ومثل الشركات عابرة القارات والثروات الطائلة التى حققتها للبلاد التى دخلتها بعد إعادة تنظيمها ومنحها حريات واسعة ، وغير ذلك من العوامل ، إلا أن سيطرة وسيادة النظام الغربى الليبرالى الحديث - وهو نظام اقتصادى سياسى - على العالم كان من أهم العوامل التى أدت إلى نشأة العولمة . وبالقياس عليه يمكن عولمة المجالات الأخرى فى الثقافة والحضارة العلمانية الغربية الحديثة - أى سيادتها وسيطرتها على العالم مثل النظام الليبرالى الغربى الحديث - وهو ما تقوم به مراكز الأبحاث الخاصة بالعولمة فى أمريكا والغرب .

وبذلك يتضح أن العولمة هى هيمنة وسيادة وسيطرة المجالات المختلفة للثقافة والحضارة العلمانية الغربية الحديثة - بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية - على العالم .

ثانياً : هناك تعريفات عديدة للعولمة .

فالرئيس الأمريكى بيل كلنتون عرف العولمة فى أحاديثه التى تنشرها وسائل الإعلام بأنها : عملية فتح الحدود للأفكار والمعلومات والإنسان والثروة والتكنولوچيا للعبور بحرية بين الدول .

وعرف ولف جانج هـ . رينيك[1] العولمة الاقتصادية بأنها (ظاهرة ذات مستوى واحد فهى تمثل تكاملاً ذا بعد عابر للحدود والقوميات لشركات فردية ذات تركيب هيكلى طبيعى وتصرف استراتيچى طبيعى) .

والتيار اليسارى العربى فى معظمه يقف موقف الرفض والمواجهة من العولمة ويقول إنها هيمنة وسيطرة رأسمالية أمريكية . يقول الدكتور إسماعيل صبرى عبد الله : (إنه فى ظل العولمة قد تمكنت الرأسمالية متعددة الجنسيات من الاستغناء - إلى حد كبير - عن بعض المهام الموكولة للدولة القومية منذ نشأتها ، فلم تعد الرأسمالية فى حاجة إلى قوات مسلحة ضخمة وقوية فعهد الفتوح والغزوات والاحتلال والضم قد انتهى والعبرة اليوم بالقوة الاقتصادية للشركة متعددة الجنسية التى تمكنها من دخول أى دولة ومد نشاطها إلى أنحاء متعددة من العالم ، وهى لا تواجه إلا احتمال المنافسة بين شركتين إلى اندماج أو انتزاع إحداهما السيطرة على الأخرى)[2] .

(١) ولف جانج هـ . رينيك فى الندوة التى عقدها البنك الدولى مع مؤسسة بروكنج يومى ١٤، ١٥ يونية سنة ١٩٩٩ ونشرت على شبكة الانترنت .

(٢) د. إسماعيل صبرى عبد الله . مقال فى كتاب « الإسلام والعولمة » نخبة من المفكرين - الدار القومية العربية . المقال للأستاذ محمد إبراهيم مبروك .

أما التيار الإسلامى فله موقف رافض للعولمة بمفهومها العلمانى الغربى . يقول الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى ندوة برئاسة الدكتور صلاح عبد المتعال : (فكما ترون العولمة تستند إلى مجموعة من القيم وهى فى الواقع قيم مادية تنفى الخصوصية الإنسانية ، تنفى الإنسانية كإنسانية وتحاول فى ذات الوقت أن تطرح رؤى تدور حول السوق ... تدور حول الكباريه ... تدور حول السوبر ماركت ... تدور حول السياحة) .

وهكذا .. أى أنها تدور حول القيم التى جوهرها الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى .

وأرجو ألا يفهم من هذا أننى ضد العولمة الحقيقية التى ننشدها ، ولكن إذا كانت تلك العولمة التى يدعون إليها تصل إلينا ولو كنا فى بروج مشيدة - على حد قول الدكتور صلاح عبد المتعال فى تقديمه للجلسة - فإننا على الأقل يجب أن نعرف أنها شبيهة بالموت ، فدعاة العولمة هؤلاء الذين شبهوا العولمة بهذه الصورة المجازية الرائعة يجب أن يدركوا أنهم شبهوا العولمة بالموت ، وإنها إن كانت فعلا حتمية فإننا يجب أن نعرف أنها طريق جهنم وليست طريق الجنة ... وقد نضطر للذهاب إلى جهنم فهذه تكون نهاية الكون التى يمضى إليها الغرب ولكن فى هذه الحالة يجب ألا نذهب إلى جهنم ونحن نعتقد أنها الجنة فهذا ليس سوى خداع النفس ... ولكن أعتقد أيضاً أنها ليست حتمية لأن المجاهد داخل الإنسان سينتصر بمشيئة الله وأن القيم الإسلامية من الممكن أن تحشد هذه الأمة لكى تقف ضد هذا الاتجاه المميت الذى يذيب الخصوصيات القومية والخصوصيات الدينية أيضا .. أى أنه اتجاه يعادى أى نوع من القيم سواء كانت قيم قومية إثنية أو قيم إنسانية دينية) (١) .

أما الأستاذ فهمى هويدى فيعرف العولمة بأنها مفهوم اقتصادى بالدرجة الأولى وأنها تعبر عن نفى الآخر وإحلال الاختراق الثقافى (الغزو الثقافى) محل الصراع الأيدولوجى(٢) ولكنه يرى أن لها عدة إيجابيات . أما الدكتور صدقى الدجانى فإنه

(١) المصدر السابق .

(٢) الأستاذ فهمى هويدى . عن العولمة الأهرام ٢/٥/٢٠٠٠ .

يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقاً من موقف آخر هو ثقتنا بعقيدتنا وتراثنا ولغتنا أى بحضارتنا الإسلامية التى تمثل جماع هذه العناصر الثلاثة وقدرتها على المواجهة ، وأن قيم حضارتنا الإسلامية ستنجح فى التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهى الدائرة الغربية ، لأن فى الإنسان نزعة للتطهر ، وهناك قيم فى داخل تلك المجتمعات تلتقى مع قيمنا ، ولذلك سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتى به العلمانية التى لا تنظر للإنسان إلا عن أنه مستهلك مادى ليس إلا[1] .

أما المتغربون والعلمانيون العرب الذين يؤيدون كل ما يأتى من الغرب - بخيره وشره - دون نقد أو مناقشة أو تمحيص ، فإنهم يؤيدون العولمة على طول الخط . ومن هنا يأتى تعريفهم للعولمة و موقفهم منها تبعا للفهم الغربى للعولمة ، بل هو أكثر صراحة وأكثر جرأة على المعتقدات والأعراف ومفاهيم هويتنا الثقافية الإسلامية .

يقول على حرب فى تعريفه للعولمة : (العولمة بمعناها الظاهر هى التبادل المعمم على المستوى الكونى) وبالإمكان عكس هذا التعريف للقول إن العولمة هى تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية . أنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية [2] .

ويقول فى بحثه تحت عنوان الهوية الثقافية ومأزقها : (... أصل من هذا إلى السؤال الأهم حول ماهية الهوية الثقافية . فى هذا الخصوص لا أقول مع بعض علماء الإنسان بأن الثقافة هى نظام مغلق من المعتقدات بل أقول بأنها مؤسسة لإنتاج المعنى تقوم على حجب ما تتأسس عليه من اللامعنى ، ولا أتعامل معها بمنطق أصولى صورى بوصفها ماهية صافية أو أصلاً ثابتاً ، وإنما أتعامل معها بوصفها أصلاً مكوناته هى

(١) مجلة الكلمة العدد ١٨ ص ١٤٣ (كتاب الإسلام والعولمة) .

(٢) على حرب . بحث له بعنوان (صدمة العولمة فى خطاب النخبة حول الهوية) فى المؤتمر الدولى الذى عقده المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ١٩٩٨م عن العولمة .

فروعه ، أو تركيبة يعاد تشكيلها على سبيل التطعيم والتهجين ، أو معنى يجرى انتهاكه على سبيل الصرف والتحويل)[1] .

والأستاذ على حرب هنا يخلط بين الثقافة والإنتاج الثقافى ولا يفهم المعنى الحقيقى للثقافة حتى بمفهوم الغربيين لها ، ويعتقد أنه يمكن تغيير ثقافة المجتمع مع أن ذلك ينطبق على الإنتاج الثقافى وليس الثقافة.. ثم يضيف الأستاذ على حرب : (... أما إذا كان المقصود بالهوية الثقافية تلك المنظومات العقائدية للأحزاب والفرق الدينية التى تمارس وصايتها على الحقيقة والشريعة ، إرهاباً واستئصالاً للبشر أو إعادة النساء إلى الحجرات والحجاب بعد مائة عام من السفور والحرية أو رفع المصاحف والتهديد بسلاح الردة لمنع الزواج المدنى بين الذكر والأنثى إذا كان المقصود ذلك فإن أنفع وأفضل ما تفعله العولمة حيث سيادة السوق ومعايير الانتقال للنقود والأفكار والمعلومات والناس ، هو فسح المجال لتفكيك تلك الهويات المتحجرة ، وعلى نحو يسهم فى كسر النرجسية الثقافية ، وتبديد الأوهام المتعلقة بنقاء الأصل وصفاء الهوية ووحدانية العقيدة).

وهو قول خطير يفصح عما يحمله بعض العلمانيين العرب فى نفوسهم تجاه هويتهم الثقافية وهم يترسمون خطى الأوربيين فى العصور الوسطى .

من ذلك يتضح أن التعريفات المختلفة للعولمة تحمل فى حقيقتها معنى واحد وهو أن العولمة اسمها يدل عليها ، فعولمة الاقتصاد تعنى جعل الاقتصاد الليبرالى الغربى الحديث يسود على العالم بعد إعادة هيكلته وإعداده للمنافسات الشرسة وبعد إعداد ظروف عولمية متماثلة للأسواق الحرة التى تتعولم .

وعولمة النظام الديمقراطى الليبرالى الغربى الحديث يعنى أن هذه الديمقراطية بمفهومها العلمانى الغربى تسود وتسيطر على النظم السياسية فى العالم .

(١) المصدر السابق . على حرب : باحث لبنانى .

وهكذا بقية مجالات الثقافة ومجالات الحضارة الغربية العلمانية الحديثة يجب أن تسود وتسيطر على العالم ، وفى حالة سيادتها وسيطرتها بالفعل مثل بعض مجالات الثقافة كالسينما الأمريكية مثلاً فيجب العمل على استمرار هذه السيادة وهذه السيطرة.

أما مجالات الثقافة ومجالات الحضارة التى يصعب السيادة عليها أو السيطرة عليها وإحلال المفاهيم العلمانية الغربية محلها - مثل نظام الديمقراطية الإسلامية فى جمهورية إيران الإسلامية ومثل تطوير الثقافة العربية الإسلامية بمفهومها الإسلامى الصحيح لأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى كما فعلت جمهورية إيران الإسلامية فى العقود الأخيرة - فيجب احتواؤها وعدم انتشارها ومحاولة تفشيلها والتعتيم الإعلامى عليها .



الفصل الثالث

وسـائل العـولمة

أقصد بوسائل العولمة : الشركات عابرة القارات بعد إعادة تنظيمها وجعلها أكثر حرية وانطلاقاً ، وفتح الحدود والأسواق أمامها حتى تتناسب إمكانياتها مع المنافسة الشرسة فى الأسواق الكوكبية . وأقصد بوسائل العولمة أيضاً وسائل الاتصال والمعلومات ، ومنظمة التجارة العالمية وعولمة الأسواق وكذلك النظام الإعلامى الدولى الجديد ومنظمات وهيئات الأمم المتحدة ومؤتمراتها فى العقد الأخير بل السنوات الأخيرة من العقد الأخير وأيضاً الهيمنة الأمريكية العسكرية والسياسية والاقتصادية والتكنولوچية .

وهذه الوسائل فى الحقيقة ظهرت إلى الوجود وباشرت مهامها ونشاطها فى الدول المتقدمة أولاً ثم فى بعض دول العالم الثالث مثل دول جنوب شرق آسيا ثانياً ، قبل أن تظهر إلى الوجود كلمة عولمة - وأقول كلمة عولمة ولا أقول مصطلح عولمة لأنها لم تصبح مصطلحاً بعد - ولقد استخدمت تعبير وسائل العولمة لأطلقه على هذه الشركات عابرة القارات ومنظمة التجارة العالمية ووسائل الاتصال والمعلومات والنظام الإعلامى الدولى الجديد والهيمنة الأمريكية ... التى يعتبرها البعض هى العولمة ذاتها . وسوف أتناول وسائل العولمة وألقى عليها الضوء فى السياق التالى :

أولاً : الشركات عابرة القارات :

فى ظل المنافسة الشرسة التى أوجدتها العولمة ، أصبحت الكيانات الكبيرة ذات ميزة نسبية فائقة ، ولذلك كانت الشركات العملاقة عابرة القارات ذات تأثير قوى فى اقتصادات الدول التى تعمل فيها .

فى الماضى كان من المعتاد أن الشركات تقوم بالإنتاج ثم يصدر هذا الإنتاج للخارج، وذلك لأن انتقال السلع للخارج كان أسهل وأسرع من انتقال رؤوس الأموال والعمالة ، ولكن عندما أصبح رأس المال سريع الحركة وخاصة بعد ثورة الاتصالات والمعلومات ، فإن انتقال رؤوس الأموال صار لحظيا بواسطة شبكة الانترنت ولذلك فالشركات عابرة القارات هى التى تقوم الآن بالانتقال إلى البلاد التى توجد بها عمالة رخيصة ومواد خام رخيصة وإغراءات للكسب وتحقيق الربح وتسهيلات اقتصادية وسياسية وقوانين استثمار جيدة وظروف للمنافسة عادلة ، فتنشئ المصانع فى هذه البلاد وتقوم بتوزيع الإنتاج إلى كل أنحاء العالم بواسطة شبكة فروعها الممتدة .

ومعظم الشركات عابرة القارات لها فروع عديدة فى القارات الخمس وبعض هذه الشركات يصل عدد فروعها فى أنحاء العالم إلى ثلاثة آلاف فرع . وكل شركة من هذه الشركات وفروعها تكون شبكة عظيمة من الثروة والقيمة ، تزيد من الاستثمار الأجنبى المباشر فى البلاد التى تعمل بها .

وأكبر ٥٠٠ شركة عابرة للقارات فى العالم الآن ، كما جاء فى إحصائية نشرتها صحيفة فايننشيال تايمز البريطانية[1] .

(أ) الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على اقتصاد العالم من خلال ٢١٩ شركة على رأسها « چنرال إليكتريك » التى يبلغ رأسمالها السوقى ٥٣٤ مليار دولار ، تليها شركة « سيسكو سيستمز » وشركة « أنتل » وفى الترتيب الرابع شركة « ميكروسوفت » برأسمال ٣٤٦,٧ مليار دولار .

(ب) أوربا تأتى فى المرتبة الثانية بعدد شركات ١٥٨ شركة .

(جـ) اليابان فى المرتبة الثالث بعدد شركات ٧٧ شركة .

(د) الشرق الأوسط كله لم يظهر فى قائمة أكبر ٥٠٠ شركة فى العالم إلا من خلال شركة واحدة فقط هى شركة « سابك » السعودية وترتيبها ٤٠٨ برأسمال سوقى ١١,٨ مليار دولار .

(١) ملخص سنوى لصحيفة فايننشيال تايمز نشر الخميس ٤ مايو ٢٠٠٠ ونشر بجريدة الأهرام ٢٠٠٠/٥/١٤ .

(هـ) شركات الكومبيوتر والانترنت تأتى على رأس الـ ٥٠٠ شركة وهذا يعكس مدى اعتماد الاقتصاد الدولى على شركات الاتصال والكومبيوتر مثل شركات أنتل وميكروسوفت وفودافون ونوكيا .

ومع أن عوامل كثيرة ساعدت على نهضة وتقدم ونمو النمور الأسيوية مثل ماليزيا واندونيسيا وكوريا وكمبوديا وغيرها من دول أمريكا اللاتينية مثل الإدارة الجيدة للاقتصاد ، وتهيئة الظروف الاستثمارية وقوانين الاستثمار وإعداد اقتصاد الدول وتأهيله وتنظيمه للمنافسة الحرة ورؤوس الأموال المتحركة الهائمة التى تنتقل بين البورصات لحظيا بواسطة الانترنت إلا أن الشركات عابرة القارات كان لها دور كبير أيضاً فى نهضة هذه الدول وذلك عن طريق المصانع والفروع التى أقامتها فى هذه الدول ، حتى بعد الأزمة التى ألمت بدول جنوب شرق أسيا فى عام ١٩٩٧م فإن هذه الدول نهضت سريعاً لأن اقتصاد هذه الدول وتقنياتها ومصانعها قد اكتسبت استقلالية فى التقدم التكنولوچى وأصبحت لها تكنولوچيا خاصة بها ، فالتقدم فى النمور الأسيوية ليس تقدما هشا ينكسر وينتكس عند أول أزمة يمر بها ، بل هو تقدم يرتكز على أسس علمية سليمة وأسس اقتصادية حرة سليمة وتكنولوچيا أصبحت مستقلة ، تعتمد فى تنميتها على العقول الوطنية ، وكل ذلك نتيجة لإدارة واعية ذات رؤية مستقبلية صحيحة .

ثانيا : وسائل الاتصال والمعلومات .

مثل التليفون والكومبيوتر والانترنت والتلفزيون والقنوات الفضائية . وهذه الوسائل قد أتاحت الحصول على المعلومات فى سهولة ويسر وخاصة شبكة الانترنت . والمعلومات التى يمكن الحصول عليها بهذه الوسائل لها تكنولوچيا خاصة بها تعرف بتكنولوچيا المعلومات . وتكنولوچيا المعلومات قطاع كبير مثل قطاع الزراعة وقطاع الصناعة وقطاع الخدمات .

والمعلومات تراكمية فهى تتجمع وتتراكم بواسطة المشاركة من الأفراد العاديين والعلماء والخبراء والفنيين فى المجالات المختلفة ثم تتوزع بالوسائل المختلفة المذكورة عاليه ، فهى تتجمع وتتراكم وتوزع بواسطة الانترنت والحاسب الآلى والتليفون .

ولتكنولوجيا المعلومات وصناعتها آثار هائلة فى المستقبل لا يمكن تصورها .

وللمعلومات ولتكنولوجيا المعلومات قيمة كبيرة فى التحقق والوصول إلى الصواب بسرعة فى الأمور المختلفة ، فهى تعنى قدرة الإنسان على اتخاذ أكثر القرارات فعالية، ولذلك فإن للمعلومات وتقنيتها آثار اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية على المدى البعيد .

ففى الدول المتقدمة والدول السائرة على درب التقدم ، فإن اعتماد الإدارات والهيئات فى الدولة على البرمجيات يؤدى إلى إنتاج برمجيات سياسية واقتصادية وثقافية وإدارية . والبرمجيات بجانب أنها جزء مهم من قطاع المعلومات ، فإنها أيضاً تزيد الإنتاج التقليدى فى مجال الزراعة والصناعة . ويجب أن نشير هنا إلى أن تكنولوجيا المعلومات خلقت اقتصاداً جديداً هو اقتصاد تكنولوجيا المعلومات ، أى أن هناك نوعان من الاقتصاد هما الاقتصاد التقليدى القديم وهو الاقتصاد الزراعى الصناعى أما الاقتصاد الجديد فهو اقتصاد تكنولوچيا المعلومات . والاقتصاد الجديد بجانب أن له ميزات كبيرة على الاقتصاد ككل ، فإن له أثر كبير فى سرعة نمو الاقتصاد التقليدى . الاقتصاد الجديد سوف ينمو فى السنوات العشر القادمة حتى يغطى مجالات الاقتصاد التقليدى كلها . وكثير من الدول حتى فى الدول النامية - يحاول الآن ميكنة الإدارة بهيئاتها ومصالحها وكثير من البنوك أصبحت الآن تستعمل الحاسب الآلى فى كل تعاملاتها .

وأحب فى هذا المجال أن ألقى مزيداً من الإيضاح عن الاقتصاد الجديد الذى صنعته تكنولوچيا المعلومات ، فالبعض فى الغرب يطلق عليه الاقتصاد الضبابى والاقتصاد الضبابى الجديد له ثلاثة مكونات :

الأول : سرعة التبادل بما يسمح بتفصيل المنتجات حسب رغبة المستهلك وليس إنتاجها نمطياً .

الثانى : سيادة شبكة المعلومات التى تحقق نوعاً من الارتباطية أو الشبكية بين جميع الأطراف المشاركة فى العملية الاقتصادية .

الثالث : نقل القيمة أو الثروة فى أشياء غير محسوسة هى المعلومات نفسها .

وفى هذا الاقتصاد ستضمحل الخطوط الواضحة بين الامتلاك والاستخدام ، بين المعرفة والتعليم ، بين الواقعى والخيالى ، بين الموظفين وأصحاب الأعمال ، وتسقط الفواصل بين البائع والمشترى ليتبادل الاثنان الأدوار فى توقيتات متقاربة وربما متزامنة.

إن التكنولوجيا العالية بفروعها المختلفة المتمثلة فى هذا الاقتصاد قد عملت على نقل مركز القوة فى جميع الأنشطة والعلاقات البشرية إلى الفرد الواحد ، وجعلت النجاح الحقيقى لأى منشأة أو مؤسسة أو دولة مرهوناً بقدرتها على مخاطبة احتياجات الفرد الواحد من المنتجات والخدمات ، وتلبيتها فى الوقت وبالشكل والمواصفات التى يريدها بأعلى قدر من الجودة والسرعة وبأكثر الأسعار معقولية .

التأثير الإفتراضى للمعلومات :

المعلومات تعتمد على العمل الذهنى ، ومنذ ظهور الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات إنتشرت أسماء جديدة ذات مدلولات جديدة مثل الفضاء السبرانى[1] والعالم السبرانى الذى هو عالم وهمى افتراضى ، والمجتمع المعلوماتى ، والمجتمع الافتراضى ، والواقع الافتراضى ، والديمقراطية الافتراضية أو الإلكترونية التى طبقتها بعض الدول فى الانتخابات عن طريق الإنترنت ، ففى البلاد المتقدمة حيث أن ٤٠٪ من السكان يملكون كمبيوترات واتصال بشبكة الإنترنت ، يمكن استخدام الشبكات والكمبيوترات فى عملية الاقتراع والاستفتاء بل فى الانتخابات العامة ، وقد أجريت تجارب لاستخدام الشبكة فى العملية الانتخابية والاستفتاء فى بعض الدول الأوروبية وبعض الولايات الأمريكية .

التأثير الافتراضى للمعلومات يشمل جميع مناحى الحياة ، ففى مجال الإدارة تقوم الدولة بميكنة وزاراتها وهيئاتها ومصالحها ، وتنجز أعمالها بصورة سريعة تقضى على الروتين وتيسر قضاء حاجات الناس ومصالحهم فى أسرع وقت . كذلك تقوم الشركات والمصالح والقطاع الخاص بميكنة أعمالها .

---

(١) كلمة سبرانى (cybernetique) تعنى الرؤية والسمع واللمس والمراقبة والتحكم والعمل من على بعد .

والأفراد ، والهيئات والحكومات بامتلاكهم لأجهزة كمبيوتر واتصال بشبكة الإنترنت يحققون نمواً سريعاً بحصولهم على المعلومات بسرعة ويسر ، كما يستطيعون أن يعبروا عن مفاهيم ثقافتهم فى مواقع خاصة بهم على شبكة الإنترنت بحرية و دون تدخل أو رقابة أو منع .

كما أن شبكة الانترنت بما تتيحه للفرد من إمكانيات المعرفة واللهو والثقافة والاتصال والتواصل مع الآخرين ، لا تجعل أمامه متسعاً من الوقت للحياة الاجتماعية والثقافية والروحية والتعبد مثل إقامة شعائر الصلاة والذكر وذلك نتيجة لانشغال الذهن باستعمال الكومبيوتر والتعود على حصول المعلومات فى شتى المجالات عن طريق الكومبيوتر كما أن كم المعلومات الكبير له تأثير كبير فى انشغال الذهن بهذه المعلومات مما سيكون له انعكاساته على حياة الفرد الاجتماعية وعلى ثقافته وعلى سلامة نفسه الروحية .

ولذلك يجب أن يسارع النابهون من أهل الفكر والإمكانيات بإنتاج أعمال فنية إسلامية وتحميلها على شبكة الانترنت والقنوات الفضائية وتحميل التراث وتفاسير القرآن الكريم وكتب علماء المسلمين الثقاة أمثال الشيخ يوسف القرضاوى[1] والشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ محمد الغزالى وغيرهم .

ويمكن إلقاء الضوء على الآثار الاجتماعية والثقافية الافتراضية التى يمكن أن يخلفها استمرار استعمال الكومبيوتر والانترنت للحصول على المعلومات عن أى موضوع فى السياق التالى :

١ - مع أن وقع الحياة الافتراضى يصبح سريعاً وحركة الإنسان وإنجاز أعماله وحصوله على المعلومات تصبح سهلة وسريعة إلا أن الشعور بضيق الوقت يصبح واقعاً يشعر به الفرد .

---

(١) الشيخ القرضاوى له موقع على شبكة الانترنت ويمكن أن يتصل به أى إنسان .

٢ - هناك فئتان من البشر يكونون مشغولين أكثر من غيرهم فى هذا المجال هما : عمال المعرفة وهم العاملون فى مجال تكنولوچيا المعلومات مثل المبرمجين والعاملين بالانترنت والحاسب الآلى والشبكات ، والهاوى الذى يمتلك حاسب آلى شخصى متصل بشبكة الانترنت . إن هاتين الفئتين يجب أن يتنبهوا إلى الأهمية القصوى للتريض والترويح عن النفس والحياة الاجتماعية السليمة والحياة الروحية والنفسية السليمة وفروض الصلاة والعبادات والذكر .

٣ - إن التنافس الشرس الذى أوجدته العولمة والذى هو سر النمو والتقدم ، سوف ينعكس أثره على المواقع الموجودة على شبكة الانترنت ، وسوف يعمل كل موقع على الشبكة - سواء كان شركة أو مؤسسة للتجارة الإلكترونية أو موقع لتسويق المنتجات والخدمات - على العمل فى جذب الزبائن ، والمنافسة مع المواقع المشابهة فى ذلك .

ولذلك سوف تكون هناك إغراءات سمعية وبصرية وسيكلوچية ، وإغراءات فى السعر والجودة .... مما سيدفع الأفراد إلى الانجذاب لمواقع لم يكونوا يقصدون الوصول إليها ، وسوف يلقى ذلك عبئاً إضافياً على الإنسان فى عصر العولمة . إن بعض هذه المواقع الجذابة على شبكة الانترنت تحمل فنوناً ومواد مختلفة مغايرة لثقافتنا الإسلامية حيث الانحلال والعرى والممارسات المحرمة ، لذلك يجب أن ننشئ مواقع جذابة على الشبكة تحمل فنوناً ومواد إسلامية تعبر عن مفاهيم ثقافتنا الإسلامية الحقيقة مثلما فعلت جمهورية إيران الإسلامية بإنتاج أفلامها الإسلامية التى غزت جميع أنحاء العالم ماعدا العالم العربى !.

إن بعض الفنون وخاصة الأفلام السينمائية التى تعرضها كثير من البلاد العربية والإسلامية ، لا تمثل مفاهيم هويتنا الإسلامية ولكنها تمثل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ، فيجب أن نتنبه إلى ذلك ، لأن عرض مثل هذه الأفلام على أساس أنها الممثلة لمفاهيم ثقافتنا العربية الإسلامية سيكون له آثار خطيرة ، ففى عصر العولمة لا يمكن قبول ذلك إطلاقاً لأنه سوف يقوض ثقافتنا العربية الإسلامية لتصبح مثل ثقافة الهنود الحمر فى أمريكا .

إن التأثير الخطير للغزو الثقافى فى عصر العولمة يختلف عنه فى العصور السابقة قبل اختراع الكومبيوتر والانترنت ، وغفلة المسلمين عن ذلك له آثار خطيرة لايعلمها إلا الله .

إن الإنتاج الثقافى الذى يمثل المفاهيم الصحيحة لثقافتنا العربية الإسلامية مفتقد الآن على وسائل العولمة مثل الانترنت والقنوات الفضائية والسينما والتلفزيون - فى جميع بلاد العالم الإسلامى ماعدا جمهورية إيران الإسلامية التى يفهم القائمون على صناعة السينما فيها معانى الثقافة جيداً .

فى عصر العولمة فإن إنتاج مواد ثقافية وإعلامية (- أدب - فنون - مسرح - سينما ....) من مفهوم إسلامى حقيقى ليس منوطا فقط بالحكومات ، فالأفراد يستطيعون أن يقوموا بالإنتاج الثقافى الذى يمثل المفاهيم الصحيحة لثقافتنا العربية الإسلامية ، دون رقابة أو تدخل من الحكومات ويضعونه على مواقع على شبكة الانترنت بطرق جذابه ودعاية فعالة . إن أى فرد يستطيع أن ينشئ موقعاً يمثل ثقافتنا العربية الإسلامية الحقيقية على شبكة الانترنت دون رقابة أو تدخل من أحد مثل الأدب الإسلامى مثلاً . إن عرض أمثال هذه الأعمال بمواقع على شبكة الانترنت سوف يثرى حياتنا الثقافية المستقبلية وسوف يدخل الإنتاج الثقافى الإسلامى حلبة المنافسة الكوكبية .

٤ - إن المعلومات عبر شبكة الانترنت لا تعرف الحدود . والعمليات التجارية عبر الانترنت أصبحت تجرى الآن بعيدا عن سيطرة الحكومات وبعيداً عن الضرائب التى تفرضها الحكومات . إن تحرك رؤوس الأموال لحظيا عبر الانترنت بين بلاد العالم لا يخضع لسيطرة أو تحكم أحد .

إن هذه المميزات التى اكتسبها الأفراد بواسطة شبكة الانترنت والاتصالات ، بعيداً عن سيطرة الحكومات ووصايتها ، أصبحت تؤرق بعض السياسيين وقادة الدول ، وأصبحت مناقشة الانترنت وشبكة الاتصالات من المقررات المعتادة فى اجتماع رؤساء الدول المتقدمة مثل مؤتمر قمة الثمانى الكبار الأخير .

إن حرية التواصل بين أفراد مختلفى الثقافات ، والأعراق والديانة والأيدولوچية دون وصاية من أحد أو سيطرة من نخب أو سيطرة من حكومات سوف يخلف وضعاً اجتماعياً لا يمكن التنبؤ بما سيصير إليه . إن عملية سيطرة ثقافة من الثقافات - وخاصة الثقافة الإسلامية - على شبكة الانترنت لتحل محل الثقافة العلمانية الغربية الحديثة أصبحت تؤرق الساسة والمفكرين فى بعض الدول الأوربية والأمريكية .

إن هناك دعوات فى الغرب تروج للانتماء إلى شبكة الانترنت - الشبكة العالمية - وليس الانتماء إلى وطن أو مكان آخر ، إنها دعوة إلى المواطنة الكوكبية . إن الصراع بين مواطنى الشبكة الأحرار ومواطنى الدولة قد بدأ بالفعل .

والحقيقة فإن الدعوة لتدخل الحكومات فى حرية شبكة الانترنت تنبع من دعاوى أخرى عديدة - غير الخوف من انهيار الثقافة العلمانية الغربية وغزوها - مثل الخوف من تآكل سيادة الدولة وغير ذلك من الحجج والذرائع . إن تضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، ومبادئ العدالة الاجتماعية وحماية الضعفاء ، والمساواة فى الحقوق كلها ذرائع تتخذها بعض الحكومات للسيطرة على شبكة الانترنت .

ثالثاً : منظمة التجارة العالمية وفتح الأسواق والحدود

منظمة التجارة العالمية ، والبنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى هى منظمات ومؤسسات دولية لها نظمها وقوانينها وذات أثر كبير فى تسويق العولمة والدعاية لها ، وتنظيم الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية .

وتعتبر منظمة التجارة العالمية المحور الرئيس فى تنظيم التجارة الحرة فى عصر العولمة ، فهى تدير العلاقات التجارية الدولية بين الدول المنضمة إليها .

وقد نشأت منظمة التجارة العالمية فى العقد الأخير على أنقاض منظمة الجات لتدير التجارة الحرة فى عصر العولمة أى فى ظل ظروف اقتصادية جديدة أتاحتها العولمة ، حيث إلغاء الجمارك والضرائب وفتح الحدود أمام دخول وخروج البضائع والأشخاص والأموال والتكنولوچيا والشركات ، حيث الظروف مهيئة للمنافسة الحرة فى أسواق ذات تماثل واحد. والتنافس الحر بين الشركات وبين مصادر الإنتاج وبين الأفراد فى ظل هذه الظروف المتماثلة هو الذى يولد الثروة والقيمة وهو الذى يدفع إلى

الابتكار الجديد لتكنولوجيا جديدة وهو الذى يؤدى إلى التقدم والازدهار الاقتصادى والعلمى والتقنى .

ومنظمة التجارة العالمية لها قوانين ونظم يجب أن تنفذها الدولة التى ترغب فى الانضمام إلى اتفاقية التجارة العالمية ، وغالباً ما تعطى هذه الدولة مدة كافية لتوفق أوضاعها حسب قوانين ونظم منظمة التجارة العالمية .

وأمام منظمة التجارة العالمية مشاكل اقتصادية عديدة يجب عليها حلها فى ظل العولمة ، وهى مشاكل بين دول الشمال ودول الجنوب ، ومشاكل بين الفقراء والأغنياء ، ومشاكل تتعلق بالشفافية وعدم الانحياز ، ومشاكل الكيل بمكيالين ، ومشاكل الخوف من العولمة الذى تجلى فى مظاهرات سياتل بأمريكا أثناء الاجتماع الوزارى الثالث لمنظمة التجارة العالمية فى أول ديسمبر سنة ١٩٩٩م ، وفى مظاهرات نيويورك أثناء الاجتماع الدورى لصندوق النقد الدولى والبنك الدولى فى منتصف إبريل سنة ٢٠٠٠ وكذلك المظاهرات ضد العولمة فى عدد من العواصم والمدن بمناسبة عيد العمال أول مايو الأخير .

والذين يقومون بهذه المظاهرات هم جمعيات وجماعات وأفراد من الدول المتقدمة مثل أمريكا ودول أوربا واليابان وكندا ، فهى ليست من دول فقيرة ضد دول غنية وليست من الفقراء ضد الأغنياء كما قد يتصور البعض ، ولكنها بين أفراد المجتمعات المتقدمة فى الدول المتقدمة ضد العولمة ، ويرجع ذلك لأسباب مختلفة .

فالمتظاهرون ضد العولمة من الولايات المتحدة الأمريكية ، يخافون من تحمل أمريكا تكلفة تفرضها العولمة لامبرر لها ، وأن العولمة تفرض التزامات على أمريكا تتعارض مع سيادتها الوطنية وتقود للتفريط فى هذه السيادة. أما المتظاهرون من نقابات العمال، وبعض اليساريين من أوربا وكندا وأمريكا فهم يرون أن فتح أسواق بلادهم أمام البضائع الأجنبية سيكون على حساب العمال الوطنيين وفرص العمل المتاحة لهم ، وضد مصالح المنتجين أيضاً، ويجب أن يكف صندوق النقد والبنك الدوليين عن تشجيع البلاد النامية على تطوير صناعات للتصدير لأن ذلك سوف يؤثر على فرص العمل فى الدول المتقدمة .

وسوف نناقش تفاصيل هذه الاعتراضات على العولمة فى سلبيات العولمة .

رابعاً : النظام الإعلامي الدولي الجديد .

يعتبر النظام الإعلامى الدولى الجديد ، وما يبثه على مدى ٢٤ ساعة من مواد إعلامية وفنية وثقافية عبر السموات المفتوحة - وبواسطة القنوات الفضائية والمواقع التلفزيونية والإعلامية أو بواسطة شبكة الانترنت - من أخطر وسائل العولمة على الهوية والثقافة . وخطورة النظام الإعلامى الدولى لا تنبع من خطورة المواد الثقافية والفنية والمفاهيم الحضارة الغربية العلمانية وغزوها للثقافة العربية الإسلامية والحضارة الإسلامية فقط - فهذه تمت وسيطرت على بعض النخب فى بلادنا منذ أوائل القرن العشرين - ولكن الخطر ينبع من الوسائل السريعة السهلة الواسعة الانتشار والتى ستصل إلى جميع القرى والكفور فى القريب ، وعدم وجود مواد ثقافية وفنية وحضارية تمثل المفاهيم الحقيقية للثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية فى مواجهتها .

إن من أكبر الأخطار التى تواجه ثقافتنا الإسلامية وحضارتنا الإسلامية فى عصر العولمة ، ينبع من عدم وجود اتفاق بين النخب التى تتولى شئون الثقافة وقيادة العمل الثقافى فى البلاد العربية والإسلامية على المفاهيم الصحيحة التى يجب أن يتسم بها الإنتاج الثقافى ، سواء كان هذا الإنتاج أدباً أو فنوناً سينمائية أو فنوناً تشكيلية أو موسيقية أو غنائية أو مسرحية .

إن الاختلاف بين النخب فى البلاد العربية والإسلامية أدى إلى اختلاف الإنتاج ، فمعظم الإنتاج الثقافى فى كثير من البلاد العربية والإسلامية الآن يحمل المفاهيم العلمانية الغربية الحديثة والقليلة منه الذى يحمل المفاهيم الحقيقية لثقافتنا الإسلامية. أين الأدب الإسلامى الآن بين كتب الأدب التى تنشر وتوزع فى البلاد العربية الإسلامية ؟

أين الفنون الإسلامية مثل الأفلام السينمائية التى تحمل مفاهيمنا الثقافية الإسلامية بين الأفلام المعروضة الآن فى وسائل الإعلام ؟ إن الأفلام الإيرانية التى تمثل المفاهيم الحقيقية للثقافة الإسلامية لا تعرض فى دور العرض فى البلاد العربية إلا وقت مهرجانات السينما فقط .

إن تقديم مواد فنية على القنوات الفضائية سواء كانت مواد غنائية أو موسيقية أو تمثيلية أو أفلام سينمائية أو مسرحيات تحمل مفاهيم هويتنا الإسلامية مثلما تفعل جمهورية إيران الإسلامية وتقديم أبحاث وفنون تشكيلية من مفهوم إسلامى ، وتقديم مواد ومعلومات وعلوم إسلامية تمثل مفاهيم حضارتنا الإسلامية ، وفى مجال الدعوة الإسلامية فيجب أن نقدم مواد مسجلة تخدم الدعوة الإسلامية من أعمال الدعاة العظام المشهود لهم وليس الدعاة الرسميين فقط كما يجب أن نقدم الدعاة الثقاة أنفسهم على القنوات الفضائية والإنترنت ووسائل الإعلام يتحدثون عن الدعوة الإسلامية وتجرى معهم الحوارات والأسئلة والفتاوى باللغة العربية وباللغات الأجنبية .

إن النظام الإعلامى الدولى الجديد هو أخطر وسائل العولمة على ثقافتنا الإسلامية وعلى هويتنا وحضارتنا الإسلامية ، وفى بحث للمجالس القومية المتخصصة والذى نشر مقتطفات منه الأستاذ رجب البنا بالأهرام تحت عنوان : مخاطر النظام الإعلامى الدولى الجديد[1] يقول :

(هناك سيل من الرسائل الإعلامية المعبرة عن متطلبات تسويق منتجات الشركات متعددة الجنسيات بحيث تحولت وسائل الإعلام فى كل دول العالم إلى الثقافة التجارية) . ويضيف :

(إن وسائل الإعلام المسيطر دولياً تعمل - دون كلل وبكل الوسائل وأكثرها حرفية وذكاء - على تسويق الأفكار والمبادئ والفلسفة وأساليب السلوك الغربية والأمريكية على وجه التحديد وهدفها الوصول إلى أمركة العالم - أى جعل شعوب العالم - أو أكثرها - تفكر وتعيش وتستهلك بأسلوب الحياة الأمريكية فهذا يجعل الإعجاب بأسلوب الحياة الأمريكية يتحول إلى إعجاب بالسياسات والمواقف الأمريكية وبالتالى تحقق أمريكا انتصارها الأكبر بالسيطرة على أوسع رقعة من العالم بتحويل شعوبها - دون أن

---

(١) بحث نشر مقتطفات منه الأستاذ رجب البنا بجريدة الأهرام يوم ١٩٩٩/٦/١٣ تحت عنوان « مخاطر النظام الإعلامى الدولى الجديد » بحث للمجالس القومية المتخصصة (المجلس القومى للثقافة) ومناقشات المجلس القومى للثقافة فى ١٩٩٩/٦/١٢ تحت عنوان (الإعلام المصرى وتحديات العولمة) .

تدرى - إلى أن تصبح ذات هوية أمريكية تحت شعارات جميلة مثل العولمة وتحول العالم إلى قرية صغيرة واحدة وانتهاء عصر القوميات والحدود الوطنية وذوبان العالم فى كيان ثقافى وحضارى واحد إلى غير ذلك من الشعارات الجديدة البراقة التى تعبر عن الصورة الظاهرة للعولمة وتخفى حقيقة العولمة وهى تحويل العالم إلى قرية صغيرة تحكمها أمريكا لتصبح أكثر قوة وأكثر ثراء ولو على حساب معظم دول العالم . وهذا ما ينبه إليه مفكرو الغرب أنفسهم الآن) ويضيف :

(فإذا أضفنا أن غالبية وسائل الاتصال والإعلام المستخدمة فى الدول النامية صنعت خارجها بعد أن فشلت الدول النامية فى تحقيق ما تسميه دراسة المجالس القومية المتخصصة الأمن التكنولوجى فى مجال الاتصال والإعلام ، وبعد أن فشلت الدول النامية فى إقامة تعاون مشترك مع مثيلاتها من الدول النامية فى استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة ذات التكلفة المرتفعة) .

(ومن المفيد أن ننبه إلى ما تقرره الدراسة من أن العولمة ستؤدى إلى مسارين متناقضين سيؤدى المسار الأول إلى إعطاء مزيد من الحريات لوسائل الإعلام حتى تتواءم أوضاعها الإعلامية مع النظام الغربى الذى يقوم على الليبرالية من حرية وتعدد. أما المسار الثانى فسيقود إلى مزيد من التبعية الإعلامية ، لأن النظام الإعلامى الدولى الجديد لن يسمح إلا بقدر محدود من الحرية لوسائل الإعلام فى العالم الثالث بالقدر الذى يكفى وسائل الإعلام الغربية للتسلل والسيطرة على وسائل الإعلام والثقافة فى الدول النامية ، والغاء القيود التى تعوق حصولها على كل المعلومات عن كل شىء فى كل دولة من العالم الثالث فى زمن أصبحت فيه المعلومات قوة لاتقل عن القوة الاقتصادية والقوة العسكرية بل هى القوة التى تعتمد عليها الدول فى زيادة القوة فى كل المجالات).

إن أخطار العولمة على ثقافتنا العربية الإسلامية وعلى حضارتنا الإسلامية فى الحقيقة لا تنبع من قوة الثقافة والحضارة الغربية الحديثة وضعف ثقافتنا ولكنه ينبع من تخاذلنا وضعف عزيمتنا أولاً ومن رفض بعض النخب العلمانية المسيطرة على مقاليد شئون الثقافة فى البلاد العربية الإسلامية للثقافة والحضارة الإسلامية ثانياً.

إن هذه النخب العلمانية المسيطرة على مقاليد الثقافة فى كثير من البلاد العربية والإسلامية تشجع نشر الإنتاج الثقافى الذى يمثل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ولا تشجع بل تعمل على تحجيم الإنتاج الثقافى الذى يحمل مفاهيم ثقافتنا الإسلامية .

إذن فالخطر على ثقافتنا الإسلامية وحضارتنا الإسلامية فى ظل العولمة يأتى من جبهتين : الأولى هى جبهة الداخل العلمانية فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، وخطر هذه الجبهة ينبع من أن هذه الجبهة العلمانية تشجع الإنتاج الثقافى العلمانى خاصة إذا كانت مسيطرة على قيادة العمل الثقافى فى الدولة ، والعمل على نشره بوسائل العولمة المختلفة كممثل لهويتنا وثقافتنا . والجهة الثانية هى جبهة الخارج التى تعمل على نشر وسيادة وسيطرة الثقافة والحضارة العلمانية الغربية الحديثة فى جميع أنحاء العالم . والجبهة الأولى هى الأخطر لأنها تعمل على القضاء على الثقافة الإسلامية فى مجتمعاتها .

وفى ظل الظروف التى أتاحتها العولمة ، فباستطاعة أى شخص أن يدافع عن هويته الإسلامية فى مواجهة النخب العلمانية المسيطرة .

خامساً : الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها :

الأمم المتحدة لها منظمات وهيئات عديدة، سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ومنظمة التجارة العالمية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة الانكتاد وهيئة اليونسكو ... ولها مؤتمرات دورية عديدة كل سنة أو سنتين أو أكثر مثل مؤتمرات السكان ومؤتمرات الثقافة والمؤتمرات الاجتماعية ... والمتتبع للأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها ، سوف يلحظ الهيمنة الأمريكية الأوربية فى شتى المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ففى مؤتمرات الأمم المتحدة للسكان التى تعقد دورياً مثل مؤتمر القاهرة وبكين ، سوف نجد التميز الواضح والدعوة الصريحة إلى المفاهيم الاجتماعية العلمانية مثل

الدعوة إلى الحرية الجنسية بين الرجل والمرأة دون زواج باعتبار أن ذلك نوع من حرية الإنسان وباعتبار أن جسم الإنسان مملوكا له فهو حر فيه يفعل به مايشاء ، ومثل إباحة الشذوذ والاعتراف به ، والاعتراف بالزواج المثلى والسماح بالإجهاض والحض عليه ، والمناداة بحقوق النساء ، ونظام الأسرة من منظور علمانى غربى مادى لا يعترف بالأديان وكل ذلك مخالف للأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام . فالإسلام يحرم الزنا والشذوذ وينظر إلى جسم الإنسان باعتباره مملوكاً لله لا لصاحبه إنما الإنسان أمين عليه ولذلك فالإسلام يحرم الانتحار .

أما الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن فقد أصبحت السيطرة الأمريكية والغربية عليهما سيطرة تامة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى . لقد أصبحت الجمعية العامة للأمم المتحدة مجرد مكلمة ليس لها فاعلية إلا فى المواضيع التى تريدها الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح مجلس الأمن يأتمر بأمر أمريكا والدول الأوربية . إن الهيمنة الأمريكية والأوربية على الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها تجلت فى حرب العراق الأولى والثانية والحرب فى يوغسلافيا ومحاصرة ليبيا والسودان والعراق وإيران والسكوت عن حرب الإبادة التى تمارسها روسيا فى الشيشان ، والسكوت عن الإجرام اليهودى الذى تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين ، هذا فى الوقت التى سارعت فيه الأمم المتحدة بالعمل على فصل أحد أقاليم اندونيسيا ، والكيل بمكيالين فى أمور عديدة لا يقرها عقل أو منطق وخاصة فى الأمور التى تتعلق بدول العالم الإسلامى .

لقد أصبحت الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها من العوامل الهامة فى تكريس العولمة ونشر مفاهيمها الثقافية والحضارية العلمانية والعمل على سيادة هذه المفاهيم - وسيطرتها فى جميع أنحاء العالم على الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى.

سادساً: القوة الأمريكية آلية من آليات العولمة :

إن قوة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتكنولوجية - التى لا تعادلها قوة أخرى منذ سقوط الاتحاد السوفيتى - جعل لها الهيمنة والتفوق والتأثير الفعال على دول العالم .

إن المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لبعض دول العالم الثالث ، لها أثر كبير فى استمرار الهيمنة والخضوع للسياسات الأمريكية والمفاهيم الثقافية والحضارية الأمريكية .

إن القوة الأمريكية – ليس القوة المادية فقط بل والمعنوية أيضاً لأن القوة المادية صنعت قوة معنوية تخشاها الشعوب والحكومات والدول الآن – تعتبر من أهم وسائل العولمة أو آليات العولمة لأنها جعلت من الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً أعلى تلهث الدول للحاق به فى مضمار التقدم التقنى والعلمى والحضارى .

إن هذا الشعور والفهم الذى ساد وسيطر على أفكار معظم المتغربين والعلمانيين فى شتى أنحاء العالم ، كان هو البوتقة التى على نارها تنضج مفاهيم العولمة وأطروحاتها والتى تفيض بها المطابع والجرائد والمجلات والقنوات الفضائية والمؤتمرات التى تعقد عن العولمة وشبكات الانترنت والراديو والتلفزيون .

إننا لو أحصينا المؤتمرات والمنتديات التى تعقد لبحث العولمة فى بلادنا العربية فلن تجد موضوعاً أخذ هذا الحيز من المناقشات والكتابات والإعلام مثل العولمة فى العقود الأخيرة – إن هذه الدعاية المكثفة للعولمة ليست بين النخب فى بلادنا العربية فقط بل هى أيضاً بين الدول وحكوماتها أيضاً ، لقد رصدت اليابان عدة مليارات من الدولارات وخصصت إنفاقها على دول العالم الثالث للنهوض والتقدم فى مجال تكنولوجيا المعلومات .

وقد يظن الإنسان أن ماتفعله اليابان خدمة إنسانية لمساعدة الدول الفقيرة فقط ، ولكنه فى الحقيقة خدمة لليابان والدول المتقدمة أيضاً .. كيف ؟

إن تقدم دول العالم الثالث فى مجال تكنولوجيا المعلومات سوف يزيد من مشتريات هذه الدول من آلاتها مثل الكومبيوترات والشبكات وخلافه وهى كلها تصنع فى الدول المتقدمة ، وأيضاً والأهم من ذلك فإن انتشار استعمال الحواسب الآلية وشبكة الإنترنت فى دول العالم الثالث سوف يزيد اتساع أسواق العولمة مثل أسواق تكنولوجيا المعلومات والأسواق الإليكترونية ، بل إنه سوف يصنع أسواقاً باتساع العالم

مما يدفع بالطلب على صناعات الدول المتقدمة وخاصة فى تكنولوچيا المعلومات وسوف يؤدى ذلك إلى زيادة الأغنياء غنى .

هذه هى أهم وسائل العولمة أو آليات العولمة ، وهى وسائل كأى وسائل أخرى - مثلها فى ذلك مثل الراديو والتلفزيون - يمكن استخدامها مرشداً لخدمة الإنسان والمجتمعات الإسلامية والحكومات أيضاً ، كما يمكن استخدامها فى نشر المفاهيم الصحيحة للثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية فى شتى المجالات .

إن نشر المفاهيم الصحيحة للثقافة والحضارة الإسلامية ، يستلزم مايلى :

١ - تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع الدول الإسلامية وتطبيق النظم والقواعد الإسلامية فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

٢- العمل على وحدة الثقافة العربية الإسلامية فى شتى أقطار العالم الإسلامى وذلك بتنقية الثقافة العربية الإسلامية من الشوائب التى أصابتها نتيجة للغزو الفكرى والتغريب ، وخاصة الأدب والفنون بالذات . إن العودة للأدب الإسلامى والفنون الإسلامية هى مطلب أساسى فى ظل العولمة حتى لا تضعف أو تنقطع أو تموت ثقافتنا العربية الإسلامية . إن سيادة وسيطرة الأدب الإسلامى والفنون الإسلامية سوف يساعد على إصلاح الاختلالات التى أصابت العناصر المكونة لنسيج ثقافتنا العربية الإسلامية مثل الأخلاق والقانون والعادات ....

إذا كانت العولمة هى هذه الوسائل أو هذه الآليات ، فإن كلمة العولمة التى ظهرت بعد ذلك فى السنوات الأخيرة - لتمثل المفهوم الجامع الفلسفى لسيطرة وسيادة المفاهيم الثقافة والحضارة الغربية العلمانية - لاندرى هل ستستمر وتزداد سيطرة وهيمنة أم أن مصيرها سيكون مثل مصير الحداثة التى تغيرت إلى ما بعد الحداثة أى أن نعيش عصر ما بعد العولمة فى القريب ؟ .

أما وسائل العولمة أو آليات العولمة فإنها ستبقى حتى وإن اختفت العولمة ، والذى يمكن أن يختفى من وسائل العولمة فى مرحلة ما بعد العولمة هو الهيمنة الأمريكية وبعض الوسائل المرتبطة بها .

لقد روجت أمريكا والغرب والدول المتقدمة للعولمة بوسائل عديدة وذلك لما تحققه العولمة لمنافع عظيمة لهم والتى تتمثل فيما يلى :

(أ) استمرار سيطرة النظام الليبرالى الغربى الحديث بشقيه السياسى والاقتصادى على العالم . فالعالم كله يخضع الآن لهذا النظام ماعدا الدول التى تطبق النظام الشيوعى مثل (كوبا وكوريا الشمالية والصين) ، حتى الصين فإنها تطبق الآن نظام اقتصادى مختلف حيث تطبق نظام اقتصادى ليبرالى حر فى بعض المناطق .

(ب) إن محاولات سيطرة وسيادة مجالات الثقافة والحضارة الغربية المادية العلمانية الحديثة مستمرة وخاصة بعض مجالات الثقافة مثل الأدب الأمريكى والأوربى والفنون الغربية العلمانية التى تنشر الانحلال والفسق ومثل أفلام السينما الأمريكية والإعلام والتمثيليات والمسارح والملاهى وكذلك المفاهيم الحضارية الغربية مثل النظم الاجتماعية التى تحاول أن تفرضها مؤتمرات السكان التى تعقد دورياً .

(جـ) إن اقتصاد تكنولوجيا المعلومات - الاقتصاد الجديد - وما تحققه المنافسة الحرة - فى ظل تماثل الأسواق - من نمو اقتصادى كبير حقق للولايات المتحدة الأمريكية ثروة وتقدماً لم تحققهما فى تاريخها كله ، كما استفادت الدول المتقدمة كلها من النظام الجديد استفادة أكيدة . لقد أحدثت هذه القفزات الاقتصادية تغيير فلسفة التطور العلمى والاقتصادى والصناعى التى روج لها الغرب طوال القرن العشرين .

(د) إن اقتصاد تكنولوچيا المعلومات - الاقتصاد الجديد الذى قلب نظريةالتطور الصناعى - رأساً على عقب - يحتاج لأسواق كبيرة ويحتاج لمتنافسين أقوياء لأنه كلما اتسعت السوق وتنافس الشركاء الأكثر قوة كلما زاد المردود الاقتصادى لتكنولوچيا المعلومات ، وذلك لأن المعلومات فى حقيقتها تجعل الكبير صغيراً وتجعل الضخم فى حجم الكف . فباستطاعة شركة عابرة للقارات مثل شركة چنرال إليكتريك - رأسمالها السوقى ٥٣٤ مليار دولار وعدد العاملين فيها آلاف الأشخاص - أن تدار بواسطة مدير واحد وعدد من مساعديه وذلك بواسطة آلات الكومبيوتر والشبكات . لذلك فإن من أهم سمات العولمة وجود الكيانات الكبيرة مثل الشركات العابرة للقارات ومثل الاتحادات

والتجمعات الإقتصادية الاقليمية مثل دول الأسيان ودول الاتحاد الأوربى والدولى الأمريكية ودول الكوميسا ....

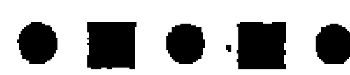
إيجابيات وسلبيات العولمة :

للعولمة إيجابيات عظيمة ، وخاصة فى مجال العولمة الاقتصادية وفى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، كما أن لها سلبيات كثيرة مثل تآكل سيادة الدولة ، وخلط الثقافات ، ومحاولة وحدة العالم اقتصادياً وثقافياً وسياسياً أو بالأصح بسط سيطرة مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الغربية العامانية على شعوب ودول العالم ، والحفاظ على هذه السيطرة فى المجالات التى تتحقق فيها ، مثل النظام الليبرالى الغربى بشقيه السياسى والاقتصادى كما سبق و أشرنا إلى ذلك فى تعريف العولمة .

ومع أن للعولمة معارضين ومؤيدين حتى فى الدول المتقدمة التى أخذت بها ، فإن علينا ونحن ندخل فى هذه الحلبة - حلبة سباق العولمة - أن نأخذ بإيجابيات العولمة ونتجنب سلبياتها ، فنتمسك بمفاهيم هويتنا الإسلامية ثقافياً وحضارياً أى فى شتى مجالات الثقافة وشتى مجالات الحضارة ونتجنب الاستسلام لسيطرة مفاهيم الثقافة والحضارة الغربية العلمانية الحديثة التى سيتوفر لها فى السنوات القادمة وسائل للسيطرة والسيادة والانتشار لم تتح لها من قبل . وفى هذاالمجال يجب علينا أن نأخذ بطريقين أو مسلكين هما :

أولاً : العمل على تطبيق مفاهيم ثقافتنا الإسلامية ومفاهيم حضارتنا الإسلامية الصحيحة فى دولنا ومجتمعاتنا الإسلامية .

ثانياً : العمل على تصحيح المجالات الثقافية والمجالات الحضارية التى أصابها الغزو الفكرى والتغريب مثل الأدب والفنون ومثل بعض المجالات الحضارية مثل النواحى الاجتماعية والنظم والقواعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مثل نظم التعليم ونظم التقاضى وقواعد القوانين .



الفصل الرابع

إيجـابيات العـــولمة

لا شك أن للعولمة إيجابيات عظيمة للشعوب والدول التى سارت فيها وخاصة فى مجال الإصلاح الاقتصادى والدخول فى حلبة صراع العولمة الاقتصادية .

إن تهيئة الظروف فى الدولة للمنافسة الاقتصادية أدى إلى إصلاح كثير من الخلل فى النظام الاقتصادى والنظام الإدارى والنظام السياسى للدولة التى دخلت إلى حلبة سباق العولمة الاقتصادية مما كان له أثر عظيم فى تقدم هذه الدول ، واختفاء الفساد الاقتصادى والسرقات والفساد الإدارى أو تحجيمه نظراً للشفافية التى تضفيها العولمة الاقتصادية على شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والإدارية فى الدولة التى دخلت فى حلبة العولمة .

ومن إيجابيات العولمة أيضاً ثورة المعلومات واختصار مراحل التقدم ، كما يمكن استخدام وسائل العولمة أيضاً فى العمل على وحدة العالم الإسلامى اقتصادياً وثقافياً وسياسياً ، كما أن الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام فى شتى بلاد العالم باستخدام وسائل العولمة أصبحت الآن أكثر سهولة ويسر ويجب استغلالها فى هذا المضمار على أوسع مدى ، وغيرها من فوائد وإيجابيات العولمة التى سوف نوردها ونفصلها فى السياق التالى :

أولاً : فى المجال الاقتصادى (العولمة الاقتصادية) :

لقد بدأت العولمة ودارت عجلتها وتتسارع كلما مضى الوقت ، فمن أراد أن يلحق بها فعليه أن يهيئ نفسه ويعدها اقتصادياً وإدارياً وسياسياً للحاق بها . والعولمة ليست قضاء مفروضاً لا يمكن عكسه أو تغييره أو تصحيحه ، كما أنها ليست نهاية التاريخ ،

فهى مفتوحة للجميع لكى يدلى كل قادر بدلوه ، ويسيرها - ولو نظرياً . حسب مقدرته التكنولوچية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، فالعولمة ما هى إلا ثورة المنافسة وصراع التنافس ، ولكنها منافسة جلبت خيراً عميماً فى المجال الاقتصادى والمجالات الأخرى للدول التى انضمت إلى حلبتها .

والمتنافسين فى المجال الاقتصادى أغلبهم شركات أفراد سواء كانت شركات محلية أو شركات إقليمية أو شركات عابرة للقارات . والمنافسة بطبيعتها تبحث عن وسائل ابتكارية للتطوير والتجديد وتوظيف الاختراعات بسرعة وكفاءة والاستفادة من المعلومات وتكنولوچيا المعلومات فى الإنتاج والتطوير .

وحلبة العولمة الاقتصادية مفتوحة للمتنافسين حسب شروط معينة فمن أراد أن يدخل فى حلبة السباق عليه أن يلبى شروطها .

والحقيقة أن هذه الشروط من صنع الفكر الليبرالى الحديث أى من صنع اقتصاد السوق ومن صنع الديمقراطية الليبرالية .

والدخول فى حلبة سباق العولمة الاقتصادية وشروطه معروف للاقتصاديين والسياسيين مثل تلبية طلبات وقواعد ونظم منظمة التجارة العالمية وتحرير الاقتصاد وإعداد بنية تحتية جيدة ، وصنع جو عام أو ما يطلق عليه « وسط عولمى عام » يشجع الشركات المحلية أو الإقليمية أو العابرة للقارات على دخول حلبة المنافسة بحرية وكفاءة ، وفتح الحدود وإصلاح قوانين الاستثمار المحلية أمام تدفق الاستثمارات الأجنبية وأمام الشركات الأجنبية والشركات عابرة القارات ، وإقامة بنية معلوماتية جيدة وإصلاح هيكلى وقانونى يشجع على الاستثمار ويشجع على التنافس . والإصلاح الاقتصادى والهيكلى يشمل المجالات المختلفة فى الدولة مثل مجالات الزراعة والصناعة والخدمات ، وإصلاح هذه المجالات يستلزم إجراء تغييرات أساسية مثل تحديث المصانع حتى يستطيع الإنتاج أن يصمد فى حلبة سباق العولمة ، وابتكار أساليب جديدة فى مجالات الإنتاج والتصنيع ، والإدارة الجديدة الواعية الذكية .

لقد استطاعت العولمة الاقتصادية أن تحدث تقدماً عظيماً فى فترة زمنية قصيرة فى المجال الاقتصادى فى معظم الدول المتقدمة ودول العالم النامية التى أخذت بأساليبها مثل النمور الأسيوية والصين وبعض بلدان أمريكا اللاتينية .

لقد اختصرت العولمة مشوار التقدم وأصبح اللحاق بركب الدول المتقدمة متاحًا أمام الجميع فى مدى زمنى قصير جدًا لا يتجاوز عقد واحد .

ولكن كيف تحدث وسائل العولمة التقدم ؟

كيف يحدث التقدم الاقتصادى والتكنولوچى والإدارى فى دولة نامية بهذه السرعة ؟

لقد كان الاعتقاد السائد ـ حتى بعد حدوث الأزمة الاقتصادية فى دول جنوب شرق آسيا ١٩٩٧م - أن التقدم الاقتصادى والصناعى والزراعى والتقنى ... يجب أن يمر بمراحل ، وهذه المراحل - غالباً ما كان يتصور - أنها تتطلب عدة عقود تقترب من القرن ، وكان الاعتقاد أن الإدارة والتكنولوچيا هما العاملان الوحيدان اللازمان لتسارع عملية التقدم .

ولكن بعد أن استطاعت جميع دول جنوب شرق أسيا أن تتخطى أزمة ١٩٩٧م فى مدى عام أو عامين ، ظهر جلياً ما فعلته العولمة فى هذه البلاد النامية - التى صارت نموراً أسيوية - من تقدم اقتصادى وتقنى حقيقى .

إن السر الذى يدفع إلى التقدم بسرعة حتى فى الدول النامية يكمن :

فى عملية المنافسة الاقتصادية الشرسة التى أتاحتها العولمة ، والتى دفعت إلى الاستعانة بالاقتصاد الجديد أو ما يطلق عليه الاقتصاد المعرفى الجديد أو اقتصاد تكنولوچيا المعلومات .

والاقتصاد المعرفى الجديد الذى أشرنا إليه سابقًا سوف نلقى عليه الضوء فى هذا السياق .

ما هو الاقتصاد المعرفى الجديد أو الاقتصاد الجديد أو اقتصاد تكنولوچيا المعلومات ؟

الاقتصاد المعرفى الجديد هو ثورة عنيفة حادة حدثت فى السنوات القليلة الماضية، وشملت مجمل الاقتصاد بما فيه الاقتصاد القديم ، وهى لا تزال فى بدايتها . وقد أدت هذه الثورة الحادة إلى تغيير أساليب ونظم الإنتاج وأدت إلى تغيير معدلات

الإنتاج التى أصبحت سريعة جداً ، وأصبحت قيم الإنتاج مرتفعة ارتفاعاً عظيماً عما قبل ، كما أن إعادة حسابات تكلفة الإنتاج أدت إلى انخفاضات كبيرة فى التكلفة . والاقتصاد المعرفى الجديد هو وليد إطلاق قوى السوق للمنافسة الحرة بعد تهيئة الظروف لذلك . إن تحويل مجمل الاقتصاد - بما فيه الاقتصاد التقليدى - إلى اقتصاد معرفى جديد لا يعنى فقط إنشاء وإقامة طرق للمعلومات السريعة ، ولا يعنى فقط إقامة وديان للتكنولوچيا المتقدمة أو صناعات للتكنولوچيا المتقدمة أو إقامة مشاريع قومية عملاقة ، إن الاقتصاد المعرفى يشمل الاستعانة بثورة الاتصالات والمعلومات ، والعناية والتشجيع لبراءات الاختراع وتحويلها إلى المجالات التطبيقية بسرعة وكفاءة دون إبطاء أو إهمال أو تأخير ، كما يشمل الاقتصاد المعرفى إعادة تقويم الأوضاع الاقتصادية والاستثمارية والإدارية والتطبيقية والتنظمية لكى تستجيب بسرعة وكفاءة لعملية المنافسة الاقتصادية . وفى ظل التكنولوچيا المتقدمة فإن المحتوى المعرفى للسلع والمنتجات قد حقق طفرة ضخمة حتى فى مجال الاقتصاد القديم وتشكيلته التقليدية ، والتى تظل هناك حاجة استهلاكية واسعة إليها أمس واليوم وغداً بحكم أنها لا يمكن استبدالها بسلع ومنتجات الاقتصاد الجديد ، وهو ما يعنى أن المحتوى التقنى والفنى والمعلوماتى قد أصبح علامة فارقة تحدد القدرة على امتلاك القدرة التنافسية من عدمها ، وأن أحاديث التطوير والتحديث لصناعات الاقتصاد القديم يجب أن تكون شاملة ومتكاملة بمعنى تكهين وهدم كل ما ينتمى إلى التكنولوچيا الأقل تقدماً ورفع كفاءة الإدارة والتنظيم فى ظل التكنولوچيات القديمة لم تعد ذات جدوى فهى إهدار للطاقات والموارد والإمكانات ولا تتفق مع أبسط بديهيات الكفاءة والرشاد الاقتصادى بحكم أن العلاقة بين الإنسان والآلة قد اختلفت معادلاتها بشكل حاد وكذلك العلاقة بين المواد الخام والسلع الوسيطة قد تبدلت حساباتها وتقديراتها بصورة جذرية مما قلص إلى حد بعيد من الحاجة إلى عنصر العمل وكذلك الحاجة إلى المادة الخام والوسيطة من خلال صور وأشكال جديدة للتقنيات المتقدمة والمعارف الفنية المتطورة وتراكماتها الكبيرة والمتسارعة بمعدلات بالغة الضخامة .

إن هناك أحاديث كثيرة تتردد فى الدول المتقدمة عن أهمية الاقتصاد الجديد ودوره البارز وحجمه المتزايد ، حتى أن المؤشر فى البورصات الدولية الرئيسية يشير

إلى مؤشر للاقتصاد القديم ومؤشر للاقتصاد الجديد ، وهذا يؤكد أن هناك قاعدة عريضة لصناعات وخدمات للتكنولوجيا فائقة التقدم القادرة على تقديم الجديد من السلع والجديد من الخدمات فترات زمنية قصيرة ، ولكنها أيضا قادرة على إعادة تشكيل النشاط الاقتصادى والمجتمعى ونمط الحياة ومعادلاتها العامة والخاصة بصورة حادة وشاملة والأكثر أهمية أن الاقتصاد الجديد قادر - وبسرعة عظيمة - على تقديم سلع ومنتجات وخدمات دائمة التطور والتحديث خلال فترات زمنية قصيرة للغاية .

وكل ذلك يجعل من الاقتصاد المعرفى بجناحيه الجديد والقديم واقعاً مختلفاً جذرياً عما سبقه ويكاد يسقط العديد من نظرياته وتحليلاته وثوابته ويقدم معانى جديدة للقوة الاقتصادية ومعانى مختلفة للازدهار والانتعاش الاقتصادى ، ويقلب رأساً على عقب المفاهيم التقليدية والسائدة فى الدول النامية حول النمو والتنمية وطموحاتها وتوقعاتها ، والأكثر أهمية أنه يهدم مقولة ارتباط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية لأنه يدخل فى صميم دوائرها واهتماماتها قدرة الفئات العريضة من المواطنين وإمكاناتهم للتعامل والتفاعل مع الاقتصاد المعرفى الجديد ومفرادته ومكوناته ، ويدخل بالضرورة حق التعليم وحق التدريب المستمر إلى آفاق جديدة ما كانت مطروحة من قبل فى دوائر الشواغل العامة المهمة والأكثر أهمية .

وتؤكد حقائق الاقتصاد المعرفى أن هناك ما يؤكد أن ترف التردد فى القبول أو رفض الدخول فى حلبة الاقتصاد المعرفى لم تعد موجودة الآن .

ثانيا : ثورة المعلومات :

إن تكنولوچيا المعلومات من حاسبات وبرمجيات واتصالات وإليكترونيات وشبكات معلومات ونظم جعلت تكنولوچيا المعلومات وما تولد عنها من الاقتصاد المعرفى الجديد ثورة جديدة فى عصرنا الراهن لا تقل أهمية عن ثورة البخار واختراع الآلة البخارية . إن من أهم مميزات ثورة المعلومات أنها لا تحتاج لاستثمارات فالتنمية البشرية من أساسياتها مما أدى إلى فتح باب الأمل أمام الشعوب النامية للنهوض والتقدم واللحاق بركب الدول المتقدمة فى مدى زمنى معقول بل فى سنوات تقل عن العقد .

إن ثورة المعلومات قاربت بين مستويات البشر والشعوب والمجتمعات فى مضمار التقدم الحضارى ، وانتهت إلى الأبد منظومة التقدم والتخلف وما صاحبها من مفاهيم فلسفية وتنظيرات غير صحيحة تربط التقدم الحضارى بنوع الثقافة .

إن ثورة المعلومات لم تظهر آثارها فى بلدان العالم النامى ولكنها تجلت فى البلدان المتقدمة .

إن أهم نتيجة إيجابية لثورة المعلومات - والتى شملت العالم كله المتقدم والنامى - هى الحصول على المعلومات المطلوبة عن أى مجال من المجالات بسرعة وبسهولة ويسر بل فى التو واللحظة التى يريدها الإنسان عن طريق شبكة الانترنت . ليس ذلك فقط ولكن كمية المعلومات عن أى موضوع تتضاعف بسرعة عجيبة أيضاً ، ولنضرب لذلك المثال التالى :

إذا قام شخص بإجراء بحث واستخدم شبكة الانترنت فى الحصول على المعلومات عن هذا البحث فإذا افترضنا أن البحث استمر لعدة شهور أو سنة أو أكثر ولم يتابع هذا الشخص ما يستجد من معلومات على شبكة الانترنت طوال هذه المدة ، فإنه من الممكن أن تكون المعلومات الجديدة على شبكة الانترنت طوال فترة البحث أصبحت من الكثرة ومن التجديد بحيث أنها تغير نتيجة البحث . إن تضاعف كمية المعلومات وسهولة الحصول عليها بالسرعة والدقة المطلوبة عامل هام يثرى ويدفع إلى الأمام مجالات الحياة المختلفة .

إن سرعة تبادل المعلومات بات يسمح بتفصيل منتجات حسب رغبة المستهلكين وليس إنتاجها نمطيا . أو كما يقول « ديفيد كيف » فى كتابه « سيادة الواحد » الذى صدر حديثاً : (ملايين الأنماط وليس نمطاً واحدًا لملايين الناس) .

لقد أصبح الفرد يتعامل مع شركات الطيران ومع البنك ومع السوبر ماركت عبر شبكات المعلومات ، فالفرد يحصل على المنتجات والخدمات استناداً إلى معلومات مستقاة من وحى اللحظة تتدفق عبر شبكات معلومات وقواعد بيانات لا نهاية لها ، وتجعل القيمة أو الثروة الحقيقية موجودة فى أشياء غير محسوسة هى البرامج والنظم والمعلومات نفسها .

ونتيجة للمنافسة الشرسة وسهولة الحصول على المعلومات وسهولة الاتصالات ووجود الشبكات فى الخدمة الدائمة ليلاً ونهاراً (فإن تكنولوچيا المعلومات - من حاسبات وبرمجيات واتصالات وإليكترونيات وشبكات معلومات ونظم وغيرها - قد عملت على نقل مركز القوة فى جميع الأنشطة والعلاقات البشرية إلى الفرد الواحد وجعلت النجاح الحقيقى لأى منشأة أو مؤسسة أو دولة - باقتصادها وأجهزتها الحكومية والإنتاجية والخدمية - مرهونا بقدرتها على مخاطبة احتياجات الفرد الواحد من المنتجات والخدمات وتلبيتها فى الوقت وبالشكل والمواصفات التى يريدها بأعلى قدر من الجودة والسرعة وأكثر الأسعار معقولية) .

ثالثاً : اختصار مراحل التقدم :

فى أوائل القرن العشرين عندما جاء الاستعمار إلى بلادنا وبدأ الغزو الفكرى والتغريب فى شتى المجالات ، روج المستعمر والمتغربون والعلمانيون لمقولة : أنه لكى تنهض البلاد النامية - ومنها البلاد الإسلامية - يجب أن يحدث فيها تغير ثقافى تنويرى على نمط التغير الحداثى الذى حدث فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى، أى يجب تغير الثقافات الغيبية وعدم الإيمان بها وعدم الإيمان بماوراء الطبيعة ، والإيمان فقط بالعقل والأخلاق الطبيعية . ومعنى ذلك عدم الإيمان بالأديان السماوية والإيمان بمعتقدات مادية لا دينية وفصل الدين عن الدولة وعدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هذه هى الرؤية التى كانت تسير عليها الحداثة فى البلاد الأوربية ، وتربى عليها تلاميذ الاستعمار والمتغربون والعلمانيون ودعاة التنوير فى البلاد الإسلامية .

وظهرت مذاهب شتى فى الفكر الغربى الحديث ، - بعد انهيار اللاهوتية الكنسية وظهور « المادية الجديدة » التى تمثل الاعتقاد الجديد فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة - وكان لها أتباعها فى البلاد الإسلامية . ظهرت مذاهب فلسفية ومذاهب ثقافية ومذاهب نقدية فى الأدب ومذاهب فى الفنون ونقد الفنون .

ظهرت الوجودية وكان المثقفون المتغربون والشيوعيون فى بلادنا من سدنتها ثم اختفت وظهرت البنيوية فى أوربا وقادها كلود ليفى شتراوس فى فرنسا - وهو يعتبر أبو البنيوية - وكان شتراوس منطلقا من فكر مادى لادينى فى أبحاثه عن البنيوية فلما قادته أبحاثه إلى وجود قوى تتجاوز نطاق السيطرة الإنسانية سقطت البنيوية وجاءت ما بعد البنيوية لأن الحياة والموت هما وجها التعارض الأساسى والنهائى للبنيوية .

وكانت الحداثة التى تمثل فكر التنوير الأوربى منذ القرن سابع عشر هى الأخرى لها الصوت الأعلى بين المثقفين العرب السائرين على درب الفكر الغربى الحديث ، وسبب سقوطها هو أزمة الاعتقاد المادى فى الفكر الغربى الحديث والابتعاد عن النواحى الروحية . وبعد سقوط الحداثة جاءت مابعد الحداثة وفى بداياتها ظهرت العولمة فى السنوات القليلة الماضية فهل سنشهد عصر ما بعد العولمة بعد سقوط العولمة ؟

وفى كتابه عن « حركات ما بعد الحداثة » نشر سنة ١٩٩٨م بلندن يقول بيترليوز : (إن حركة البنك PUNK - وهى حركة أشبه بحركات الهيبيز - كتعبير عن نوع تلقائى وغير منظم وغير مقنن فكرياً للوعى الجمعى قد جمعت بين النقد والتمرد الثقافيين لما هو قائم والوعى السياسى والميل إلى الابتكار وصياغة أساليب خاصة بعد أن خاب أمل جيل الستينيات فى تراث الحداثة التى آمنوا بما تعلموه من تراثها ولكن لم يجدوه سائدا فى الواقع ، ولكن حركة البنك سرعان ما ذابت وتشتتت) .

وكانت الشيوعية التى كانت تعتبر من تجليات التنوير والفكر الحداثى الغربى منذ القرن السابع عشر وكان لها مؤيدون وأتباع فى بلادنا الإسلامية وبعد انهيارها تحول أتباعها العرب إلى دعاة الحداثة والتنوير .

وكان الفكر الغربى التنويرى ومذاهبه ونظرياته واتجاهاته ، من بنيوية وما بعد البنيوية ومن حداثة وما بعد الحداثة ... قد أشاع ونشر مفاهيمه فى شتى المجالات ومنها : أن التقدم والتطور فى جميع النواحى يمر بمراحل متتابعة ، وأن الدول النامية التى تريد النهوض والتطور والتقدم يجب عليها أن تسير فى تلك المراحل حتى تستطيع التقدم أو اللحاق بالدول المتقدمة ، وأن هذه المراحل قد تمتد لأجيال عديدة ، وأن

الدول النامية التى تبغى النهوض والتقدم عليها أن تترسم خطى الدول الغربية وتسير فى الاتجاه العلمانى الذى يجعل « ما لقيصر لقيصر ومالله لله » وتأخذ بفصل الدين عن الدولة « فلا سياسة فى الدين ولادين فى السياسة» .

ظل هذا الاعتقاد سائدا بين المتغربين والعلمانيين فى البلاد العربية والإسلامية ، حتى جاءت العولمة ، وفى ظلها وتجلياتها استطاعت عدة دول نامية فى جنوب شرق أسيا وأمريكا اللاتينية أن تنهض وتتقدم فى عدة سنوات لا تتجاوز عقد واحد أو عقدين وأن تثبت أنه فى ظل العولمة يمكن اختصار مراحل التقدم .

والمدهش أنه فى ظل العولمة حدث التقدم والنهوض السريع للنمور الأسيوية والصين ودول أمريكا الجنوبية مع احتفاظ هذه الدول بمفاهيم هوياتها الثقافية ، فكان هناك ماليزيا وإندونيسيا المسلمتان والصين وكمبوديا البوذيتان ودول أمريكا اللاتينية المسيحية . بل إن بلدا مثل ماليزيا يؤكد رئيس وزرائها مهاتير محمد أن من عوامل نجاح بلده فى مجال التنمية والنهضة التمسك بالثقافة الإسلامية كركيزة من ركائز النهضة . إن التمسك بمفاهيم الثقافة الإسلامية أعطت دفعة قوية للاقتصاد الماليزى وللنهضة الماليزية حتى أن فى الوقت الراهن تبلغ نسبة معدل نمو الناتج المحلى الماليزى عام ٢٠٠٠ أكثر من ١٠٪ هذا فى الوقت التى كانت فيه ماليزيا تعانى الأزمة مثل جميع دول جنوب شرق أسيا منذ ثلاثة أعوام فقط .

لقد جاءت العولمة لتؤكد أن النهوض والتقدم يعتمد على الإدارة والتكنولوجيا ، وأنه بالدخول فى ساحة المنافسة الكوكبية وإعداد الدولة للدخول فى حلبة المنافسة الكوكبية وإعداد الدولة للدخول فى حلبة المنافسة والأخذ بالاقتصاد المعرفى الجديد بالإضافة إلى التمسك بمفاهيم هويتنا الإسلامية فى المجالات المختلفة - حتى لا يكون هناك تمزق اجتماعى وثقافى كما هو حادث الآن - عندئذ نكون قد بدأنا مرحلة التقدم .

لقد جاءت ثورة المعلومات والاتصالات لتختصر مراحل التقدم وتجعل بلاداً نامية فى عداد الدول المتقدمة فى مدى عقد زمنى واحد أو يزيد قليلاً .

لقد أصبح معروفاً الآن أنه كلما زادت القدرة على تداول المعلومات بالسرعة المناسبة ، كلما زادت معدلات التقدم واللحاق بالدول المتقدمة - وهنا تبرز أهمية ثورة الاتصالات فهى لها نفس أهمية ثورة المعلومات . إن التواصل بين مراكز المعلومات وفروعها بالسرعة المناسبة كسر حاجز الزمان والمكان وتخطى المركزية .

إن للمعلومات نظما وآليات ، كما أن لها تقنياتها . إن تكنولوجيا المعلومات ، والاقتصاد المعرفى الجديد أصبحا من أهم فروع الاقتصاد ، ومن أهم عوامل اختصار مراحل التقدم .

إن القدرة على تداول المعلومات بالسرعة المناسبة شيء مختلف عن تجميع المعلومات ، أو إنشاء وإقامة طرق للمعلومات السريعة دون الاستفادة منها وتوظيفها فى الاقتصاد المعرفى .

إن أهمية المعلومات والقدرة على سرعة تداولها وسرعة توظيفها فى الاقتصاد المعرفى الجديد ، وسرعة توظيفها فى المجالات المختلفة هى التى تصنع القدرة على المنافسة والتفوق والتقدم والنمو ، وذلك هو سر الاقتصاد المعرفى الجديد ، وسر أسباب التقدم والنمو السريع التى تصنعه المنافسة فى المجال الاقتصادى والمجالات الأخرى ، بل هو سر اختصار مراحل التقدم .

رابعاً: الواقع الافتراضى والواقع الحقيقى :

إن الواقع الافتراضى ليس هو الواقع الغير مادى أو الغير محسوس ولكنه واقع مفترض لا يقل أهمية عن الواقع الحقيقى .

فالأمور التى تحدث فى الواقع الحقيقى يفترض أن تحدث أيضاً فى الواقع الافتراضى ، فالاجتماعات السياسية أو الندوات يمكن أن تعقد عبر شبكة الإنترنت دون الحاجة إلى مكان للاجتماع ، والتعليم عن بعد بواسطة الإنترنت يمكن أن يتم دون حاجة إلى معهد أو مدرسة أو مكان لحضور المتعلمين . والقيام بالأعمال وإنجازها فى المصالح الحكومية أو الشركات يمكن أن تتم بواسطة الإنترنت والموظف فى بيته لا يغادره إلى المصلحة الحكومية أو الشركة التى يعمل بها .

كل هذه الأعمال السابقة أعمال افتراضية يمكن أن تتم وهى تمثل الواقع الافتراضى الذى نتكلم عنه .

فلو أن أحد علماء المسلمين أو إحدى الهيئات أو المنظمات أراد أن يبحث ويناقش الوسائل التى يجب أن يتبعها المسلمون لإعادة وحدة العالم الإسلامى اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً ثم سياسياً ، فإن ذلك ممكن دون تدخل من أحد أو منع أو وصاية من النخب المسيطرة أو الحكومات المستبدة ، ويتم ذلك بدعوة المسلمين وخاصة العلماء والمثقفين الإسلاميين فى جميع أنحاء العالم عبر شبكة الإنترنت ليدلوا بآرائهم فى موقع على شبكة الإنترنت ليدور الحوار بينهم عبر شبكة الإنترنت ومن خلال هذا الموقع .

والتعليم عن بعد يتم الآن فى جامعات افتراضية حيث يستقبل الطلبة المقررات فى مواد الدراسة ويتم الامتحان آخر العام عبر شبكة الإنترنت دون الحاجة لمكان أو كتب أو مراجع ، وفى البرازيل قام معهد فابيست فى ساوباولو بصنع معهد يختص بأبحاث الجينات وهو معهد افتراضى ليس له مبنى أو مكان وبذلك وفروا مبالغ طائلة كانت ستنفق فى إقامة مبنى المعهد .

ففى البرازيل معهد فابيست له مبنى فى ساوباولو وقد أصدر قادة معهد فابيست قرارًا منذ ثلاث سنوات بتجميع أبحاث الجينات البرازيلية التى كانت موزعة على العشرات من المختبرات فى أنحاء ولاية ساوباولو مترامية الأطراف جميعها والتى تبلغ مساحتها نصف مساحة فرنسا .

وبدلاً من بناء مبنى فخم كمكان للمعهد يتكلف ملايين الدولارات صنعوا « معهداً افتراضياً » يضم خبراء من ٣٥ مختبراً موزعين فى أنحاء ساوباولو جميعها . وقد قامت المختبرات الخمسة أو الستة ذات الخبرة فى أبحاث د. ن. أ (D. N. A) على تدريب المختبرات الأخرى عن طريق شبكة الإنترنت .

فالواقع الافتراضى هو واقع يوازى الواقع الحقيقى وليس خيالاً وله فوائد مادية أكيدة كما ذكرنا ، وهو سوف يسرع ويسهل الواقع الحقيقى ويجعله أسهل وأسرع وأجمل .

خامساً : الدعوة الإسلامية والعولمة :

فى هذا المجال لن أتكلم عن مفهوم الدعوة الإسلامية وأهدافها المتعددة ومجالاتها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، فالدين الإسلامى يشمل شتى مجالات الحياة ، فالقواعد والنظم الاجتماعية الإسلامية مثلاً تشمل قواعد القانون المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية وتشمل نظم التربية الإسلامية ونظم التعليم ونظم التقاضى والنظم الأخرى المتعددة التى تشمل شتى المجالات . والمجال الثقافى الإسلامى يشمل الإنتاج الثقافى الإسلامى مثل الأدب الإسلامى من قصص ومسرحيات وشعر ويشمل الفنون الإسلامية مثل أفلام السينما والمسرح وفنون السماع والحركة والفنون التشكيلية، كما يشمل المجال الثقافى الإسلامى بجانب الإنتاج الثقافى الأخلاق الإسلامية والسلوكيات والعادات الإسلامية الأصيلة وغير ذلك من عناصر الثقافة مثل القوانين المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية .

وهكذا بقية المجالات السياسية والاقتصادية الإسلامية التى للدعوة أهمية كبرى فى توضيحها وإبرازها من خلال المتخصصين فى مجالاتها ، وذلك لأن الدعوة الإسلامية لا تشمل النواحى العقدية فقط ولكنها تشمل شتى مجالات الحياة فالدين الإسلامى يشمل شتى مجالات الحياة . ولقد حاول الاستعمار فى مطلع القرن العشرين أن يحصر الدين الإسلامى فى المساجد والزوايا دون تفعيله فى مجالات الحياة العادية ولكنه لم يفلح وفشلت مهمته وانطلق الدعاة ليبينوا للناس مفاهيم الإسلام الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولذلك فسوف ألقى الضوء على بعض الجوانب التى أراها ضرورية فى عصر العولمة دون أن أخوض فى تفاصيل الدعوة الإسلامية :

أولاً : فى عصر العولمة يصبح دور الحكومات فى مجال الدعوة الإسلامية دوراً مهماً وذلك لأن معظم الدول الإسلامية دول نامية ولا يوجد بها تقريبا قنوات فضائية إسلامية خاصة ولا أعرف السبب فى ذلك هل لأن ذلك ممنوع بواسطة الحكومات ؟ أم أنه نتيجة لعدم الوعى ؟ أم أنه غير مربح بما يغطى التكلفة وهامش ربح معقول ؟ لماذا لا تنشأ شركات مساهمة إسلامية لإقامة قنوات فضائية إسلامية وإقامة أجهزة إعلام إسلامية ووكالات إعلام إسلامية ؟

لماذا يكون ذلك متاحاً فى العالم أجمع ماعدا الدول الإسلامية ؟

ثانياً : أين مشاهير العلماء المسلمين العظام أمثال الشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ يوسف القرضاوى والشيخ محمد الغزالى ومؤلفاتهم وكتبهم وفتاواهم وتسجيلاتهم على القنوات الفضائية وأجهزة الإذاعة والتلفزيون وشبكة الانترنت ؟ أين الدعاة العظام الذين يجوبون أرجاء المعمورة للدعوة الإسلامية دون أن يظهروا فى أجهزة الإعلام فى بلادهم أمثال الشيخ محمد حسان والدكتور عمر عبد الكافى والعشرات غيرهم ؟ لماذا لا يكون لأمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ برامج فى القنوات الفضائية ثابتة ؟ فالعالم الإسلامى يتشوق لسماع ورؤية أمثال هؤلاء العلماء الأجلاء فهم ثروة لا يقدرها أهليهم من المصريين .

وفى عصر العولمة ما كان محظوراً فى مصر سوف يكون مباحاً فى البلاد الإسلامية الأخرى ويشاهده المصريون فأولى بالعقلاء أن يدركوا ذلك قبل فوات الأوان.

ثالثاً : أين الأدب الإسلامى ؟ إن معظم الإنتاج الأدبى من قصص ومسرحيات ونقد وشعر - فى معظم البلاد العربية والإسلامية - الآن هو أدب يحمل المفاهيم العلمانية ، هل هذا الإنتاج الأدبى هو الذى سوف ينشر فى وسائل العولمة مثلاً لثقافتنا وهويتنا الإسلامية ؟ إن إنتاج أدباً إسلامياً يحمل المفاهيم الإسلامية ويعبر عن خلجات النفس المسلمة عامل هام - فى عصر العولمة - لنشر المفاهيم الإسلامية بطريق غير مباشر وعامل هام فى عدم الخروج عن المفاهيم الإسلامية عند معالجة شتى الموضوعات مثل العلاقة بين الرجل والمرأة ومثل معالجة الموضوعات الاجتماعية المختلفة أدبياً .

ومن هذا الأدب الإسلامى يمكن إنتاج أفلام السينما والتمثيليات التلفزيونية والمسرحيات . لقد استطاعت جمهورية إيران الإسلامية أن تنتج أدباً يحمل المفاهيم الإسلامية كما استطاعت أن تنتج كل الأفلام السينمائية لتحمل المفاهيم الإسلامية . ومع أن الأفلام الإيرانية الإسلامية ليس كلها دعوة للإسلام ولكنها تعالج شتى الموضوعات المختلفة ولكنك سوف تدهش لعدم وجود ما يتعارض مع المفاهيم الإسلامية

فى أى فيلم سينمائى إيرانى منتج فى عصر جمهورية إيران الإسلامية حتى فى أزياء ملابس النساء وسلوك الشخصيات وحركتهم وتعاملاتهم وعاداتهم فى الفيلم أو التمثيلية .

وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن العاملين فى صناعة السينما الإيرانية يفهمون معنى الثقافة جيداً .

وأتمنى أن نتعلم من الإيرانيين وننتج أفلاماً سينمائية تحمل مفاهيم ثقافتنا العربية الإسلامية فى عصر سوف تتعرى فيه المرجعيات العلمانية فى مجتمعاتنا الإسلامية .

رابعاً : يجب أن تكون هناك برامج على القنوات الفضائية ، ومواقع على شبكة الإنترنت تعالج شتى المجالات الإسلامية مثل الاقتصاد الإسلامى والثقافة الإسلامية والنظام الاجتماعى الإسلامى والنظام السياسى الإسلامى ، وكل موقع من هذه المواقع سواء كان على القنوات الفضائية أو شبكات الإنترنت أو فى الإذاعة أو التليفزيون يجب أن يشرف عليه المتخصصون والعلماء والباحثون كل فى مجال تخصصه .

خامساً : يجب أن يكون هناك جهاز للإعلام الإسلامى فى عصر العولمة ، ويجب أن تكون أهدافه فى خدمة الدعوة الإسلامية وخدمة العالم الإسلامى واضحة ومعلنة .

لقد كان العالم الإسلامى طوال تاريخه يموج بشتى الجماعات الإسلامية التى كانت تتولى عن المسلمين القيام بالدعوة الإسلامية ، لقد شكلت هذه الجماعات التى كانت تدعو لدين الله جهازاً إعلامياً إسلامياً تلقائياً دون تخطيط أو استراتيجيات ، وقد شمل هذا الجهاز الإعلامى الإسلامى التلقائى شتى الأقطار الإسلامية كما شمل شتى التجمعات الإسلامية فى أنحاء العالم المختلفة ، ولكن الاستعمار الأمريكى وأعوانه من الغربيين والأوروبيين استطاعوا أن يبذروا بذور الإرهاب فى بعض هذه الجماعات مما ألب عليها الحكومات وشتتوا هذا الجهاز الإعلامى التلقائى الذى كان يوحى بمستقبل واعد للدعوة الإسلامية .

إن إعادة إنشاء جماعات متخصصة للدعوة الإسلامية فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى وغير الإسلامى أصبح الآن واجب على حكومات العالم الإسلامى يقول دكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الإعلام المصرى الأسبق[1] تحت عنوان : (الجماعات المتخصصة فى الدعوة) :

« تنشأ جماعات متخصصة للدعوة فى كل بلد غير إسلامى ، كلما أمكن ذلك فإن تعسر ذلك أو تعذر ، تكون فى بلد قريب منه ، يمكن أن تصل الحقائق منه إليه ، فتتبت الجماعات الإرشادية التى كونها الفرض الكفائى لهذا الغرض فى طول الأقاليم وعرضها داعية مبينة مع اللقاء بالذين تدعوهم وتهديهم إلى الله تعالى ، بحيث يشعرون بالخير الذى سيكون فيه من يتبعون الإسلام حقاً وصدقاً .

وأن هؤلاء الذين يدعون للإسلام عن قرب ، ويلتقون بالمدعوين لا يقتصرون على القول ، بل يجب أن يكون تأليف القلوب بجوار الدعوة القولية التى تبين الحقائق الإسلامية ، فينبغى أن يصاحب ذلك وسائل عملية تؤلف ولا تفرق وتقرب النفوس من غير أن يكون فيها ما ينفر وذلك بالمعاونات الإنسانية المختلفة ، فإنها تدنى القلوب النائية .

فإذا كان الداعى متخصصاً فى فرع من فروع العلم ، بذل جهوده ليكون تخصصه فى خدمة من يدعوهم ومن وراء ذلك : تأليف قلوبهم . والمبشرون من ديانات أخرى يفعلون ذلك فى البلاد الإسلامية ، وإذا كانوا لا ينجحون ، فلأنهم بين أقوام دينهم أهدى سبيلا وأقوم دليلا » .

سادساً : لماذا لا يتم إظهار النواحى التى للمسلمين ميزة نسبية فيها فى وسائل العولمة ، مثل النواحى الروحية والأخلاقية فى حياة الفرد المسلم العادية ؟ لماذا تغيب الميزات النسبية التى تمثل قوة حقيقية للفرد المسلم فى عالم لا يحترم إلا الأقوياء مثل

(١) د. محمد عبد القادر حاتم . كتاب « الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام » دعوة مستقبلية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

الجهاد الإسلامى ؟ إن الجهاد الإسلامى يجب أن يدخل فى مضمار تربية أبنائنا وفى البرامج الدراسية فى المدارس والجامعات . يجب أن ننظر للعالم من حولنا ، فحزب بهارتياجاناتا الهندوسى المتطرف هو الذى فاز فى الانتخابات الهندية الأخيرة ، وأشد الجماعات والأحزاب اليهودية تطرفاً لها ممثلون فى البرلمان الإسرائيلى ، وفى أمريكا وأوروبا هناك جماعات دينية متطرفة عديدة مسموح لها بالوجود ومزاولة نشاطها المسيحى .

سادساً : إنتهاء عصر الدكتاتوريات :

من إيجابيات العولمة إضعاف الدكتاتوريات والتخفيف من تسلط الحكام على الشعوب وعلى المدى المتوسط فربما تختفى الدكتاتوريات من العالم .

ففى عصر العولمة هناك مساحات شاسعة من الانكشاف والوضوح وما كان مخفياً أو متوارياً سيصبح ظاهراً ومكشوفاً ، ومساحة الحرية التى تتيحها العولمة أمام الأفراد ستجعل الدكتاتوريات الموجودة فى العالم تلفظ أنفاسها الأخيرة .

إن الأفراد فى كل مكان من العالم إذا ماتيسر لهم حاسبات واشتراك فى شبكة الانترنت سواء بالتملك أو الإيجار يمكنهم أن ينشئوا مواقع لهم على شبكة الانترنت دون رقابة ودون تدخل من أحد ليبثوا فيها آراءهم مهما كانت ويبثوا فيها آمالهم وأحلامهم .

إن الحكومات فى عصر العولمة عليها واجب تحقيق رغبات شعوبها ، إن رغبات الشعوب الإسلامية وتطلعاتها وأشواقها فى تحقيق الوحدة الإسلامية يجب أن تعمل الحكومات على تلبيتها ولا تضع العراقيل والعوائق حيالها . إن تحقيق الوحدة الاقتصادية بين الشعوب الإسلامية أصبح الآن مطلباً ملحاً فى عصر العولمة . إن تنقية الإنتاج الثقافى فى كثير من البلاد الإسلامية من مفاهيم وشوائب الثقافة الغربية العلمانية كفيل بإرجاع وحدة الثقافة الإسلامية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى . ينبغى أن تكون هناك استراتيچية ذات مراحل متعددة لتحقيق الوحدة الإسلامية مثلما فعلت أوربا فى تحقيق الوحدة الأوربية .

سابعاً : الاعتراف بالآخر :

من إيجابيات العولمة الاعتراف بحق الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى فى الوجود وحقها فى الدفاع عن نفسها فى مواجهة الثقافات والحضارات الأخرى .

فى بداية عصر الاستعمار كان المفكرون والعلماء وكثير من المثقفين فى أوربا والبلاد الغربية الاستعمارية يعتقدون أنهم يستطيعون بواسطة الغزو الثقافى والتغريب أن يغيروا ثقافة الشعوب التى احتلوا أرضها ، وقد عملوا على تعليم وتدريب نخب من أهالى البلاد التى احتلوها ليقوموا بمهمة التغريب والغزو الثقافى عند الرحيل والعودة إلى بلادهم . وفى رسالة بعث بها نابليون بونابرت إلى كليبر بعد عودة نابليون إلى باريس يقول فيها :

« اجتهد فى جمع ٥٠٠ إلى ٦٠٠ شخص من المماليك أو من العرب ومشايخ البلدان لنأخذهم إلى فرنسا فنحتجزهم مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم » ويضيف بونابرت :

« كنت قد طلبت مراراً جوقة تمثيلية وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها إليك لأنها ضرورية للجيش وللبدء فى تغيير تقاليد البلاد » .

وبعد قرن أو يزيد وبعد ازدياد النخب المتغربة بل وسيطرتها على مقاليد ومقدرات كثير من البلدان الإسلامية فى النواحى الثقافية والسياسية والاقتصادية ، فإن الاستعمار وغزوه الفكرى والنخب المتغربة التى رباها لم تستطع أن تغير ثقافة الشعوب.

لقد اتضح للعلماء والمفكرين أن الثقافة ترتبط بالاعتقاد الدينى وأنها تستمد مفاهيمها من مفاهيم ومعطيات الاعتقاد الدينى ، وإن كان الفلاسفة والمفكرون قد استطاعوا أن يهدموا المعتقدات اللاهوتية فى أوربا بعد انتهاء الحروب الصليبية وأن ينشأ اعتقاد مادى لا دينى يعرف بالمادية الجديدة التى هى أساس الاعتقاد فى الثقافة

العلمانية الغربية المعاصرة منذ القرن السابع عشر الميلادى وحتى الآن ، فقد اتضح الآن أن هذا الاتجاه كان خاطئاً ولذلك انهارت الحداثة وجاءت ما بعد الحداثة فى عصر العولمة لتبحث عن الروحانيات المفقودة فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة .

ولذلك يجب علينا أن نعود لمفاهيم ديننا الإسلامى فى مجال الثقافة والمجالات الأخرى ونتخلى عن المفاهيم العلمانية التى سببت تمزق المجتمعات الإسلامية ، فثقافة الشعوب لا يمكن تغييرها بقصة أو مسرحية متبلة بالفحش والإغراء أو بقصيدة شعر تشكك فى خالق السماوات والأرض جل جلاله .

فالاعتراف بالاختلاف بين الثقافات والحضارات هو تقرير لواقع حقيقى يستدعى التعرف على نقاط الخلاف والبحث عما هو مشترك ولذلك نشأ ما يعرف بحوار الحضارات فى عصر العولمة .



الفصل الخامس

سلبيات العولمة

للعولمة سلبيات عديدة ، ولكن يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن العالم الإسلامى مصاب بالفعل بالكثير من هذه السلبيات من قبل العولمة ، إنه مصاب بهذه السلبيات منذ أوائل القرن العشرين أى منذ الغزو الاستعمارى للبلاد الإسلامية وما تبعه من غزو فكرى وتغريب .

إن سلبيات العولمة يمكن تجنب بعضها وتقويم بعضها الآخر ، وإحلال مفاهيمنا الإسلامية محل المفاهيم العلمانية فى بعضها ، ولكن يجب أن نكون مسلحين بالوعى والبصيرة والعلم والشجاعة وتصحيح المفاهيم الخاطئة التى أصابت مجالات حياتنا الثقافية والحضارية منذ أوائل القرن العشرين مثل المفاهيم العلمانية فى الأدب والفنون والقوانين الوضعية التى حلت محل القوانين المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية والعودة إلى المفاهيم الإسلامية فى مجالات الاقتصاد ونظام الأسرة والنواحى الاجتماعية وذلك لأن أخطر سلبيات العولمة هو تهديد الهويات الثقافية والهويات الحضارية للأمم والانسحاق تحت الهوية العلمانية الغربية الحديثة بسرعة وضراوة قد لا يمكن ملاحقتها والوقوف فى وجهها ومقاومتها . إن العودة لمفاهيم هويتنا الإسلامية فى المجالات الثقافية والحضارية المختلفة هى الخطوة الأولى التى يجب أن نبدأ بها ونحن نعد للدخول فى حلبة العولمة الاقتصادية .

إن فهم ومعرفة أنفسنا والمفاهيم الصحيحة لعناصر ثقافتنا الإسلامية ، والمفاهيم الصحيحة لحضارتنا الإسلامية هى خطوات أولى فى طريق العودة لمفاهيم هويتنا الإسلامية فى شتى المجالات .

ويمكن أن تعالج بعض السلبيات التى تظهر فى عصر العولمة على المستوى العالمى بمفاهيمنا الإسلامية الصحيحة مثل تصحيح النظرة المادية الأحادية فالحياة مادة وروح ومثل تفعيل مفاهيمنا الأخلاقية الإسلامية فى : مجالات الاستنساخ ، وفى اختلاط الأنساب فى مجال التلقيح الصناعى وزراعة البويضات الملقحة فى أرحام النساء وفى مشاكل تطبيقات نتائج الجينوم البشرى والأبحاث والتجارب التى تجرى عليها الآن والتى لا يعرف عنها الإعلام شيئاً والتى قد تؤدى إلى نتائج خطيرة قد لا يمكن تداركها وتهدد العالم فى حالة عدم السيطرة عليها .

وسلبيات العولمة لا يقتصر تأثيرها على الدول النامية فقط ولكنها تشمل أيضاً الدول المتقدمة ، ولذلك لم يكن غريباً أن المظاهرات التى قامت تحتج على سياسات العولمة قام بها متظاهرون من أبناء الدول المتقدمة ، ومع ذلك فأسبابها وتأثيرها يختلف فى الدول النامية عنها فى الدول المتقدمة وقد تركزت حجج المتظاهرين ضد العولمة - سواء فى مظاهرات سياتل أثناء الاجتماع الوزارى الثالث لمنظمة التجارة العالمية فى ديسمبر ١٩٩٩ أو فى مظاهرات نيويورك أثناء الاجتماع الدورى لصندوق النقد والبنك الدوليين فى منتصف أبريل ٢٠٠٠ وكذلك المظاهرات ضد العولمة فى عدد من العواصم والمدن فى الدول المتقدمة بمناسبة عيد العمال - سواء كانوا أفراد أو منظمات أو جماعات فى الأسباب الآتية :

(أ) المظاهرات فى بعض المدن الأمريكية كانت ترى أن العولمة تفرض التزامات على أمريكا تمس سيادتها الوطنية وتؤدى إلى التفريط فيها وأنها تكلف أمريكا تكلفة إضافية لا داعى لها .

(ب) بعض مظاهرات العمال ونقاباتهم فى كندا وأمريكا والمدن الأوربية يرون أن فتح الأسواق فى بلادهم أمام البضائع الأجنبية سيكون على حساب العمال الوطنيين وفرص العمل المتاحة لهم وضد مصالح المنتجين أيضاً . ويجب أن تكون هناك تدابير أكثر صراحة بشأن شروط التجارة فى سائر أنحاء العالم . ويجب أن يكف صندوق النقد الدولى والبنك الدولى عن تشجيع الدول النامية على تطوير صناعات للتصدير لأن ذلك سوف يؤثر على فرص العمل فى الدول المتقدمة . وبعض المحتجين يرون أن زيادة استثمارات الشركات الأمريكية فى الخارج له تأثير سلبى على فرص العمل داخل

أمريكا ، والبعض الآخر يحتج على الشركات عابرة القارات لأنها تحصل على مواد خام أقل سعراً من البلاد النامية وتستخدم عمالة أرخص أجراً لإنتاج سلع تباع فى الدول المتقدمة مما يؤثر سلباً على المصانع التى تصنع هذه المنتجات وبالتالى على العاملين فيهـــا .

(جـ) وبعض المحتجين في هذه المظاهرات من أنصار حماية البيئة وبعضهم شديدو العنصرية والأنانية ويرون أن الدول النامية بؤرة قذارة ويندون بمنظمة التجارة العالمية التى توفر فرصاً لدخول سلع تتمتع بالمواصفات البيئية والصحية السليمة إلى أسواق الدول المتقدمة التى قطعت شوطاً كبيراً فى حماية البيئة .

(د) هناك جماعات قليلة من المحتجين تطالب بإسقاط الديون عن الدول النامية.

(هـ) وهناك جماعات ومنظمات تحتج على العولمة معتبرين أنها نوع من الهيمنة المركزية التى هى محور رفضهم ضد كل هيمنة بما فى ذلك هيمنة الحكومات التى لا يقبلونها دون تمييز بين حكومات ديمقراطية وأخرى طاغية .

وهذه الاحتجاجات الموجهة ضد العولمة هى فى حقيقتها أحد مظاهر العولمة فقد بدأت بتنسيق بين عدد من المنظمات فى بلاد مختلفة ، وتم القسم الأكبر من هذا التنسيق عبر شبكة الإنترنت ولذلك فبرغم أن هذه الاحتجاجات تناهض العولمة فإنها تؤكد بل ربما تدعم وجودها[1] .

غير أن هذه المظاهرات لجأت لأسلوب غير أمين فى استخدامها لشبكة الإنترنت فى حملتها ضد العولمة ، فقد أنشأت مواقع مزيفة على الشبكة نسبتها إلى منظمة التجارة العالمية وقلدت فيها تصميم موقعها الرسمى وقدمت فيها معلومات غير صحيحة كان الهدف منها إثارة الغضب ضدها .

إن هذه المظاهرات فى الحقيقة لا تمثل سلبيات العولمة الحقيقية ولكنها تشير إلى بعضها على أية حال .

---

(١) د. وحيد عبد المجيد - الأهرام فى ٢/٦/٢٠٠٠

ويمكن تفصيل سلبيات العولمة كما يلى :

١ - تآكل سيادة الدولة :

من سلبيات العولمة تآكل سيادة الدولة ، فالعولمة تؤثر على سيادة الدولة الداخلية ، ولكنها لا تؤثر على سلطتها الخارجية أو سلطتها القانونية .

فالعولمة تسقط الحدود والحواجز وتسمح بانسياب رؤوس الأموال والأشخاص والتكنولوچيا وحرية انتقالها عبر حدود الدول ، وتسمح للشركات عابرة القارات بحرية الحركة دون اعتراض . والعولمة تعترض سلطة الحكومة فى تغيير العلاقة بين القطاع العام والقطاع الخاص .

وفى الدول المتقدمة الديمقراطية وفى ظل العولمة ، فمع أن الأفراد يباشرون حقهم فى التصويت فى الانتخابات لكن قوة التصويت فى تشكيل السياسة العامة للدولة تقل مع انخفاض السيادة الداخلية للدولة ، والضعف فى سيادة الدولة الداخلية الدائم سوف يلقى عبئاً على المؤسسات الديمقراطية .

والعولمة لا تناهض سيادة الدولة الداخلية كقواعد تنظيمية أساسية سياسية واجتماعية ولكنها تناهض تنظيم الدولة على أساس تقليدى عبر خطوط إقليمية ، أى أنها تحترم الخصوصيات الثقافية والحضارية للدولة ولكنها لا تنظر كثيراً إلى الحدود الجغرافية بين الدول . وفى الحقيقة فإن كثيراً من الحدود بين الدول نشأ نتيجة للاحتلال الأجنبى لأراضى الغير ، فالحدود التى نشأت بين الدول الإسلامية هى حدود مصطنعة . وفى كثير من فترات التاريخ كانت هناك دولة إسلامية واحدة دون حدود بين أقاليمها .

وفي ظل العولمة فإن العالم يصبح قرية صغيرة يجوز التدخل فى أرجائها بدعوى استعادة الديمقراطية ، أو رعاية حقوق الإنسان أو حماية الأقليات المهددين من الأغلبية أو حماية البيئة . ولكن من الذى يقرر التدخل من عدمه ؟

هل هو مجلس الأمن ؟

هل هى الأمم المتحدة ؟

أم أنها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية ؟

لقد شاهدنا فى العقد الأخير أن مجلس الأمن أصبح تحت السيطرة الكاملة لأمريكا ، وأن الأمم المتحدة والمنظمات الدولية أصابها الضعف وعدم الفاعلية ، وأن الجمعية العامة للأمم المتحدة تحولت لمنبر خطابى بدون فاعلية .

لقد اتسمت العلاقات بين الدول بمدى الخضوع للولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت عملية التدخل فى شئون الدول تعبر عن المسئولية الجماعية للنظام الدولى الجديد فى الظاهر وفى الحقيقة تعبر عن رغبة أمريكا وإرادتها . لقد أصبح الكيل بمكيالين وازدواج المعايير من سمات العولمة ، كما أصبحت الأمم المتحدة حارسة للتدخل فى شئون بعض الدولة وحصار شعوبها وعقابها اقتصادياً حيث تدفع الشعوب فواتير أخطاء حكامها .

إن التدخل الخارجى بواسطة أمريكا والدول الأوربية فى شئون الدول النامية هو انتهاك لسيادة الدول النامية ، إنه نوع من السيطرة والهيمنة ، إنه استعمار جديد تحت سيادة قانون العولمة بدعوى حقوق الإنسان وحماية الأقليات وحماية البيئة وبدعوى استعادة الديمقراطية .

ولا شك أن تآكل سيادة الدولة أصبحت تشغل مراكز الأبحاث فى الدول المتقدمة فهناك مراكز أبحاث تبحث عن إجابة لأسئلة مثل : هل يمكن الاستغناء عن وجود الدولة فى عصر العولمة ؟

وهل يمكن أن تنجح حكومة عالمية فى إدارة شئون العالم ؟

كما أن الدول بدأت فى بحث هذه المشكلة ، ففى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة الألفية الجديدة كشفت كندا عن تشكيل لجنة مستقلة دولية للتوفيق بين سيادة الدولة والتدخل العالمى لمنع المذابح والكوارث وأطلقت على هذه اللجنة اسم « اللجنة الدولية المستقلة للتدخل وسيادة الدولة » ، وذلك بهدف مساعدة الأمم المتحدة فى التغلب على انقساماتها الداخلية والتدخل بفاعلية أكثر لمنع الكوارث الإنسانية . وقال لويد اكسورثى وزير خارجية كندا فى كلمته أمام الجمعية العامة للأمام المتحدة : (إن هدف اللجنة هو تسوية قضية حق الدولة فى صيانة سيادتها فى الوقت الذى تقوم

فيه بالواجب العالمى من أجل التدخل لوقف مذابح الكوارث الإنسانية) ، ودعا وزير خارجية كندا وفد الـ ١٨٨ دولة التى تعارض معظمها مفهوم التدخل الإنسانى إلى المشاركة فى المناقشات بشأن اللجنة الجديدة .

وميثاق الأمم المتحدة الموجود الآن يحدد مفهوم سيادة الدولة ويمنع التدخل فى سيادة الدولة ، ولذلك من أولويات جدول الأعمل الذى سيوضع أمام رؤساء دول العالم - الذين سيجتمعون احتفالاً بالألفية الجديدة فى أواخر سنة ٢٠٠٠ - مناقشة موضوع حق التدخل الإنسانى وما يتطلبه ذلك من تعديل مفهوم سيادة الدولة .

ومع ما يبدو فى هذا من نواحى إنسانية أوجدتها العولمة فإن الحقيقة الواضحة فى ذلك ترجع إلى أن العولمة تحاول فرض النمط الحضارى الغربى على العالم وخاصة النظام الديمقراطى العلمانى الغربى حيث تدور الحريات تحت مرجعية علمانية .

ولكن ماذا يحدث لو دارت الحريات تحت مرجعية إسلامية - كما حدث فى جمهورية إيران الإسلامية فى انتخاباتها الأخيرة - فهل سيكون ذلك النظام الديمقراطى ذو المرجعية الإسلامية نمطاً حضارياً يوجب التدخل فى سيادة الدولة الإسلامية ؟

٢ - خلط الثقافات :

من أخطر سلبيات العولمة « خلط الثقافات » أو محاولة إحلال مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة العلمانية الغربية الحديثة مكان مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الإسلامية فى المجالات المختلفة أو محاولة إيجاد ثقافة واحدة سائدة ومسيطرة على العالم ببحث وإبراز ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة .

ومع أن الاستعمار طوال قرن ونصف لم يستطع أن يغير ثقافة الشعوب التى احتلها وأعمل فيها غزوه الفكرى ، إلا أنه نجح فى جعل إنتاجه الثقافى يسيطر ويسود . كما أنه نجح فى أن يجعل الإنتاج الثقافى فى كثير من البلاد الإسلامية يحمل المفاهيم العلمانية بدلاً من المفاهيم الإسلامية ، كما أنه نجح أيضاً فى خلط الأمور نتيجة للجهل والتجهيل فى زمن الاستعمار والغزو الفكرى حتى أن كثيراً من كبار المثقفين والمبدعين فى بعض البلاد العربية يخلطون بين معنى الثقافة والإنتاج الثقافى ، وبعضهم لا يفرق

بين الثقافات الرئيسية الموجودة فى العالم الآن وبين الثقافات الفرعية . ويرجع ذلك لأن الغزو الفكرى والتغريب جعل المثقفين المتغربين والعلمانيين فى بلادنا يفكرون وينتجون على نفس نمط التفكير والإبداع الغربى أى أنهم مقلدون وليسوا مبدعين ، ولو كانوا مبدعين حقاً وموهوبين حقاً لأخذوا كل جديد أنتجه الغربيون وفهموه وهضموه ثم أبدعوا فنوناً تعبر عن هويتهم وتحمل مفاهيم ثقافتهم العربية الإسلامية .

فى هذا المجال يجب أن نفرق بين معانى ثلاثة : الثقافة ، الإنتاج الثقافى ، المثقف وفى السطور التالية سأسجل مقال جاء لكاتب هذه السطور ونشر بجريدة الأهرام عن هذه المعانى الثلاثة . نص المقال :

(طرحت[1] ندوة الأهرام الأخيرة مشكلة الثقافة والمثقفين العرب وطالبت الندوة بطرح القضية على كل المثقفين العرب ، فهل هى أزمة ثقافة ، أم أزمة مثقفين ، أم أنها أزمة إنتاج ثقافى ؟

لقد اعتقد بعض المثقفين أنهم يستطيعون تغيير ثقافة المجتمع بوسائل عديدة من أهمها الإنتاج الثقافى ، وفى الحقيقة فإن هذا الاتجاه كان موجوداً فى الغرب وفى الاتحاد السوفيتى أيضاً قبل انتهاء الحرب الباردة حيث كان هناك عدد من المفكرين الليبراليين والاشتراكيين يعتقدون أن التغيير الأيديولوجى السياسى الاقتصادى يمكن أن يصاحبه تغيير ثقافى . .

وهذا الاتجاه كان نتيجة عدم فهم المعانى الثلاثة : الثقافة ، المثقفين ، الإنتاج الثقافى .

ولذلك كان لزاماً علينا لكى نتبين أزمة المثقفين العرب والثقافة العربية أن نلقى الضوء على هذه المعانى الثلاثة :

١ - الثقافة : لن ندخل فى تعريفات مصطلح الثقافة التى اختلفت تبعاً للخلفية الثقافية لكل عالم أو أنثروبولوجى يحاول أن يعرفها ، فجاءت التعريفات مختلفة بعض الشىء فى الثقافات الرئيسية الموجودة الآن فى العالم وهى الثقافة الهندية والثقافة اليابانية الصينية والثقافة الغربية العلمانية الحديثة والثقافة العربية الإسلامية .

(١) مقال د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى نشر بجريدة الأهرام ٢٠٠٠/٢/٢٥ .

وكل ثقافة من هذه الثقافات الرئيسية هى ثقافة « أم » وكل ثقافة أم يتفرع منها ثقافات فرعية تبعاً للغة والظروف الجيوفيزيائية والظروف البيئية والأقليات العرقية والأقليات الدينية ، فمثلاً الثقافة الإنجليزية والثقافة الفرنسية والثقافة الأمريكية هى ثقافات فرعية للثقافة الأم وهى الثقافة الغربية العلمانية الحديثة .

والمعانى المشتركة لتعريف الثقافة بين هذه الثقافات الرئيسية « الأمهات » الموجودة فى العالم الآن هى أن الثقافة ممارسة وسلوك وحياة الناس - كل الناس أو الغالبية العظمى منهم - فى المجتمع من اعتقاد دينى وأخلاق وسلوك ومفاهيم للفنون والقانون والعادات ومقدرات مكتسبة بواسطة الفرد بوصفه عضواً فى المجتمع ، ومعرفة وكلها مرتبطة بالاعتقاد الدينى سواء كان هذا الاعتقاد الدين الإسلامى أو البوذية أو الهندوسية أو المسيحية أو « المادية الجديدة » التى نشأت فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى .

والثقافة شىء مختلف عن وصفنا لشخص بأنه مثقف ، لأن الثقافة يشترك فيها المتعلم والأمى ، ويشترك فيها الشخص الحاذق فى الرسم والنحت والموسيقى مع الشخص الفلاح أو العامل ، فالثقافة تشمل الأشياء العفوية البسيطة مثل عادات الطعام وأزياء الملابس .... والاختلافات الموجودة بين الثقافات الرئيسية فى العالم ترجع فى غالبيتها إلى اختلاف المفاهيم الدينية التى تشمل شتى المناحى ، فالاعتقاد الدينى هو المكون الرئيسى لأى ثقافة موجودة لأن الدين يصبغ عناصر الثقافة بمفاهيمه ومعطياته .

وقيام الثقافات أو انهيارها يرجع إلى قيام اعتقاد دينى (سواء كان ديناً سماوياً أو غير سماوى أو مادى) ليحل محل اعتقاد دينى منهار .

وهذه الحقيقة الأخيرة يدل عليها شواهد وبراهين كثيرة ومنها استقرار التاريخ الإنسانى .

٢ - المثقف : لن ندخل فى تعريف المثقف وتعريف المبدع ، سأدخل مباشرة فى لب الموضوع الذى نحن بصدده وهو عزلته عن أمته وعدم استشرافه للمستقبل والأسباب التى أدت إلى ذلك .

وفى هذا المجال سوف أركز على عوامل هى :

(أ) تأثر بعض المثقفين العرب بالثقافات الأخرى خاصة الثقافة الغربية الحديثة ، وافتتانهم بها والنسج على منوالها دون الوعى بأهمية التمسك بمفاهيم هويته الثقافية واستكناه معطياتها وارتباطه بجذورها حتى يرتبط بالجمهور العريض فى بيئته العربية.

(ب) حيز الحرية المتاح فى البلدان العربية ومدى اتساعه وضيقه وانعكاس ذلك على الفكر والإبداع .

(جـ) إهمال الديناميكية وإعادة التثقيف ، فالمثقف بما يتوافر له من عوامل المعرفة والنضوج يفترض فيه أن يعيد ترتيب أفكاره أو تغييرها حسب ما يتحصل عليه من معارف ومعلومات بوسائل أصبحت سهلة ومتاحة فى العصر الحديث ، والإنسان يظل يتعلم حتى آخر حياته .

٣ - **الإنتاج الثقافى :** يشمل هذا الإنتاج الأدب والفنون وغيرها ، ولكى يصبح هذا الإنتاج مطلوباً محلياً وعربياً وعالمياً فبجانب تميزه الفنى وابتكاريته يجب أن يعبر عن مفاهيم الثقافة التى ينتمى إليها ، بل يجب أن يتمسك ويستعصم بمفاهيم هويته الثقافية . إن الثقافة العربية فى جميع البلاد العربية واحدة وثابتة ولم تتغير بالرغم من الاختلافات والتغيرات السياسية والأيديولوچية على مر العصور ، أما الإنتاج الفنى أو الأدبى فى معظم البلاد العربية فهو الذى تنساب فيه مفاهيم ثقافة أخرى مغايرة هى الثقافة الغربية الحديثة .

يجب أن يعاد النظر فى الإنتاج الأدبى حتى يجىء تبعاً لمفاهيم هويته العربية الأصيلة ، وحتى تعود إليه الجماهير العريضة فى المجتمعات العربية ، عندئذ لن تكون هناك عزلة أو مشكلة للثقافة والمثقفين .

والحقيقة أن عملية خلط الثقافات ليست وليدة العولمة ، ولكنها نتيجة من نتائج العصر الاستعمارى وغزوه الفكرى ، أى إن السبب الحقيقى لوجودها هم العلمانيون من أبناء الثقافات الأخرى ومنهم العلمانيون فى البلاد العربية والإسلامية .

ويتطلع الغربيون إلى أن يكون العلمانيون المسيطرون على مقدرات كثير من الشعوب - ومنهم بعض الشعوب الإسلامية - هم وسيلتهم الحقيقية فى استمرار خلط الثقافات فى عصر العولمة ، بل ازدياد وانتشار عملية خلط الثقافات حتى تسيطر وتسود الثقافة العلمانية الغربية الحديثة فى جميع أنحاء العالم مثلما سادت وسيطرت الأفكار الليبرالية السياسية والاقتصادية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى .

إن الجناية الكبرى والمصيبة العظمى التى قد تقع فى عصر العولمة - إذا لم يتنبه أبناء الثقافات الهندية والصينية اليابانية والثقافة العربية الإسلامية - هى الاعتراف بالإنتاج الثقافى العلمانى كممثل حقيقى ووحيد للثقافات المختلفة . إن عدم الوعى بأن الأدب الإسلامى والفنون الإسلامية هى الممثل الحقيقى للثقافة العربية الإسلامية وهى التى يجب أن تنتشر وتسود فى وسائل العولمة كممثلة لهويتنا الثقافية يجب أن نتنبه إليه من الآن ، لأن خطر العولمة الحقيقى سيكون على الهوية الثقافية والهوية الحضارية .

ومع ذلك فإن المسلمين ليسوا من الغفلة إلى هذه الدرجة التى يفرطوا فيها فى ثقافتهم وهويتهم حتى تصير كثقافة الهنود الحمر فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومع ذلك فإن الخوف على الهوية الثقافية من غزو الثقافات الأخرى ليس مقصوراً على الثقافة الإسلامية ولكنه يشمل الثقافات الأخرى وخاصة الثقافة العلمانية الغربية نفسها ، فأبناؤها يخافون عليها من غزو الثقافة الإسلامية .

وعن عملية خلط الثقافات والخوف من غزو الثقافات الأخرى يقول وزير الدولة البريطانى(١) :

« إحدى المشكلات فى القرن القادم إمكانية اتساع الفجوة أو الهوة التى تفصل المجتمعات التى هى فى مقدمة هذا التغيير . ويمكن القول أن المعلوماتية سوف تغير مجرى حياتنا جميعاً - الاتصالات الفورية عن طريق الإنترنت والفضائيات وتليفزيون الفضائيات - فلم يعد فى الإمكان فصل الثقافات بعضها عن بعض » . ويضيف الوزير البريطانى : « أتمنى أن تزدهر القيم والفضائل الإسلامية بيننا مثل تماسك أفراد

(١) وزير الدولة البريطانى بيترهين فى مؤتمر « ويلتون بارك » بانجلترا يوم ١٩٩٩/١١/٢٩م ونشرتها جريدة الأهرام فى ١٩٩٩/١٢/٣م .

العائلة الواحدة ومثل الأهمية العظمى الذى يعطيها الإسلام للعلم والتعلم » . ثم يضيف : « إن وجود هذا العدد الكبير من الثقافات جنباً إلى جنب يمكنه أن يجلب مجموعة من الفوارق والاختلافات فى الرأى وقد يشعر بعض أعضاء المجتمع المضيف بالخطر إذا شعروا أن ثقافتهم ستغزوها وتغطى عليها ثقافة أخرى . فعملية خلط الثقافات تجرى الآن فى جميع أنحاء أوربا وفى جميع أنحاء العالم أيضاً ، ولكن يجب الا نكتفى بذلك » .

إن عملية خلط الثقافات تتسلل وتنتشر عبر وسائل العولمة مثل مؤتمرات الأمم المتحدة كمؤتمر السكان ومؤتمر الحوار بين الحضارات ومؤتمرات الحوار بين الأديان ، والغريب أن الذين يحضرون بعض مؤتمرات الحوار بين الأديان يكونوا من العلمانيين فى كلا الجانبين .

وعملية خلط الثقافات التى انتشرت وذاعت فى الآونة الأخيرة فى أمريكا والغرب تدل فى الحقيقة على خوف من غزو الثقافة الإسلامية للثقافة الغربية العلمانية فى ظل العولمة ، خاصة بعد أن أصبح عدد كبير من الأمريكيين والأوربيين يدخلون فى الإسلام فى ظل اتجاه ما بعد الحداثة فى الفكر الغربى الذى يتلمس الطرق للعودة للروحانيات .

يقول الأمير تشارلز ولى عهد انجلترا فى منتدى « ويلتون بارك » بلندن : « كنت ولا أزال أعتقد أن الروحانيات ليست من الأمور التى صنعها الإنسان فى حياتنا بل هى إلهام من الله سبحانه وتعالى قصد بها إظهار التناغم فى الطبيعة وإبراز الانسجام الأساسى فى الكون ... »[1] . ويضيف : « وقد ترددت فترة طويلة قبل أن أقترح بأنه من الجدير أن نحاول استغلال هذه المناسبة لإقامة ندوة تبحث فى موضوع الإحساس بالروحانيات وارتبط ذلك بمشكلة خلق التفاهم بين العالمين الإسلامى والغربى ، مما يشجعنى على التطرق إلى هذا الموضوع هو الواقع العملى القائم ومفاده أننى كلما استجمعت شجاعتى وتكلمت فى هذا الموضوع - حتى أمام أناس عمليين واقعيين لا ينخدعون بسهولة مثل رجال المال أو شركات البناء - فقد كان يبدو لى دائماً بأن كلامى كان له وقع كبير على نفوسهم وكان يستحوذ على قدر كبير من الانتباه

(١) الأمير تشارلز (أمير ويلز) فى منتدى « ويلتون بارك » بلندن جريدة المسلمون (قبل احتجابها) فى ١٩٩٧/١/٣م - ٢٤ شعبان ١٤١٧هـ .

والاهتمام . وفى اعتقادى أن فى أعماق كل واحد منا استجابة عميقة لهذا الإحساس بالروحانيات ، لكن الغالبية ترتاع من الاعتراف بوجود ذلك الإحساس خوفاً من أن يصبح المرء معرضاً للهزء والسخرية وسوء المعاملة . وهذا الخوف من التعرض للسخرية والذى يصل إلى حد التهرب من ذكر اسم الجلالة هو دليل حقيقى لفقدان معناه فى نطاق ما نسميه اليوم بالحضارة الغربية .... » .

« وإنى أستهل أفكارى بالاعتقاد أن الحضارة الإسلامية فى حقيقتها لها رسالة هامة تقدمها للغرب وذلك بنظرتها المتكاملة والمتحدة لروحانية العالم الذى يحيط بنا . يمكن أن نساعد فى إعادة اكتشاف جذور تفهمنا للحياة وذلك بتقدير ذلك الاحترام العميق فى التقاليد الإسلامية لنظام الكون الذى أبدعه الخالق . وإنى أعتقد بأن هذه العملية من شأنها أن تساعد على تقريب الديانتين إحداهما من الأخرى وقد تساعدنا نحن فى الغرب على إعادة النظر والتفكير الجدى فى تحكمنا المادى بالإنسان وبيئته ، كأن تساعدنا حتى فى أمور العناية بالصحة والبيئة الطبيعية والزراعة والمعمار وتخطيط المدن . وهنا أود بشكل موجز أن أوضح لماذا أعتقد ذلك : إن المذهب المادى العصرى الذى يقول بأن الدين والأهداف العليا تتمثل فى الرفاهية المادية وفى زيادة التقدم المادى هو حسب رأيى المتواضع ليس مذهباً متوازناً وهو ضار فى عواقبه على المدى البعيد . لقد بدأنا الآن فقط في إدراك النتائج المشئومة لهذه النظرة ويبدو أننا فى الغرب قد فقدنا الإحساس بكمال بيئتنا ومسئوليتنا العظيمة والخطيرة تجاه العالم كله » .

ويقول تشارلز : « وكلما ابتعدت العلوم والتكنولوجيا وانفصلت عن الاعتبارات الأخلاقية والثوابت المقدسة كلما بدت نتائج هذا الانفصال كئيبة ومخيفة مثلما يحصل مثلاً فى التلاعب بالجينات أو فى نتائج تلك الغطرسة العملية التى تبدت فى فضيحة مرض جنون البقر ... » ويقول : « ناديت ببذل الجهود الكبيرة لتشجيع التفاهم بين العالمين الإسلامى والغربى . إن ثقتى بأهمية هذا العمل لا تتزعزع ولا تتغير . غير أن الضرر قد يلحق بثقافتينا فيما لو استمر جهل الواحد منا بثقافة الآخر ، أو إذا نما وزاد هذا الجهل مع الزمن فهو ضرر لا يمكن تقدير عواقبه . هنا طرق عديدة يمكننا بها بناء هذا التفاهم والتقدير المتبادل وتعزيزهما . وحتى وإن

ابتدأنا بالتفاهم للأمور الروحية كالتى تتخلل وتتداخل فى كل ناحية من عالمنا فهناك إمكانية قوية لتأسيس روابط جديدة ومتينة بين الحضارة الإسلامية والغرب ، ربما ابتدأنا مثلاً بإدخال عدد من المعلمين المسلمين المدارس البريطانية أو بتشجيع التبادل بين المعلمين . ففى كل أنحاء العالم نجد الناس يقبلون على تعلم اللغة الإنجليزية ولكننا فى الغرب نحتاج إلى أن يعلمنا المسلمون كيف نتعلم مجدداً بقلوبنا بالإضافة إلى أن نتعلم بعقولنا » .

إن عملية خلط الثقافات تدور فى ظل تعتيم إعلامى طاغى ومسيطر وهى كما أسلفنا وليدة الغزو الفكرى والتغريب ، ولكن العولمة تعتمد عليها فى انتشار وسيطرة الثقافة العلمانية الغربية الحديثة كما سيطرت وسادت الليبرالية السياسية والاقتصادية على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى .

إن عملية خلط الثقافات تعتمد على العلمانيين من أبناء الدول العربية والإسلامية فى العالم الإسلامى وهى سائرة ومستمرة دون وعى وإدراك من الشعوب فى المجتمع الإسلامى ، بل إن كثيراً من العلمانيين فى البلاد العربية لايفهمون الخصوصية الثقافية وبعضهم يقاوم الهوية الإسلامية ويرفضها ويعتبرها من الأفكار القديمة ، وقد أدى ذلك إلى بلبلة وخلط لدى بعض فئات المجتمع كما أدى إلى التمزق الاجتماعى ، حيث توجد ثقافتان متعارضتان : ثقافة المجتمع وهى الثقافة العربية الإسلامية وثقافة بعض النخب العلمانية التى تنتشر فى بعض الكتابات وبعض الإنتاج الثقافى وهى الثقافة العلمانية الغربية .

ولكن المدهش أن ما نعتبره تغيراً فى الاتجاه العلمانى فى بعض النواحى المتعددة - مثل السلوكيات وبعض التغير فى العادات وبعض التغير فى الإنتاج الثقافى - سرعان ما ينقشع من وجه المجتمع ويتم إصلاحه تلقائياً إذا أصلحنا ناحية واحدة إرادياً .

لكن فى زمن العولمة وفى زمن القنوات المفتوحة وحرية الفرد فى اختيار ما يريد من وسائل العولمة وعن طريق التليفون دون تدخل أو رقابة من أحد فإن استمرار خلط الثقافات سيكون أثره أكبر وعواقبه لا يمكن التنبؤ بها .

وهذا يفرض على الحكومات فى المجتمعات الإسلامية إصلاح بعض الاتجاهات

العلمانية وتصويبها وإصلاح بعض الشوائب التى خلفها الاتجاه العلمانى وخاصة فى مجال الثقافة وعدم تمكين الاتجاهات العلمانية من قيادة العمل الثقافى والعمل الاجتماعى وبقية المجالات وعدم وصاية النخب العلمانية على المجتمعات الإسلامية فى شتى البلاد العربية والإسلامية .

وتلك هى الوسيلة الفعالة للدخول فى حلبة سباق العولمة الاقتصادية وفى علم « اقتصاديات الثقافة » الجديد وفى غمار تكنولوجيا المعلومات .

إن النخب العلمانية فى البلاد العربية والإسلامية كان لها أثر سلبى فى سرعة تقدم بعض البلاد العربية والإسلامية ، فبسبب ما تنشره من أفكار خاطئة أو تجهيل أو عدم فهم لمعنى الثقافة وعدم فهم لمعنى التنوع الثقافى وعدم فهم للفرق بين الاختلافات الأساسية الموجودة بين الثقافات الرئيسية الموجودة فى العالم الآن ، وبسبب رئاستها لبعض وسائل الثقافة والإعلام وما يتيسر لما تنشره أو تذيعه من سرعة الانتشار والذيوع ، كان لذلك أثره فى تأخير بعض البلاد العربية والإسلامية عن النمور الأسيوية فى العقدين الأخيرين .

إن استمرار سيطرة النخب العلمانية فى مجالات الثقافة والتربية والتعليم والإعلام وبقية المجالات فى بعض البلاد العربية والإسلامية وما تحدثه من بلبلة وخلط للمفاهيم وللثقافات سوف يظل عائقاً أكيداً للنهوض والتقدم السريع فى عصر العولمة . ولننظر للعالم من حولنا لنتأكد من صدق هذه الحقيقة ، فدولة مثل ماليزيا المسلمة عندما صارت فى مضمار التقدم كان عليها أن تحافظ على مفاهيم الإسلام وتلغى كل خصومة مفتعلة بين الدين والدولة وتنحى العلمانيين من قيادة العمل فى المجالات المختلفة ، لذلك لم يكن هناك تصادم بين فئات المجتمع ولم يكن هناك تصادم بين بعض النخب العلمانية والمجتمع المسلم .

إن التعتيم الإعلامى والتجهيل الذى تسير فى ظله عملية خلط الثقافات يشابه التعتيم الإعلامى الذى صاحب عملية الغزو الفكرى والتغريب فى بداية القرن العشرين، وهذا يستدعى أن نكون عارفين جيداً ومدركين لمعنى « الثقافة » ومفاهيمها وسماتها من وجهة نظر الثقافات الرئيسية فى العالم وهى الثقافة الهندية والثقافة الصينية

واليابانية والثقافة الغربية العلمانية الحديثة والثقافة العربية الإسلامية ، ويجب أن نكون على علم تام بالإنتاج الثقافى الذى يمثل هويتنا ونفرق بينه وبين الإنتاج الثقافى الذى يمثل الهوية العلمانية الغربية . يجب أن نعرف هل هذه القصة أو هذه التمثيلية أو هذه القصيدة الشعرية تمثل مفاهيم هويتنا أم أنها تمثل مفاهيم الهوية العلمانية الغربية أم أنها تمثل مفاهيم الهوية الصينية أو الهندية !

يجب أن نعرف المقاييس التى نحكم بها على العمل الأدبى أو العمل الفنى لنتبين ما إذا كان يمثل هويتنا أو هوية أخرى فى ظل هذا التعتيم والتضليل والتجهيل الذى يمثله خلط الثقافات . إن الباب الأخير من هذا الكتاب سوف يتضمن بإذن الله تلك المقاييس التى يستطيع بها القارئ العادى أن يحكم على العمل الأدبى أو الفنى .

ولست أدرى هل هذه المقاييس تمثل نظرية جديدة فى الأدب والفن أم أنها مجرد تجميع لأفكار موجودة بالفعل فى هذا المجال . أما المقاييس التى نحكم بها على مجالات الحضارة العربية الإسلامية والهوية الحضارية الإسلامية مثل مجالات الاقتصاد والسياسة والنظم والقواعد الاجتماعية الإسلامية وغيرها ، فإنها معروفة ، فالجميع يعرف مفاهيم الاقتصاد الإسلامى والنظم والقواعد الاجتماعية الإسلامية وغيرها .

أما مقاييس الثقافة والإنتاج الثقافى ومعنى الثقافة ومعنى الإنتاج الثقافى هى التى أصابها الخلط والتجهيل وعدم الوضوح والتعتم .

يجب أن ننشر الأفكار الصحيحة عن الثقافة والإنتاج الثقافى الذى يمثل هويتنا على أوسع نطاق بوسائل الإعلام المختلفة حتى ينقشع الظلام وتظهر الحقيقة المخفية عن معنى الثقافة ومعنى الإنتاج الثقافى المعروفين فى العالم أجمع ما عدا بعض البلاد الإسلامية وبعض البلاد العربية .

٣ - محاولة توحيد العالم :

إذا تتبعنا مراكز أبحاث العولمة على شبكة الإنترنت ، سوف نلاحظ أن كثيرا من هذه المراكز لا يخلو من أبحاث تتعلق بوحدة العالم فى شتى المجالات . وهذه المواقع على شبكة الإنترنت مواقع افتراضية فى أغلب الأحيان أى أن هذه المراكز ليس لها مبنى وليس لها اجتماعات محددة بمكان وليس لها مطبوعات ... وفى كثير من هذه

المراكز تثار التساؤلات ويدور البحث عن ثقافة واحدة للعولمة أو افتراضات بعولمة الثقافة مثلما هو مفترض بعولمة الاقتصاد الليبرالى وعولمة الديمقراطية الليبرالية .

إن البحث عن إمكانية وجود ثقافة واحدة للعولمة بدلاً من الثقافات المتعددة الموجودة الآن فى العالم ، أى عولمة الثقافة ، يحتاج لوقفة متأنية لأن هذا الادعاء ينطبق على الثقافة العلمانية الغربية المادية الحديثة ولا ينطبق على الثقافات الأخرى الرئيسية الموجودة فى العالم الآن وهى الثقافة الهندية والثقافة الصينية اليابانية والثقافة العربية الإسلامية لماذا ؟

لأن عنصر الاعتقاد فى الثقافة العلمانية العربية الحديثة هو « المادية الجديدة » التى جاءت بعد الحروب الدينية وثورة الشك والإلحاد فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى مع نشأة النظام الليبرالى الحديث بشقيه الاقتصادى والسياسى .

أما فى الثقافات الأخرى فعنصر الاعتقاد الدينى ليس مادياً .

ولذلك فإن انهيار الحداثة ومجىء ما بعد الحداثة ارتبط بالبحث عن الروحانيات المفقودة فى الثقافة العلمانية المادية الحديثة . ولذلك لم يكن غريباً أن إمكانية التغيير يمكن أن يحدث فقط فى الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة ولا يمكن أن يحدث فى الثقافات الأخرى ، وهذا يسبب أرقاً للمفكرين فى الغرب .

وثقافة العولمة شىء مختلف عن عولمة الثقافة ، فثقافة العولمة تعنى معرفة ما يخص العولمة من أمور ، أما عولمة الثقافة فتعنى جعل الثقافات المتعددة الموجودة الآن ثقافة واحدة كوكبية .

هذه الثقافات الجديدة التى يدور البحث عنها إما أن تكون الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ، أو تكون ثقافة مختلطة تجمع بين الثقافات كما ذكرنا سابقاً فى خلط الثقافات ، وإما أن تكون غير معروفة حتى الآن وربما الثقافة الإسلامية إذا تم عرضها على وسائل العولمة بصورة تليق بجلالها وبهائها وروعتها .

إن هناك لغة جديدة تعتمد على الصور والمصطلحات والحروف والرموز بدأت تنتشر الآن على شبكة الإنترنت وخاصة فى البريد الإلكترونى وفى الحوار Chating .

إن هذه اللغة الجديدة مشتقة من اللغة الإنجليزية مثلاً :

NP اختصار لـ No Problem

OTOH اختصار لـ On The Other Hand

LTR اختصار لـ Long Term Relationship

U اختصار لـ You

R اختصار لـ Are

وسيل من هذه الاختصارات سوف يلاحظه من يتعامل مع شبكة الإنترنت وعليه أن يحفظ ما تعنيه هذه الاختصارات فى لغته الأصلية أى اللغة الإنجليزية .

إن عولة الخيال سوف تساعد الأفراد العاديين فى جميع أنحاء العالم على الاحتفاظ بهوياتهم الحقيقية ومفاهيم ثقافتهم الحقيقية حتى وإن ابتعدوا عن أوطانهم أو استوطنوا أوطاناً غير أوطانهم .

أما من الناحية الاقتصادية فإن حرية الأسواق وحرية التجارة وفتح الحدود أمام انتقال رؤوس الأموال والأفراد والسلع والخدمات فإن ذلك يعتبر إرثاً حضارياً مشتركاً بين جميع الحضارات ، فمع أن كل حضارة لها مفاهيمها الاقتصادية إلا أن هناك قدراً كبيراً من المفاهيم المشتركة بين الاقتصادات المختلفة الموجودة فى العالم فى الحضارات المختلفة ، فالاقتصاد الإسلامى مثلاً يؤمن بحرية التجارة ويؤمن بفتح الأسواق أمام حرية انتقال السلع والخدمات والأموال . وكذلك فى المجال السياسى فإن هناك قدراً كبيراً من الاتفاق بين الحضارات المختلفة على حرية الإنسان وحقوق الإنسان والحرية السياسية والنظم الديمقراطية مع اختلافات بسيطة . فمثلاً فى النظم السياسية الإسلامية فإن الديمقراطية الإسلامية لا تختلف عن الديمقراطية الغربية الحديثة إلا فى المظلة (المرجعية) التى فى ظلها يدور التعدد كالأحزاب ونواب الشعب ، ففى جمهورية إيران الإسلامية مثلاً هناك ديمقراطية حقيقية ولكنها ديمقراطية تدور تحت مظلة (مرجعية) إسلامية . ففى ظل حكم إسلامى تطبق أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع مناحى الحياة فى إيران ، تقوم الحياة السياسية على تعدد حقيقى للأحزاب ، وحرية حقيقية فى تداول السلطة بين الأحزاب مادام الجميع ملتزمين بدستور الدولة الإسلامية الذى يطبق فى البلاد .

مثلهم فى ذلك مثل الديمقراطية الغربية فى أمريكا وأوربا ولكن الاختلاف الوحيد هو المظلة أو المرجعية التى تحتها يدور التعدد والحرية فهى فى أمريكا وأوربا مرجعية علمانية وهى فى إيران مرجعية إسلامية .

إن الدين الإسلامى دين شامل ، يشمل أمور الدنيا والآخرة ، يشمل النواحى المادية والنواحى الروحية بعكس الثقافة العلمانية التى تهتم بالنواحى المادية على حساب الجانب الروحى ، وخاصة أن الحداثة الغربية انهارت أساساً لإغفالها الجوانب الروحية للحياة ، وفترة ما بعد الحداثة التى تعيشها أوربا وأمريكا الآن والتى من أهم مميزاتها الاتجاه نحو الدين والنواحى الروحية هى فى الحقيقة فترة بحث عن ديانة جديدة تحل محل المادية الجديدة فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة .

وإذا أدرك المفكرون المسلمون هذه النواحى وعملوا على تقديم الدين الإسلامى على وسائل العولمة بجوانبه المتعددة فإن ذلك سوف يكون إنقاذاً للبشرية من هوة المادية التى انحدرت إليها .

إن إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت وبرامج على القنوات الفضائية تعالج مختلف جوانب الدين الإسلامى : العقائد الإسلامية ، والعبادات والأخلاق الإسلامية ، والمعاملات الإسلامية (المدنية والأحوال الشخصية) العقوبات فى الإسلام والعلاقات وهى العلاقات الى تربط الإنسان بربه وبالحياة وبالأحياء . وكذلك إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت للاقتصاد الإسلامى وللنواحى السياسية الإسلامية والنواحى الاجتماعية الإسلامية ومواقع للأدب الإسلامى بأنواعه وللفنون الإسلامية بأنواعها ومواقع للثقافة الإسلامية ، ومواقع لمفردات النواحى العقيدية الإسلامية ومواقع لكل عبادة من العبادات مثل الصلاة والصيام والحج ... ومواقع للدعوة الإسلامية ومواقع للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومواقع لمقاصد الشريعة الإسلامية ومواقع للأحاديث النبوية ومواقع لكتب التراث الإسلامى والمكتبات الإسلامية والآثار الإسلامية ...

٤ - ازدياد الفقراء فقراً :

من سلبيات العولمة ازدياد الفقراء فقراً ، والفقراء قد يكونون دولاً فقيرة أو أفراداً فقراء فى الدولة ، وكلاهما سواء كانوا دولاً فقيرة أو أفراداً فقراء سوف يزدادون فقراً فى ظل العولمة .

وفى الحقيقة فإن ازدياد الفقر سوف يكون بسبب عدم الأخذ بوسائل العولمة مثل الإنترنت وتكنولوچيا المعلومات وعدم الانضمام لمنظمة التجارة العالمية ، وعدم فتح الأسواق والحدود للشركات عابرة القارات وعدم الاشتراق فى حلبة سباق العولمة الاقتصادية فالفقر لن يكون بسبب العولمة نفسها ولكنه سيكون بعدم الأخذ بوسائلها .

إن عدم استغلال الوسائل التى أتاحتها العولمة سوف يؤدى إلى تخلف الدول التى لم تأخذ بها ، عن الدول التى أخذت بها ، والهوة سوف تزداد اتساعاً بين الأغنياء الذين أخذوا بوسائل العولمة والفقراء الذين لم يأخذوا بوسائل العولمة .

أما الدول الفقيرة التى تأخذ بوسائل العولمة فإنها سوف تلحق بالدول المتقدمة فى فترة وجيزة .

ولقد رصدت بعض الدول المتقدمة مثل اليابان مبالغ كبيرة لمساعدة الدول النامية فى تنمية قدراتها فى تكنولوچيا المعلومات حتى لا تزداد الهوة بين الفقراء والأغنياء .

وفى الحقيقة فإن تقدم الدول النامية فى تكنولوچيا المعلومات سوف يعود بالنفع على الدول المتقدمة أيضاً ، لأن كل متطلبات تكنولوچيا المعلومات سوف تستوردها الدول النامية من الدول المتقدمة فالمساعدات اليابانية وسيلة من وسائل زيادة الطلب على صناعاتها فى تكنولوچيا المعلومات .

إن تكنولوچيا المعلومات والعولمة الاقتصادية تفتح آفاقاً واسعة وتتيح فرصاً هائلة أمام أولئك الذين لديهم المهارة والذكاء والقدرة والمؤهلات التى تمكنهم من الحركة والازدهار فى الأسواق العالمية وتمكنهم من الإدارة بطريقة علمية واعية حتى تتمكن شعوبهم الفقيرة من عبور حاجز الفقر إلى اللحاق بركب الأغنياء سواء كانوا دولاً أو أفراداً .

والتعرض للفقر أو ازدياد الفقراء فقراً بالنسبة للأغنياء ليس مقصوراً على الدول الفقيرة فقط فى ظل العولمة ولكنه سيشمل أيضاً الفقراء فى الدول الغنية ، فالعمال غير الفنيين فى الدول الصناعية المتقدمة سوف يتعرضون لضغوط لخفض أجورهم ، كما أن العولمة ستزيد الإحساس بتناقص الأمان الاقتصادى ، كما أنها ستضعف من مظلات الضمان الاجتماعى فى الدول المتقدمة .. وكما يقول دانى رودريك أستاذ كرسى الاقتصاد فى جامعة هارفارد(١) : « إن هناك نوعان من الخطر يمكن أن يترتبا على عدم الحذر من بعض النتائج الاجتماعية للعولمة ، أولهما وأكثرهما وضوحاً هو حدوث رد فعل سياسى حاد ضد التجارة ، وقد كشف ترشيح باتريك بوكانان للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهورى ودعايته الانتخابية التمهيدية ، كشف عن حقيقة أن السياسة الحمائية يمكن أن تروج بسهولة خاصة فى زمان يتملك فيه القلق شرائح سكانية واسعة فى المجتمع الأمريكى بسبب العولمة . والشىء نفسه يمكن أن يقال عن النفوذ الكبير الذى يتمتع به فلاديمير جيرينوفسكى فى روسيا وجان مارى لوبان فى فرنسا وهو نفوذ تحقق - ولو جزئيا - استجابة لإثارة المخاوف من النتائج المرتقبة للعولمة ، وقد يذهب الاقتصاديون أن السياسات الحمائية لا تجدى ، إن مصدر الشكوى يحتاج لعلاج مختلف ولكن حجج المثقفين لا تكسب العقول والقلوب إلا إذا قدمت حلولاً ملموسة وإقامة الحواجز فى وجه التجارة مهما اختلفت الآراء حولها لها ميزة كونها حلاً ملموساً .

والخطر الآخر الذى ربما يكون أشد من الأول ذلك هو تراكم الآثار الجانبية للعولمة التى يمكن أن تفضى إلى تشكيلة جديدة من الانقسامات الطبقية بين الذين يستطيعون والذين لا يستطيعون أن يتواءموا مع قيم العولمة وأولئك الذين يفضلون ألا يتواءموا ، وبين الذين يستطيعون أن ينوعوا اختياراتهم ليتلافوا مخاطر العولمة وأولئك الذين لا يستطيعون ، وهذه توقعات لا تبعث على الاطمئنان حتى بالنسبة للأفراد الذين سيحققون كسباً شخصياً لأن الانقسامات الاجتماعية حين تزداد حدة تكون خطراً على الجميع » .

أما القواعد الجديدة التى تحكم الصراع الاقتصادى أو التنافس الاقتصادى وهى القواعد التى فرضتها العولمة ، فإن اختلال هذه القواعد سوف يؤدى إلى عدم تكافؤ الفرص أمام المتنافسين فى حقل الاقتصاد المعولم فعدم تماثل الضرائب والقوانين

(١) كتاب الإسلام والعولمة .

المنظمة وأساليب عمل القطاع الخاص كذلك المتغيرات الاقتصادية فى طريقة الحياة مثل المزايا الاقتصادية التى يتمتع بها العمال فى بعض الدول دون غيرهم فى الدول الأخرى ، مثلاً الأمهات الجدد فى ألمانيا يتمتعون بأجازة ثلاث سنوات لرعاية أطفالهن وهذه ميزة لا تتوافر فى كثير من بلاد العالم . الأجازات السنوية الطويلة فى أوربا (ثلاثون يوماً فى ألمانيا) يقابلها أجازات قصيرة فى البلدان المطلة على المحيط الهادى (أحد عشر يوماً فى اليابان) .

ومن المعروف أن الإنتاج ببساطة ينتقل إلى تلك الأجزاء من العالم التى لا يتعين فيها دفع تلك المزايا .

ويقول لسترثارو[1] : « فى اقتصاد عالمى مفتوح فإن كل فرد وليس مجرد العمال الأمريكيين غير المهرة ينبغى أن يكون مستعداً لقبول تعادل سعر عوامل الإنتاج ، فالرأسمالى الذى لديه الاستعداد للعمل مقابل أدنى معدل عائد فى العالم يحدد أعلى معدل عائد لكل من عداه . وإذا كان الرأسمالى اليابانى سيقبل عائداً مقداره ٣٪ فإن الأمريكيين لا يمكن أن يحصلوا على ١٥٪ .

والنجاح يرغم قواعد اللعبة على التغير حتى وإن لم يكن هناك رسمياً من يكتب مجموعة جديدة من القواعد ، وفى هذه الحالة فإن قواعد اللعبة الجديدة ستكتب بصورة غير رسمية فى أوروبا ، فمن يسيطرون على أكبر سوق فى العالم هم الذين يضعون القواعد تلك هى الحال كما كانت دائماً فى الماضى ، فعندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر الأسواق قامت بوضع القواعد وعندما يتفاوض الأوربيون حول القواعد لسوقهم الداخلية المشتركة ويقررون كيف يرتبط الغرباء بتلك السوق ، فإنهم يقررون فى الواقع قواعد للتجارة العالمية فى القرن القادم ، وسيطبق الآخرون بالتدريج قواعد أوربا بوصفها نظام التشغيل العالمى على أساس الأمر الواقع » .

وتوقيع اتفاقية التجارة الحرة بين أوربا الموحدة وكل من تونس والمغرب ومصر وإسرائيل ...... هى خطوات عملية فى هذا المسار . ويرى لسترثارو أن قواعد اللعبة

(١) لستر ثارو أبرز أعضاء هيئة إعداد تقارير لجنة البنوك والعملات بمجلس النواب الأمريكى - كتاب الإسلام والعولمة - مجموعة من المؤلفين .

ستنتقل حتماً إلى يد أوربا الموحدة التى ستكون أعظم قوة اقتصادية بقيادة القاطرة الألمانية فى العقود القادمة .

ويرى الألمانيان : هانبى بيتر مارتين وهارالد شومان أنه مع نمو العولمة سيزداد تركيز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعاً لا مثيل له .. ويشيران إلى أن ٣٥٨ مليارديرا فى العالم يمتلكون ثروة تضاهى ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة أى ما يزيد قليلاً عن نصف سكان العالم وأن هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمى الإجمالى وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية ، ويمتلك سكانها ٨٥٪ من مجموع المدخرات العالمية وهذا التفاوت بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة .

وهذا التفاوت الشاسع فى توزيع الدخل والثروة سواء على الصعيد العالمى أو على الصعيد المحلى لم يعد بالأمر المزعج بل بات فى رأى منظرى العولمة مطلوباً فى حلبة التنافس العالمى الضارى !

٥ - هل تتراجع العولمة

هل يمكن أن تتراجع العولمة أو تنهار ؟ أو أن العولمة تطور طبيعى للنظام الرأسمالى (الليبرالى) لا يمكن وقفة أو تراجعه أو انهياره ؟

فى الحقيقة العولمة ليست نبتاً طبيعياً نشأ دون تدخل من أحد ، فالدول الرأسمالية المتقدمة هى التى صنعت هذه العولمة .

فالدول الرأسمالية المتقدمة عندما تبينت النتائج الاقتصادية التى أتاحتها وسائل العولمة مثل الشركات عابرة القارات ومثل استخدام الحواسب الآلية والشبكات . فإنها سارعت بإقامة منظمة التجارة العالمية ووضعت لها قوانينها . وشروط دخول صراع المنافسة الاقتصادية فى السوق المعولم ، وشرع منظرو العولمة فى مراكز البحث فى تفصيل ما يرونه مناسباً أو متوائماً مع مفاهيم الفكر الغربى العلمانى الحديث . والشركات عابرة القارات كما بينا سابقاً أغلب أصحابها من هذه الدول المتقدمة ، وحركة رؤوس الأموال الضخمة الهائمة التى تنتقل من مكان إلى مكان فى التو واللحظة

بواسطة الإنترنت والتليفون والشبكات هى رؤوس أموال يمتلكها أفراد أو شركات تابعة لهذه الدول الصناعية المتقدمة .

فالعولمة إذن نظام موضوع بواسطة أمريكا والدول المتقدمة وكما أن له فوائد عظيمة لأمريكا والدول المتقدمة ، فإن له فوائد أيضاً للدول النامية التى تشارك فى مضمار المنافسة الاقتصادية وتتجه لاستعمال الإنترنت وشبكة المعلومات والحواسب وتكنولوچيا المعلومات .

والنظام الذى تقوم عليه العولمة الاقتصادية والعولمة السياسية مستمد من مفاهيم النظام الليبرالى السياسى الاقتصادى وأيضاً يطلق عليه النظام الرأسمالى أو النظام الفردى . أما محاولة العولمة الثقافية فإنها لم تنجح ولن يكتب لها النجاح فلا يمكن أن تقبل الثقافات الأخرى هيمنة وسيطرة الثقافة العلمانية الغربية المادية الحديثة ، وعلى العموم فإن عولمة الثقافة العلمانية هى أضعف حلقات العولمة والشىء المحتمل فى المستقبل بإذن الله هو عولمة الثقافة الإسلامية أى سيطرتها وسيادتها على العالم .

والعولمة يمكن أن تتراجع أو تنهار ويأتى عصر ما بعد العولمة مثلما انهارت الحداثة وجاء ما بعد الحداثة ، والحالات التى يمكن أن تسبب تراجع العولمة أو انهيار العولمة عديدة ومنها غزو الثقافة العلمانية الغربية الحديثة بصورة واضحة ومؤثرة من الثقافات الأخرى مثل دخول أعداد كبيرة من أفراد بعض المجتمعات الأوربية فى الإسلام مما يخل بالتوازن الثقافى فى دولة من الدول الأوربية الرئيسية .

إن انهيار العولمة لا يعنى انهيار الثقافة أو انهيار الحضارة العلمانية الغربية الحديثة .

إن حرية الأفراد من جميع أنحاء العالم – دون قيود أو حدود – فى استعمال شبكة الإنترنت والتواصل فيما بينهم بالمحادثة المباشرة أو بالبريد الإليكترونى دون سيطرة أو تدخل من السلطات الحاكمة ودون ترشيح الأفكار بواسطة النخب المسيطرة سوف يؤدى إلى الشفافية والوصول إلى الحقائق .

وفى ظل الظروف التى يمر بها الفكر الغربى العلمانى وخاصة بعد سقوط الحداثة ومجئ ما بعد الحداثة ، فقد أصبح الإنترنت وشبكة المعلومات يمثل هاجساً يفرض وجوده فى مناقشات كل اجتماع لقادة الدول الصناعية الكبرى ، وتجلى ذلك فى

اجتماع أوكيناوا الأخير بين رؤساء الدول الثمانى الكبرى وما سبقه من اجتماع لوزراء مالية هذه الدول .

ولكن ما الذى يجعل هؤلاء الرؤساء الأقوياء يعبرون عن القلق من التأثير البالغ التى أصبحت الإنترنت تحدثه فى حياة الناس السياسية والاقتصادية والثقافية ؟

هكذا تساءل الكاتب سيد ياسين فى مقالة أخيرة له فى جريدة الأهرام[1] وأجاب بقوله : « أصبح العالم سياسياً أكثر شفافية بفضل الإنترنت تنتقل المعلومات وتتداول عن أحوال النظم السياسية وقرارات القادة وخطابات الساسة وردود فعل الجماهير فى طرفة عين ويستطيع كل من يتعامل مع الجماهير أن يتابعها دقيقة بدقيقة . واقتصادياً أصبحت التجارة الإلكترونية من أبرز الظواهر الاقتصادية فى بداية القرن الحادى والعشرين لأنها تتعامل مع البلايين من الدولارات وتؤثر تأثيراً عميقاً فى اقتصاديات الدول .

وثقافياً يدور على الشبكة من خلال البريد الإليكترونى والانضمام لجماعات النقاش أوسع حوار حضارى بين مختلف أنماط البشر وعلى وجه الخصوص بين شباب العالم الذين هم بحكم الواقع سيقودون الدنيا فى العقود القادمة فى ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة . هذه كما نرى تطورات بالغة الأهمية من شأنها أن تجعل الشخصية الإنسانية تنمو وتزدهر من خلال الاحتكاك والتفاعل مع الآخرين الذى ينتمى إلى ثقافات أخرى مما يساعد فى بلورة وعى كونى سيتجاوز - شئنا ذلك أم أبينا - الوعى الوطنى الضيق والوعى الإقليمى المحدود .

ولعل ما يساعد على بلورة هذا الوعى الكونى عولمة المشكلات الإنسانية لأول مرة فى تاريخ البشرية ، فلم يعد الفقر مشكلة محلية ولا مشكلات التنمية وإنما أصبحت مشكلات عالمية ، على العقل الجمعى الإنسانى أن يساعد بصورة إبداعية فى حلها على المستوى الكونى » .

هذا بعض ما أحدثته الإنترنت وشبكة المعلومات فما هى المشكلات التى يمكن أن يثيرها الإنترنت وشبكة المعلومات فى إدراك قادة الدول الثمانى الكبرى ؟

لقد حاول المفكر الفرنسى المعروف جى سورمان أن يشرح إدراكات القادة الثمانية

(١) الأهرام ٣ أغسطس ٢٠٠٠ .

لكى يكشف عن سر مخاوفهم وقلقهم من الإنترنت وذلك فى مقالة نشرها فى صحيفة لوفيجارو الفرنسية ونشرت الأهرام مقتطفات منها وعلق عليها بعد ذلك الأستاذ سيد ياسين فى مقاله . يقول سورمان : « إن الإنترنت والشبكة التى ترتبط بها والتى يطلق عليها الشبكة العنكبوتية ولدا معاً فى نفس الوقت وتطورا خارج كل تدخل رسمى بل وخارج حدود الدولة والشبكة لا تعير أى اهتمام بالحدود ولا بالقوانين العامة » . ويتساءل سورمان : « ألا يثير ذلك خوفاً فى نفوس الزعماء الذين يعتبرون أنفسهم أسياد الإبداع والتحديث والسياسة الاقتصادية ووضع القوانين لمجرد شعورهم أن أهم شىء فى الوقت الحالى لا يقع تحت سيطرتهم بل ويتحداهم . إذن فالخطيئة الأصلية للإنترنت أنها ولدت وتطورت وانتشرت هذا الانتشار الواسع المدى والذى يجعل مئات الملايين من البشر فى كل أرجاء المعمورة يتفاعلون مع كل لحظة ، وكل ذلك بعيداً عن سيطرة الدولة التى تمرست تاريخياً بالهيمنة على مقدرات المجتمع من خلال تقنين وضبط حركات أفراده وجماعاته ، بل عن طريق الهيمنة الصريحة أو الخفية على أفكارهم وأذواقهم واختياراتهم ، ومن ناحية أخرى كيف يتسنى للإنترنت أن يكون منبعاً وأداة فى نفس الوقت للإبداع الإنسانى فى مجالات العلم والسياسة والاقتصاد والثقافة، ويشارك فى هذا الإبداع الجماهير من كل أنحاء العالم ، مع أن القادة والزعماء والساسة التقليديين كانوا هم على مر التاريخ منبع هذا الإبداع ومحتكريه ، وكيف يمكن لهذا الإبداع وبخاصة فى مجال التحديث السياسى والاقتصادى أن يتحدى رقابتهم الضارية لحركة الشعوب . وبعض الخبراء مثل الاقتصادى الأمريكى المعروف ميلتون فريدمان يثير المخاوف من التجارة الإلكترونية مشيراً أنه بالنسبة لأوربا فإن هذه التجارة تعتبر قاتلة للضريبة بحكم إفلاتها من شبكة الضرائب التى تفرضها الدولة مما يؤثر سلباً على اقتصاديات الدول .

ومن ناحية أخرى يثير بعض الخبراء السياسيين مشكلة خطيرة ستصنعها الإنترنت كما يقولون وهى أن يبدأ البعض فى الانتماء إلى الشبكة العالمية فيفقدون جنسيتهم أو انتماءاتهم مع الوطن الأصلى ويعتبرون أنفسهم مواطنى الشبكة العالمية وينتسبون إلى عصرهم قبل انتسابهم إلى وطن ومكان . ويتساءلون بخبث : ترى كيف سيكون شكل الدولة إن نحن دخلنا إلى عصر مواطنى الشبكة الأثيرية ؟ فالمخاوف من احتمال زوال الدولة . بحيث يصبح المواطنون تابعين للشركات عابرة القارات وليس لدول محددة لها تاريخها وتراثها وتقاليدها مخاوف مشتركة من زوال الدولة بكل

التراث الذى تمثله فى التاريخ الإنسانى ولا شك أن هذه المخاوف التى ذكرها سورمان مخاوف من تآكل سلطة الدولة فى ظل العولمة التى أشرنا إليها سابقاً ، أما أنها ستؤدى إلى زوال الدولة فهذا احتمال بعيد .

ثم يقول سورمان :

« من أجل تجنب الانهيار المتوقع للسياسة التقليدية يعمل أعضاء نادى الثمانية الكبار الذين لديهم نفس المصالح من أجل استعادة السيطرة على الإنترنت .

غير أن اتجاه إرادة هؤلاء الزعماء للسيطرة على الإنترنت يصاغ بخبث شديد على أساس أنها محاولة لتحقيق ما يمكن أن يطلق عليه العدالة الاتصالية وهم يقولون أن هناك فجوة رقمية بين من يستخدمون الإنترنت ومن لا يستخدمونه سواء على مستوى البلد الواحد أو بين البلاد المختلفة وهذه الفجوة ستتسبب فى تفاقم عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية بين الأغنياء الجدد والفقراء الجدد وذلك داخل الدول الغنية وبين الدول الصناعية والدول الأخرى ، ما الحل إذن ؟

الإجابة التى يطرحها القادة الكبار هى أن تتدخل الحكومات من أجل إقامة العدالة الاجتماعية ، وبدلاً من أن تؤدى الإنترنت لإضعاف الدولة تجعلها ضرورية أكثر من ذى قبل .

ذلك هو الجدل الدائر حالياً بين هؤلاء الذين يؤيدون عودة الدولة باسم الإنترنت فهم يطالبون بوجود أكبر للدولة وليس بإقامة مواقع أكثر أو السماح بحرية أكبر وهكذا تبدأ الانقسامات التى تنبئ بمعركة أيديولوجية قادمة بين مواطنى الشبكة الأحرار ومواطنى الدولة .

وهكذا تتبلور معركة من أكثر المعارك ضراوة التى يبدأ بها القرن الحادى والعشرون سيرته التاريخية وقد يكون شعارها : أيها الملاحون عبر الأثير يا أعضاء شبكة الإنترنت اتحدوا ضد الدولة ضماناً لحريتكم السياسية والثقافية »[1] .



(١) المصدر السابق .

الفصل السادس

العولمة والثقافة الإسلامية

إن الخطر الأكبر للعولمة فى حقيقة الأمر هو خطر ثقافى ، لأن العولمة قد تسبب انهيار بعض الثقافات أو موتها أو انقطاعها ، أو قد تسبب سيادة وسيطرة وهيمنة الثقافة العلمانية الغربية الحديثة على الثقافات الأخرى .

أو قد تسبب سيادة وسيطرة وهيمنة الثقافة الإسلامية على الثقافات الأخرى .

ومراكز أبحاث العولمة لا زالت تبحث عما هو مشترك بين الثقافات المختلفة ، وهل هناك إمكانية وجود ثقافة واحدة للعالم ؟

وعلى العموم فهناك اتجاه بدأ ينتشر بين المفكرين فى أمريكا وأوربا - معاقل العلمانية الغربية والحداثة - يهتم بالجوانب الروحية بالإضافة إلى الجوانب المادية وهى مرحلة ما بعد الحداثة الغربية التى أشرت إليها من قبل .

ومنظرو العولمة يذكرون أن من ضمن الأسباب التى قد تؤدى إلى انهيار العولمة هو شعور أبناء الثقافة العلمانية الغربية الحديثة بغزو حقيقى لثقافتهم من الثقافات الأخرى .

وخطر العولمة على الحضارات لا يتل عن خطرها على الثقافات . فخطر العولمة على الحضارة الإسلامية لا يقل عن خطرها على الثقافة الإسلامية ، فالعولمة لها خطر كبير على النظم والقواعد الاجتماعية الإسلامية وعلى النظام الاقتصادى الإسلامى وعلى النظام السياسى الإسلامى وعلى الإنتاج الثقافى والإنتاج الحضارى الإسلامى .

والخطر الذى قد تسببه العولمة للثقافة وللحضارة الإسلامية قد ينقلب إلى فائدة محققة للثقافة وللحضارة الإسلامية إذا كان أبناء هذه الحضارة والثقافة منتبهين وعاملين على تلافى السلبيات الثقافية للعولمة ومواجهتها بإيجابيات ثقافية وحضارية إسلامية وبإنتاج ثقافى وحضارى إسلامى يستطيع منافسة الإنتاج العلمانى ويتحداه ويتفوق عليه .

وفى ظل العولمة فإن الأولوية يجب أن تتجه إلى كيفية المحافظة على الثقافة الإسلامية ، وفى هذا المجال سوف نركز على الثقافة الإسلامية أما الحضارة الإسلامية فلن نناقشها فى هذا الكتاب .

والمقصود بالثقافة الإسلامية هو المعنى العام الواسع الذى يشمل الدين الإسلامى ومعطياته ومفاهيمه فى شتى مناحى الحياة .

والأصل أن الثقافة العربية هى الثقافة الإسلامية ، فالثقافة العربية هى ثقافة الشعوب التى اعتنقت الإسلام، وإطلاق مصلح « الثقافة العربية »على ثقافة الشعوب الإسلامية التى تتكلم العربية فقط دون الشعوب الإسلامية التى لغتها غير عربية مثل باكستان وإيران واندونيسيا وغيرها هو إطلاق مجازى يجب أن نتنبه إليه ونصححه ، وليس هنا مجال مناقشة كيفية نشأة هذه التسمية التى جاءت بعد الغزو الفكرى والتغريب منذ نهاية القرن التاسع عشرالميلادى ، والصحيح هو أن الثقافة الإسلامية والثقافة العربية والثقافة العربية والإسلامية هى مصطلحات ثلاثة بمعنى واحد ويمكن استخدام أى منها .

وللمحافظة على الثقافة الإسلامية فى عصر العولمة يجب أن تصحح بعض المفاهيم الخاطئة التى أصابت ثقافتنا ، وأصابت الإنتاج الثقافى فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، كما يجب أن نوضح ونبرز المقاييس الثقافية الإسلامية الصحيحة وتفعيلها فى الإنتاج الثقافى الذى يحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية ، وقبل ذلك وبعده يجب أن نتبين الفروق الأساسية بين الثقافات الرئيسية الموجودة فى العالم الآن ، أى أننا سوف نلقى الضوء على المواضيع التالية :

١ – نبذة مختصرة عن كل ثقافة موجودة فى العالم الآن وعن الاعتقاد الدينى فى هذه الثقافة ، وذلك لأن الاعتقاد الدينى يصبغ العناصر المكونة لنسيج الثقافة الكلى بمفاهيمه ومعطياته .

٢ – المفاهيم الخاطئة التى أصابت ثقافتنا نتيجة للغزو الفكرى والتغريب وما يجب عمله لتصحيحها فى عصر العولمة .

٣ – المفاهيم الخاطئة التى أصابت إنتاجنا الثقافى وطريقة إنتاج أعمال ثقافية تحمل مفاهيم ثقافتنا الإسلامية.

٤ – مقاييس الإنتاج الثقافى فى الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى .

٥ – الأدب الإسلامى ومقاييس الإنتاج الثقافى .

٦ – السينما الإيرانية ومقاييس الإنتاج الثقافى .

• • •

الثقافات الرئيسية فى العالم

● **نبذة مختصرة :**

نحن نقرأ قصة أو مسرحية لكاتب أوربى أو أمريكى تعالج الجنس الصريح ، وقد تجد هذه القصة أو المسرحية بها صور شعورية وصور تعبيرية فى منتهى الروعة والجمال وتجد الجماهير فى أوربا وأمريكا يتهافتون على شرائها ولكن هذه القصة أو المسرحية مع روعتها الفنية قد لا تجد قبولا لدى الجماهير المسلمة فى البلاد الإسلامية ، فالجنس الصريح قد يكون مقبولاً فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ولكنه ليس مقبولاً فى الثقافة الإسلامية بل هو محرم .

وقد تقرأ قصة غربية أو تشاهد فيلماً أمريكياً تصحب فيه الفتاة شاباً غريباً إلى بيت أسرتها وتباشر معه الجنس فى بيت أسرتها تحت سمع وبصر أخوتها ووالديها . فإذا كانت المجتمعات الأمريكية والأوربية تقبل هذا السلوك وهذه العلاقة بين الرجل والمرأة لأن الثقافة العلمانية الغربية تقبل هذا فإن ذلك محرم وممنوع فى المجتمعات الإسلامية لأن الثقافة الإسلامية تمنع ذلك وتحرمه .

وقد تشاهد فى أوربا وأمريكا مسرحية رائعة وجميلة من الناحية الفنية ، رائعة فى قصتها وطريقة عمل السيناريو والإخراج والتمثيل والملابس والإضاءة والإبهار الفنى ولكن يقوم بالتمثيل فيها ممثلين عراة تماما كما ولدتهم أمهاتهم ذكوراً وإناثاً . فإن كان ذلك مقبولاً ومسموحاً به فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة فإنه ليس مقبولاً ولا مسموحاً به فى الثقافة الإسلامية .

وقد تشاهد فيلماً هنديا وهم يحرقون جثة المتوفى ويذرون رماد الجثة فى مياه النهر ثم تأتى زوجة المتوفى وتحرق نفسها حزناً عليه ، فإن كان ذلك مقبولاً فى الثقافة الهندية فإنه ليس مقبولاً فى الثقافات الأخرى ، بل هو محرم فى الثقافة الإسلامية . نحن نقرأ قصة أو مسرحية أو قصيدة شعرية ، فنجد صور شعورية رائعة وجميلة صاغها الكاتب أو الأديب بأساليب وصور تعبيرية فى غاية الروعة والجمال ، ولكن هذه الصور الشعورية الجميلة المصاغة بصور تعبيرية رائعة قد تعبر عن الشر أو الرذيلة ،

التى يرفضها ويمجها المجتمع المسلم مع أنها قد تكون مقبولة فى المجتمعات الغربية والأمريكية - هذا مع ملاحظة اختلاف مقاييس الخير والشر فى الثقافات المختلفة نتيجة لاختلاف الأديان - فالأديب الغربى عندما يصور الجمال فى أدبه فإنه قد يصور جمال الخير والشر وقد يصور جمال الفضيلة والرذيلة فجمال الشر والرذيلة لايقلان عن الخير والفضيلة فى مفاهيمه الثقافية العلمانية الغربية .

أما الأديب المسلم الملتزم بمفاهيم ثقافته الإسلامية فإنه مختلف عن الأديب الغربى العلمانى فى أنه عندما يبرز الجمال ويصوره فإنه يبدع جمال الخير أو الفضيلة أما جمال الشر أو جمال الرذيلة فإنه لا يبدعه لأن هذا تزيين للشر وتزيين للرذيلة وحض عليهما وهو ما يتعارض مع ثقافته الإسلامية .

وإذا كانت وظيفة الأدب هى إبداع الجمال والإتيان بصور شعورية وصورة تعبيرية جميلة ، فإن الشر أو الرذيلة فى عرف الثقافة الإسلامية لا تحمل أى جمال يمكن إبداعه الإتيان بصور شعورية وتعبيرية تعبر عنه ، والأديب المسلم الملتزم بمفاهيم ثقافته الإسلامية لا يمكن أن يجمل الشر أو يزين الرذيلة أو يبرز مافيهما من جمال كما نشاهد فى كثير من الإنتاج الأدبى أو الفنى الغربى العلمانى الذى يدغدغ العواطف والأحاسيس بالصور الجنسية الفاضحة المحرمة فى عرف الثقافة الإسلامية وفى عرف بعض الثقافات الأخرى .

ومع أن إبداع الجمال فى الشر والرذيلة مباح فى عرف الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ، ومع أن الأدباء والفنانين الأوربيين والأمريكيين يؤمنون بالنواحى المادية ولا يؤمنون بالغيبيات والنواحى الروحية ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة ، كما أن العلاقات الشاذة وشرب الخمر والمخدرات مباحة عندهم ، إلا أن هناك بعض الأدباء الغربيين لا يعترفون بوجود جمال فى الشر أو الرذيلة يمكن إبداعه مثل راسين .

يقول راسين[1] ، (الذى أستطيع تأكيده ، إننى ما فعلت فى مكان آخر كما فعلت هنا « مسرحية فيدر » فى إبراز الفضيلة بشكل واضح ، فأخف الأخطاء هنا تنال أشد

(١) موسوعة المصطلح النقدى صـ٤٦ - ٤٧ - كتاب : مدخل إلى الأدب الإسلامى للدكتور نجيب الكيلانى . كتاب الأمة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

العقاب وفكرة الجريمة ينظر إليها هنا بالرعب نفسه مثلما ينظر إلى الجريمة ذاتها ، ومواطن الضعف فى الحب تصور هنا كمواطن ضعف فعلية ، والأشواق تصور لمحض أنها تظهر الاضطراب الشامل الذى تسببه ، والرذيلة هنا تصور فى كل مكان لتجعل المرء يدرك بشاعتها فيكرهها . هذه فى الواقع هى الغاية الصحيحة التى يتوجب على كل امرئ يعمل من أجل المجموع أن يضعها نصب عينيه ، وهى بالذات مما كان يشغل بال شعراء المأساة الأوائل قبل غيرهم ، فمسرحهم كان مدرسة تعلم الفضيلة بشكل لا يقصر عما تعلمه مدارس الفلاسفة ...) .

والنقاد الجماليون فى الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة - أو الغالبية العظمى منهم - يعتبرون أن المعايير الأخلاقية والدينية والفلسفية غير ذات مغزى تجاه قيمة العمل الفنى .

أما فى الثقافات الأخرى الهندية والبوذية والإسلامية فإن الأمر يختلف ففى الثقافة الإسلامية فإن المعايير الأخلاقية والدينية أهم من المعايير الجمالية ، والثقافات الأخرى لها معاييرها هى أيضاً .

من هذا يتضح أن الاعتقاد الدينى الذى تنتمى إليه الثقافة هو الذى يحدد مفاهيمها الثقافية وهى مفاهيم لها معايير أخلاقية ودينية بخلاف المعايير الجمالية ..

ولما كانت الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة - التى نشأت فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى مع نشأة الفكر الليبرالى الحديث - لها اعتقاد دينى مادى لا دينى يطلق عليه « المادية الجديدة » فإن المفاهيم الدينية لهذه الثقافة لها مقاييس مادية لادينية ، ومن هنا كان الحكم على الثقافة العلمانية بالانحلال والانحراف وعدم التمسك بالمعايير الأخلاقية والتمسك بالمعايير الجمالية فقط بعكس الثقافات الأخرى .

ونخرج من هذا بنتيجة هامة تعتبر حجر الزاوية فى هذا المجال وهى :

أن هناك مقاييس جمالية ومقاييس ثقافية للعمل الأدبى والعمل الفنى .

وأن المقاييس الجمالية تتعلق بما يبدعه الأديب أو الفنان من صور شعورية وصورة تعبيرية فى الأدب ومايبدعه من رؤية فنية فى الفنون الأخرى . وأن هذه المقاييس الفنية

هى مقاييس مشتركة - أى واحدة - فى الثقافات المختلفة وهى مقاييس ليس لها علاقة بالخير والشر وليس لها علاقة بالفضيلة والرذيلة ، فالرذيلة يمكن لمن يقوم بالتعبير عنها بعمل أدبى أن يصور جمال الرذيلة أيضاً كما يصور جمال الفضيلة ، كما أن المقاييس الجمالية هى أدوات النقد الجمالى للأدب والفنون .

أما المقاييس الثقافية فهى تختلف عن المقاييس الجمالية ، لأنها تختص بالتفرقة بين الثقافات المختلفة وهى ترتبط بالاعتقاد الدينى الذى تنتمى إليه كل ثقافة من الثقافات .

ومبلغ علمى أن المقاييس الثقافية للأدب والفنون لم يتطرق إليها نقاد أو مفكرون إلا بإشارات عابرة وليس بالتفصيل ، ولذلك إننى أتصور وجود نظرية للأدب والفنون الإسلامية قائمة على المقاييس الفنية والمقاييس الثقافية ، وأعتبر ذلك أول ما كتب عن هذه النظرية ، وهى : « النظرية الثقافية الإسلامية ومقاييسها الفنية والثقافية » وكذلك نظرية النقد الإسلامية .

ولما كانت المقاييس الثقافية فى نظرية النقد الإسلامية ترتبط بالاعتقاد الدينى فى كل ثقافة من الثقافات الرئيسية الموجودة الآن فى العالم - وهى الثقافة الهندية والثقافة الصينية اليابانية والثقافة العلمانية الغربية الحديثة والثقافة الإسلامية - فإننى سوف أتناول الاعتقاد الدينى وبعض مفاهيمه الثقافية - فى نبذة مختصرة - فى كل ثقافة من الثقافات أولاً ثم العناصر المكونة لكل ثقافة من الثقافات ثانياً ثم تأثير الاعتقاد الدينى وصبغه لعناصر الثقافة بمفاهيمه ومعطياته ثالثاً.

(أ) الديانة البوذية والثقافة البوذية :

تتركز الديانة البوذية فى جنوب شرق أسيا ففى بلاد مثل مانغوليا وتيلند وبورما يدين أكثر من ٩٠٪ من السكان بالبوذية .

وفى اليابان وسرلنكا يدين أكثر من ٨٠ ٪ من السكان بالبوذية .

وفى الصين وفيتنام يدين أكثر من ٥٠ ٪ من السكان بالبوذية .

أما فى الهند ولاوس فإن ٢٠ ٪ من السكان يدينون بالبوذية .

وكلمة بوذا اسم عام وليس اسم شخص وهى تعنى الشخص المضىء أو الذى يشع نوراً ، وهو يطلق تاريخيا على الشخص الذى أوجد البوذية ، وكان اسم هذا الشخص سيدنهرثا جوتاما وكان أميراً لمملكة صغيرة كانت توجد فى شمال الهند ونيبال. وجوتاما هو اسم عشيرة هذا الشخص وسكايا هو اسم قبيلته ، وكان يطلق عليه الحكيم الصامت لقبيلة سكايا .

وقبل ولادة سيدهارثا (بوذا) حلمت أمه أن فيلاً أبيض دخل معبدها وقد توفت والدته بعد ولادته بسبعة أيام . وتقول المعتقدات البوذية أن والد سيدهارثا أخذ يدخل السرور على قلب الصبى ويشجعه على الانخراط فى اللهو واللعب لمنعه من أن يكون بوذا .

وتزوج سيدهارثا وعمره ستة عشر عاماً وولد له ولد ، ثم غادر قصر والده وعمره ٢٩ سنة ليصير متدينا وناسكا وزاهدا ، وتنقل من بلد إلى بلد دون أن ينبثق النور من وجدانه ، وبعد ٦ سنوات من الزهد تذكر حياته الأولى وما كان فيها من ترف ، فاختط طريقاً وسطاً بين الزهد والترف وظل فى هذا الطريق حتى حصل على الاستنارة . وفى ليلة جلس تحت شجرة تين هندى وظل يفكر حتى الفجر وعندئذ حصل على التميز وصار بوذا المتميز .

وقد عاش بوذا فى الفترة من ٥٦٠ إلى ٤٨٠ قبل الميلاد وهى فترة اقترنت بالتغير الاجتماعى والدينى حيث تقدمت حضارة أريان فى منطقة الجانج وازدهرت التجارة فى المدن وسقطت تركيبات تريال القديمة وصعدت حركات دينية جديدة مثل الحركات الدينية التى اشتقت من البرهمية الهندوسية وهى فى حقيقتها حركات دينية ناتجة عن التفاعل ضد الهندوسية .

وفى الحقيقة فإن التفاعل ضد الهندوسية هو الذى أدى إلى نشأة الحركات الدينية الجديدة وأبرزها البوذية .

وفى العصر الحاضر تنقسم البوذية إلى قسمين رئيسيين :

أولاً : الثرافادا أو طريق الكبار وهى الطريقة المحافظة وتسود فى سيرلنكا وبورما وتيلند .

ثانياً : المهايانا أو الآلة العظيمة وهى متحررة ومتعددة الأشكال توجد أساساً فى

اليابان وتايوان وكوريا والتبت وهى مميزة بتأكيدها على تعاليم بوذا وكلا النوعين له بعض الأتباع فى الغرب نتيجة الهجرة .

والإحصائيات عن عدد البوذيين فى العالم صعبة لأن الشخص قد يكون له أفكار بوذية ويعد بوذيا ، ويحتفظ فى نفس الوقت بديانة الشنتو أو التاوية أو الهندوسية .

ويمكن أن نقول أن تعاليم بوذا الأساسية ترتكز على أربع حقائق بوذية وهى :

١ – المعاناة (Duhkha) وهى تعنى بجانب معاناة الوجود الإنسانى المؤلم معاناة أخرى تجعل تصرف الكائنات الأخرى من حيوان وإنسان وأشباح وآلهة فى حالة تجوال وطواف وتناسخ ، أى تناسخ من إنسان إلى حيوان أو من حيوان إلى أشباح أو إلى آلهة فهو تناسخ بين هذه الأشياء الأربعة والتناسخ يعرف بالسمسرا (Samsara) والتناسخ ليس خاصية للبوذية ولكنه موجود فى ديانات أخرى مثل الهندوسية . والتناسخ البوذى له خصائص تميزه عن التناسخ فى الهندوسية مثل عدم الدوام وأنه يشمل النفس والروح.

٢ – هناك أسباب للمعاناة مثل الرغبة ولكن الأسباب فى الحقيقة ليست بسيطة ولكنها مركبة من سلسلة متصلة .

٣ – هذه السلسة من الأسباب يمكن أن تنفصل أو تتكسر ، أى أن المعاناة يمكن أن تتوقف والبوذيون يسمون نهاية المعاناة النرفانا (Nirvana) ويفهم منها أنها توقف التناسخ أو الهرب من التناسخ .

٤– هناك طريقة عملية يمكن بواسطتها بلوغ التوقف عن التناسخ أو يمكن بواسطتها الهروب من التناسخ هى ذات ثمانية شعب مثل الاتحاد بين القيم والانضباط العلمى والتدريب على التركيز والوسطية والأمانة الأولية وهى التى تقود فى النهاية إلى الحكمة المضيئة .

وقد تطورت البوذية بعد وفاة بوذا وخاصة على يد الامبراطور الشهير أسوكا .

وبعد ذلك انقسمت البوذية إلى قطاعات عديدة نتيجة للتغيرات التى أدخلها المفكرون مثل نجارجونا فى القرن الثانى الميلادى الذى اعتمد التنظيم إلى آخر مداها ، مبيناً أن النسبية المطلقة لكل شىء تعنى الفراغ نهائياً من كل شىء . وفى القرن الرابع الميلادى قام الأخوين أسانجا وفاسوياندو بإضافة نواحى اعتقادية فى البوذية تشير إلى

أن العقل وحده وجد والأشياء ليس لها حقيقة خارجه وهاتان الحقيقتان فى البوذية وهما الفلسفة المثالية والناجارجونا لعبتا دوراً مؤثراً فى انتشار البوذية خارج الهند .

وفى القرن الأول الميلادى انتقلت البوذية من الهند إلى الصين ووسط آسيا وفى القرن السادس الميلادى انتقلت إلى اليابان من كوريا وأصبحت الديانة الرسمية . وفى سنة ٨٤٥ ميلادية بلغت البوذية أوجها فى الصين لعدة أسباب من أهمها إعفاء ممتلكاتها من الضرائب ، وقد اضطهد البوذيون فى الصين لفترة وهدمت معابدهم ثم عادوا بعد ذلك ولكن لم يصبحوا كما كانوا .

عندما انتشرت البوذية فى آسيا فإن قادتها أخذوا يبحثون عن أعوان مناصرين لهم من بين الملوك والحكام فى الدولة ونموذج لهذه العلاقة التى نشأت بين قادة البوذية والحكام هى العلاقة مع الامبراطور أسوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد والتى كانت تمثل فى : مقابل الإخلاص للدولة والتأييد الدينى للحاكم فإن الإمبراطور يتولى حماية الديانة البوذية وأتباعها من الاعتداءات التى قد تقع عليهم ، كما يتعهد بإمدادهم بالخبز ، ولدرجة ما فقد امتدت هذه العلاقة إلى جمهور المتدينين البوذيين فى كل مكان. ونتيجة لذلك فإن مجتمعات الرهبان البوذيين فيما بعد كانوا يميلون للاعتماد على جمهور المؤمنين بالبوذية فى إمدادهم بالطعام والنقود والمواد . ومع أنه فى بعض الأمكنة كان الحاكم أو الوالى مسيطرا على حالة الرهبنة البوذية إلا أن الرهبان البوذيين صاروا يتجولون فى البلدان التماسا للصدقة.

والكتب البوذية المقدسة مدونة بأربع لغات هى :

السنسكريتية والصينية والتبتية والبالية وهى تشمل عدداً كبيراً من المراجع ومئات من الأعمال بعضها يتناقل شفهيا . وهى مقسمة إلى ٣ أنواع من المراجع هى :

١ - الفنايا : وتتعامل مع نظام الرهبنة.

٢ - السوترا : وتحتوى على تعاليم بوذا نفسه .

٣ - الأبهدهارا : وهى التى تحتوى على التصوير الكلاسيكى وتقسيم عناصر الحقيقة .

والبلاد التى تسود فيها الثقافة البوذية ينتجون أدباً وفنوناً تسود فيها مفاهيم

الديانة البوذية ويتمسكون بالتعاليم البوذية فى عاداتهم وتقاليدهم ويخضعون نظم التعليم عندهم للمفاهيم البوذية .

فعندما بدأت اليابان نهضتها فى فترة حكم محمد على فى مصر ، كان امبراطور اليابان يرسل البعثات للتعليم فى أوربا وعندما يعودون لليابان كان عليهم أن يخضعوا لاختبار فى الثقافة البوذية والتاريخ اليابانى والمفاهيم الاجتماعية البوذية قبل أن يلحقوا للعمل بالوظائف فى اليابان وقد بلغ عدد العائدين من إحدى هذه البعثات ١٣ ألف مبعوث يابانى . هذا فى الوقت الذى كان يبعث فيه محمد على البعثات المصرية للبلاد الأوربية لتنقل لنا عادات الغرب وسلوكياتهم وتترجم علومهم مثل رفاعة الطهطاوى الذى كان يدعو بانبهار للأخذ بما عندهم دون نقد وتمحيص ولكن بالتقليد الأعمى مما أدى إلى الغزو الفكرى والتغريب دون أن ننتبه إلى الخصوصيات الثقافية .

والطالب فى المدارس اليابانية الثانوية الآن عليه أن يحفظ عدداً معيناً من حروف اللغة السنسكريتية - وهى لغة قديمة هندية - حتى يستطيع أن يلم بتعاليم البوذية فى لغتها الأصيلة القديمة .

كما أن الجلباب الصينى له أزياء تتقيد بالمفاهيم البوذية مثل عدد الزراير فى الثوب .

والإنتاج الثقافى فى الصين سواء كان أدباً وفنوناً يتمسك بمفاهيم ثقافته الدينية ففى رواية صينية كلاسيكية مشهورة تسمى « الرحلة إلى الغرب » من تأليف الأديب الصينى « ووتشنج إن » يتجلى التمسك بمفاهيم المعتقدات البوذية فى الإنتاج الأدبى حتى فى العصر الحديث فى ظل الحكم الشيوعى الذى لا يعترف بالأديان ويعتبرها أفيون الشعوب .

(ب) الديانة الهندوسية والثقافة الهندوسية :

الديانة الهندوسية واحدة من أكبر الديانات فى عدد الأتباع ويؤمن بها ٨٥ ٪ من الهنود وتنتشر فى بعض البلاد الآسيوية .

وقد نتجت الديانة الهندوسية على مدار أربعة آلاف سنة الماضية وليس لها مؤسس واحد أو عقيدة واحدة ، بل تتكون من عدة عقائد مختلفة وعدة ممارسات مختلفة للعبادة كما لا يوجد لها تنظيم محدد أو سلسلة مراتب كهنوتية محدودة .

والهندوسية تتلاءم مع التعريف الغربى للدين بصعوبة إذ أنها مجرد طريقة مثالية للحياة كما تتصورها هذه الديانة . وهذه الطريقة المثالية تعرف باسم الدارما ومعنى الدارما : العمل وفقا لشريعة دينية هندوسية خاصة .

وهذه الطريقة المثلى (الدارما) للحياة يشار إليها فى المصادر الكلاسيكية القديمة للهندوسية على أنها واجبات للطبقة إذ أن الديانة الهندوسية تقسم المجتمع إلى طبقات هى :

١ - البراهمة أو القساوسة .

٢ - طبقة المحاربين والحكام .

٣- طبقة التجار والفلاحين .

٤ - طبقة العمال والأجراء .

٥ - طبقة المنبوذين وتشمل هؤلاء الذين لهم مهن قذرة غير نظيفة فى عرف هذه الديانة وهم ينتمون للجنس الآرى .

والعمل الكلاسيكى للدارما يعين واجباً لكل طبقة وعليها دور يجب أن تقوم به فى المجتمع المثالى . والعمل الكلاسيكى للدارما يصور أربع مراحل للحياة المرحلة الأولى من ٥-٨ سنوات والثانية من ٨ سنوات حتى سن الزواج والمرحلة الثالثة وهى مرحلة العمل وحتى ينجب طفله الأول والمرحلة الرابعة هى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة البحث عن الحرية والانعتاق . وبجانب الواجبات المفروضة على الطبقة والواجبات التى يفرضها البراهمة أو القساوسة هناك واجبات عامة فى الديانة الهندوسية مثل الصدق والأمانة والشجاعة والخدمة للغير والثقة بالنفس والنقاء وعدم العنف وهذه الطبقات وواجباتها التى تحددها الطريقة المثالية للحياة (الدارما) خاصة بالرجال فقط أما النساء فى الديانة الهندوسية فهم لا يملكون استقلالاً خاصاً ويعاملون كمخلوق أدنى من الرجل وقد نجحت الحركات الحديثة فى الهندوسية مثل البراهمو سماج فى تغيير هذا الموقف من المرأة لحد ما .

والديانة الهندوسية تؤمن بتعدد الآلهة ، فهناك آلهة كبيرة رئيسية هى البراهما والفشنو والشيفا ، وهناك آلهة صغرى عديدة منها الفيل والبقرة والقرد وغيرها .

والعبادة فى الديانة الهندوسية لها صور عديدة مثل التوقف والذهاب عند مزارات هندوسية عديدة مثل المعابد والعبادة المنزلية حيث تخصص كل عائلة صورة إله لها يقام غالباً فى ضريح صغير بالمنزل ويخصص لها أيضاً إله ثانى فى معبد قريب ، وربما إله ثالث يقدره الشخص ويجله كمعلم .

ولأن كل شئ مقدس فى عيون الهندوسية فأى شئ يمكن أن يقدس ويعبد مثل الأنهار والأبقار .

وتختلف طريقة القيام بالشعائر فى الديانة الهندوسية باختلاف طبقة كل شخص. والشعائر الدينية عموماً تشمل تقديم الطعام والأزهار وإحراق البخور لتمثال الإله وذلك بمصاحبة تلاوة بعض الكلمات المقدسة - النصوص المقدسة - الأصلية . وهناك عقيدة هامة تعرف بـ سارداها والتى بواسطتها يساعد الهندوس الذكور آباءهم مع تقديم الماء والأرز إليهم . كما أن الكهان الهندوس يقدمون خدماتهم فى حفلات الزواج وعند الموت وفى الاحتفالات الدورية .

وفى المعابد يقوم الكهان بشعائر العبادات الهندوسية وترتيل الصلوات ويقوم الأهالى بتقديم الزهور والنقود للإله مباشرة (تمثال) الموجود فى المعبد ، ويعتقد الهندوس أن صورة الإله أو تمثاله هى الإله . وتتم دورة العبادة اليومية فى المعبد بأن يجهزوا الإله (التمثال) للعبادة وتشمل عملية تجهيز الإله للعبادة : بإيقاظه وتقديم الأرزله وتنقيته بالبخور وغسله وإلباسه وتغذيته ، ثم يسمح للعباد بالحضور ليروا الإله وليتسلموا الأغذية التى لامسها .

وكما فى دورة حياة أى شخص هناك أيام خاصة فى حياة الإله بالمعبد ، وفى هذه الأيام الخاصة تقام الاحتفالات والمهرجانات وقد تكون احتفالات واسعة يقوم بها عابدون من أماكن بعيدة يسيرون فى مواكب ويحملون صورة الإله فى أنحاء المدينة أو القرية التى بها المعبد مع موسيقى خاصة وألعاب ورقصات . هناك ٧ مدن هندية رئيسية مقدسة تقام الاحتفالات والمهرجانات حيث يوجد بها معبد أو أكثر وهى : بنارس وهاردوار وأيدوهايا ودواركا وماثورا وكانشوبرام وإجين وهناك أماكن مقدسة أخرى أيضاً يرحلون إليها فى أوقات العبادة مثل جايا وبيورس وغيرها حيث يوجد بها معبد أو أكثر.

وهناك احتفالات ثابتة فى التقويم الهندوسى الشمسى القمرى مثل احتفال النور فى أكتوبر ونوفمبر حيث توضع المصابيح حول المنازل احتفالاً بإلهة الروح لاكشمى .

ويفرق الباحثون أحياناً بين الفيدازم - وهى ديانة الهند القديمة المبنية على الفيدا - والهندوسية مع أنه لا يمكن تحديد تاريخ معين أوحدود معينة لوقت حدوث الانفصال بين الفيدا والهندوسية ، الفيدا تتصف بأنها تهتم بالوجـــود المستقبلى فى الســـماء ولا تهتم بالكرما وتناسخ الأرواح أما الهندوسية فهى تهتم بالكرما وتناسخ الأرواح وتعطى أهمية كبيرة لطريقة التحرر للانعتاق من التناسخ . وآلهة الفيدا مختلفة شيئاً ما عن آلهة الهندوسية ، والباحثون الذين تتبعوا أصول آلهة الهندوسية - الفشنو والشيفا - وجدوا أنهما ينتميان إلى نظائر فيداوية وهذا يؤكد أن أصول الديانة الهندوسية هى الفيدا . وفى الزمن الأخير أصبحت الفيدا تسمى البراهمنية وقد تغيرت كثير من قواعد البراهمنية المتحجرة وتغييرها بعبادات سهلة مريحة عديدة . ومع أن الفيدا تعتبر ذات السلطة الأخيرة أو المرجعية الهامة فى الهندوسية إلا أن هناك بعض المرجعيات الأخرى لا تقل عنها .

وتعتبر الفترة من ٥٠٠ - ١٠٠٠ قبل الميلاد هى فترة الهندوسية الكلاسيكية وخلال هذه الفترة كتبت الكتب المقدسة ونشأ النظام الفلسفى للهندوسية . وبعد ألف عام بدأ فى جنوب الهند - وربما قبل ذلك - انبعاث روح التقوى التى أخذت تتوهج وتنتشر مصاحبة لتكون اجتماعى جديد وهذه الفترة فى تاريخ الهندوسية تعرف بفترة بهاكت . خلال هذه الفترة تغيرت وتنوعت صور العبادة الدينية وأشكالها وظهرت الأغانى التى تحض على التدين والأشعار التى تحض على التمسك بالهندوسية فى لغة عامية وليس باللغة السنسكريتية وهى اللغة التى كتبت بها الكتب المقدسة القديمة . وقد أصبح الاتصال المباشر مع الإله ممكنا بعد أن تقلص دور الكاهن كوسيط بين الإنسان والإله .

أصبحت عاطفة الحب تظهر بين الناس وخاصة الفلاحين كنهاية المطاف بعد أن أكد بعض الفلاسفة أن التحرر والانعتاق من التناسخ ليس نهاية المطاف ولكن الحب للآلهة هو نهاية المطاف .

وفى العصر الحديث هناك ابتعاد عن بعض الأساسيات فى الهندوسية مثل الابتعاد عن عادة ساتى وهى عادة انتحار الزوجة فى جنازة زوجها .

وهناك أربعة كتب مقدسة فى الديانة الهندوسية هى :

(أ) فيداس : أهم هذه الكتب وأكثرها اعتمادًا بين الهندوس وينقسم لأربعة فصول، ثلاثة منها هى من أقدم النصوص الهندوسية المقدسة ، وأقدم هذه الفصول هو ريح فيدا الذى يرى علماء الهندوس أنه يعود لأربعة آلاف سنة . ومن الصعب الحصول على كتاب فيداس .

(ب) أوبانيشادس : ويلى فيداس فى الأهمية ، وإن كان بعض علماء الهندوس يرونه الأكثر أهمية .

(جـ) بوراناس : وهو الكتاب المقروء عادة بين الهندوس .

(د) براهماناس .

وكتب الهندوسية المقدسة هذه ظلت فترة طويلة جداً متاحة فقط لرجال الدين الهندوس الذين يجيدون السنسكريتية القديمة ، حتى جاء العالم الإنجليزى وليام جونس فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وترجم الكتب إلى الانجليزية رغم رفض علماء الدين الهندوس وذلك بأمر السلطان الهندوسى .

(جـ) الاعتقاد المادى والثقافة العلمانية الغربية :

تعتبر المادية الجديدة هى عنصر الاعتقاد الحقيقى فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ، أما الدين والمعتقدات المسيحية فقد تخلى عنها الفلاسفة والمفكرون والمثقفون وكثير من المجتمعات الغربية فى أوربا وأمريكا .

كيف أصبحت المادية الجديدة هى الاعتقاد الحقيقى فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ؟ ومتى كان ذلك ؟

بعد خروج الصليبيين من البلاد الإسلامية - كان آخر خروج للصليبيين من البلاد الإسلامية سنة ١٢٩١م - تفتحت أفكار الأوربيين على مشاكل كثيرة كانت موجودة فى المجتمعات الأوربية ولم يشاهدوا مثيلاً لها فى المجتمعات الإسلامية التى حاولوا غزوها . من هذه المشاكل مآخذ كثيرة على الكنيسة الأوربية ورجالها والسلطات الواسعة التى كانت تتمتع بها واصطدام الأفكار اللاهوتية مع المكتشفات العلمية التى بدأت

تظهر بعد ذلك ، وهوجمت الكنيسة ورجالها بواسطة الفلاسفة والكتاب والمفكرين هجوماً ضارياً وانتشرت كتابات عديدة فى صور أدبية تدغدغ العواطف تهاجم الكهنوت ورجال الدين والكنيسة الأوربية ، وظهرت الكتابات وانتشرت تهاجم الكتاب المقدس وتتهمه بمجافاة العقل وتذكر بعض المآخذ والانتقادات فى الأناجيل وتؤكد انحرافها وانحراف رجال الدين المسيحى فى أوربا .

وامتدت فترة نقد الكنيسة والمآخذ عليها فى أوربا مدة قرنين من الزمان وتبعتها فترة الإصلاح الدينى والحروب الدينية وخاصة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ، وفى أوائل القرن السادس عشر قاد مارتن لوثر الثورة الدينية وعلى أثرها نشأت البرتستنتينية . ثم تبعتها ثورة الشك والإلحاد التى قادها الفلاسفة الفرنسيون وامتدت حتى شملت كل أوربا .

وفى الحقيقة فإن هذه التغيرات الدينية العقائدية التى أدت إلى نشأة المادية الجديدة وبروز الثقافة العلمانية الغربية المادية الحديثة صاحبها قيام الفكر الليبرالى الحديث بشقيه السياسى والاقتصادى. ويمكن إلقاء الضوء على التغييرات الدينية التى أدت إلى انهيار الثقافة المسيحية فى أوربا ونشأة الثقافة العلمانية المادية التى جعلت الأفكار المادية سائدة ومسيطرة ويمكن تلخيصها فى المراحل التالية :

١ - مرحلة نقد الكنيسة الأوربية ورجالها وإظهار المآخذ عليها فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

٢ - مرحلة الإصلاح الدينى بقيادة مارتن لوثر والحروب الدينية التى عمت كل أوربا .

٣ - مرحلة الشك والإلحاد التى قادها الفلاسفة فى فرنسا وفى غيرها من دول أوربا.

١ - مرحلة نقد الكنسية الأوربية وإظهار المآخذ عليها :

(أ) كانت الكنيسة فى أوربا تتمتع بالسلطات الآتية :

سلطة الكنيسة السياسية والاقتصادية : كان الملوك والأمراء فى أوربا لا يعينون إلا بموافقة الكنيسة وكان رجال الدين المسيحى ملتزمين بعقيدة الحق الإلهى لملوكهم فى الحكم ، وكانت الكنيسة ورجالها يتمعتون بثروات طائلة تفوق فى أحيان كثيرة ثروات الدول والملوك ، ففى سنة ١٥٢٢م كانت الكنيسة تمتلك نصف ثروة ألمانيا ونصف أراضى

الدنمرك ولها الحق الإقطاعى على كوبنهاجن وثلث شبه الجزيرة الايطالية وثلاثة أرباع ثروة فرنسا فى الوقت الذى كانت فيه فرنسا تعانى من أزمات اقتصادية طاحنة .

كما أن الكنيسة كان لها سلطات كمؤسسة عقائدية وكان لرجالها الحق فى وضع معتقدات إيمانية من عندياتهم (يقول ميكيافللى - قبل أن يكتب لوثر رسالته التصحيحة التى أدت إلى ظهور البروتستانتينية بأربعة أعوام - لو أن الدين المسيحى قد احتفظ به كما صدر عن مؤسسة « يقصد السيد المسيح » لكانت دول العالم المسيحى أكثر اتحادا وأعظم سعادة مما هى عليه الآن)[1] .

ويضيف (... وأن من ينعم النظر فى المبادئ التى يقوم عليها هذا الدين ويرى مابين هذه المبادئ وبين شعائره الحاضرة وعباداتها من فرق كبير يحكم من فوره بأن انهيارها أو يوم القصاص منها لآت قريب) .

(ب) المآخذ على الكنيسة ورجالها :

تذكر المراجع الأوربية مثل كتاب قصة الحضارة لـ « ول وإيريل ديورانت » مآخذ كثيرة على الكنيسة ورجالها ، وكانت هذه المآخذ تنتشر فى كتابات المفكرين والفلاسفة والأدباء ويتناقلها عامة الناس فى أوربا وكانت أشياء يعف القلم عن تكرارها ولذلك سوف أكتفى بإشارات إليها مثل الثراء الفاحش التى كانت تتمتع به الكنيسة ورجالها والتى كانت مصادره متعددة وما كان عليه رجال الكهنوت من فساد ، وعدم خضوع رجال الدين لقانون الدولة وكانت المحاكم تتولى محاكمتهم باللين ؛ وبيع صكوك الغفران ، ومحاكم التفتيش التى كانت تفتش ضمائر الناس وكان المتأثرون بأفكار ابن رشد من الأوربيين من ضحايا هذه المحاكم . وقد استمرت هذه المحاكم من سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٨٠٨م وفى مدة ١٨ سنة ١٤٨١ إلى ١٤٩٩م قامت بالحكم على عشرة آلاف بأن يحرقوا وهم أحياء حتى الموت وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستون بأن يشنقوا بعد التشهير وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة .

٢ - الإصلاح الدينى والحروب الدينية فى أوربا : نادى كثير من الكتاب والمفكرين بإصلاح الكنيسة أمثال أرازمس وكوليت ومور وبوديه ، كما أن بعض البابوات حاولوا

(١) كتاب قصة الحضارة رقم ٢٢ صفحة رقم ٣٨ تأليف ول وإيريل ديورانت ترجمة د. عبد الحميد يونس . انظر كتاب ؛ النظام السياسى الإسلامى والفكر الليبرالى . دار الفكر العربى د . محمد الجوهرى حمد الجوهرى .

إصلاح الكنيسة ولكن الكرادلة ورجال الإدارة البابوية هزموا أولئك البابوات ، ولقد شكا البابا ليو العاشر نفسه عام ١٥١٦م من إخفاق هذه المحاولات ، كان الايطاليون المتحمسون الثائرون أمثال أرنلد البريشيائى ويواقيم الفلورى وسفترولا الفرنسى قد هاجموا مساوئ الكنيسة دون أن يخرجوا على المذهب الكاثوليكى ، ولكن اثنين منهم مع ذلك أحرقوا وهم على قيد الحياة .

لم تجد محاولات إصلاح الكنيسة وقامت الثورة الدينية بقيادة مارتن لوثر فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى مطالبة العودة إلى الإنجيل وتطهير المسيحية من أساطير القرون الوسطى والزيادات التى أدخلها الكهنوتية واستعادة النص الصحيح للعهد الجديد . وبدأت حروب دينية طاحنة تجتاح كل أوربا لمدة ثلاثة قرون ، وانقسم العالم المسيحى إلى مذاهب وفرق ، وأصبحت بريطانيا وألمانيا والأراضى المنخفضة وإسكندناوة تدين بالبروتستتينية فقد سلختها حركة الإصلاح البرتستتى عن بقية أوربا الكاثوليكية وانتشرت الحروب فى أنحاء أوربا بين المذاهب والفرق والتى راح ضحيتها الآلاف من الضحايا .

٣ - ثورة الشك والإلحاد .

لقد كان لثورة الشك والإلحاد التى قادها فلاسفة فرنسا وعمت أنحاء أوربا أثرها العميق على الفكر الأوربى فقد تم القضاء على سلطات الكنيسة السياسية الاقتصادية والعقائدية ، كان لمطالبة الفلاسفة بتحرير العقل من أساطير الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة أثرها الكبير على نشأة المادية الجديدة . لقد كانت دعوة الفلاسفة بتحرير العقل والإعلاء من شأنه بمثابة وحى جديد عوضاً عن الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة ، لقد طالبوا بإصلاح شتى المجالات والميادين مثل إصلاح التعليم والدين والأخلاق والأدب والاقتصاد والسياسة وعلوم الاجتماع وتحرير كل المعارف الإنسانية من تعاليم الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة .

كانت دعوة الفلاسفة بتحرير العقل فى ذلك الوقت لا تعنى تحرير العقل من الخرافات وهى الدعوة التى نادى بها فرنسيس بيكون قبل ذلك بقرون ، ولكن كانت دعوة بتحرير العقل الأوربى من أساطير الكتاب المقدس للشعوب المسيحية وتعاليم الكنيسة وكهنوتها[١] .

(١) المصدر السابق .

لقد كان فولتير ولامترى وديدرو ودالمبيرث وجريم وهلفشيوس ودى هولباخ فلاسفة ملحدين ، وكان فولتير ربوبيا ، يتمسك بالإيمان بالله إلا إنه كان يكفر بالمسيحية. وقد قام الفلاسفة الفرنسيون بنشر أفكارهم وآرائهم فى صيغ أدبية وشعرية بطرق بسيطة سهلة وعميقة ، فكانت أفكارهم واضحة فى ثوب أدبى شيق مسل سواء كان قصة متبلة أحياناً ببعض الفحش أو سخرية لاذعة يقصد بها الهجوم وعدم الرضا أو حكمة بطريقة معبرة توحى بالتناقض أو موضوعات قصيرة ومحاورات مثيرة مسلية.

وقد أضفى ذلك على الإلحاد سحراً وفتنة ، وخاصة أن أفكارهم كانت فى ثوب أدبى يدغدغ العواطف ويثيرها ، مما كان له أثره العميق فى زرع الشك والإلحاد فى جذور الفكر الأوربى الحديث .

وكانت أحاديث الفلاسفة فى صالونات باريس لها دوى هائل فى كل أنحاء أوربا ، حيث يتناقلها الناس ويناقشون كل ماجاء فيها من أفكار ومن ثم أصبحت الفلسفة قوة اجتماعية انتقلت من المدارس إلى المجتمع والحكومة وأسهمت فى الصراع بين الدول وتناقلتها الأنباء.

كانت أنباء الفلاسفة فى فرنسا من الموضوعات المطلوبة فى كل أنحاء أوربا لمعرفة آخر النظريات والآراء .

وقد انتشرت مؤلفات فلاسفة الإلحاد فى إنجلترا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وألمانيا وروسيا وغيرها من دول أوربا .

وكان الملوك يفاخرون بأنهم من الفلاسفة مثل فردريك الأكبر وكاترين قيصرة روسيا .

وأصبحت حركة التنوير التى نادت بتحرير العقل الأوربى من تعاليم الكنيسة وكتابها المقدس وقادها فلاسفة فرنسا الملحدون وتبعهم كثير من الفلاسفة فى أوربا ، فكرا عاماً مشتركاً للشعوب الأوربية.

وكانت هناك عوامل مساعدة أخرى مثل الكشوف الجغرافية والدراسات المقارنة للأديان بواسطة المستشرقين وازدياد الثروة واتساع المستعمرات والقوى الاجتماعية الجديدة والتسابق على اللذة والمتعة وكان القساوسة لهم محظيات يحضرن بجانبهم فى

الحفلات العامة وكان الأهالى يشجعونهم على ذلك حماية لبناتهم وكان أغلب الملوك فى أوربا يحتفظون بخليلات واحتلت مدام بمبادور التى اعتبرها فولتير (واحداً منا) مكان السيدة العذراء فى قلوب الناس ورحبت الأرستقراطية الأوربية والنبلاء وأيدوا امتهان فولتير للكنيسة والنيل منها ، وأبدى أفراد الطبقة الوسطى فى فرنسا ارتياحهم وتأييدهم للفلاسفة فى حربهم ضد رجال الدين المسيحى ، وانتشرت المطبوعات المعادية لرجال الدين المسيحى انتشاراً ذريعا فى الأقاليم وانتشر الإلحاد والسخرية من رجال الدين المسيحى بين العامة فى مقاهى باريس بل إن عدوى الشك والإلحاد انتقلت إلى رجال الدين المسيحى أنفسهم أمثال القساوسة تورنى وفوشيه ومودى ودى بولونى والقس مسلييه الذى دعا فى كتابه (العهد الجديد) إلى تعليم الأطفال فى أوربا الإلحاد بالكنيسة[1] بل إن السيد المسيح عليه السلام لم يسلم من انتقاده والهجوم عليه وعلى تعاليمه (وكان القس جان مسلييه يرى أن الدين المسيحى جزء من مؤامرة بين الكنيسة والدولة لإرهاب الناس حتى يذعنوا للحكم المطلق)[2].

ونتيجة لثورة الشك والإلحاد التى عمت كل أوربا تهاوت الأفكار اللاهوتية وسقط اليسوعيون وطردوا من فرنسا وصودرت ممتلكاتهم لصالح الملك ونادى ديدرو بسيطرة الدولة على التعليم بمعلمين مدنيين وظهرت أخلاقيات الملاحدة الجديدة التى سموها الأخلاق الطبيعية المستقلة عن اللاهوت . وصلت قضية الإخلاص للجنس البشرى محل عبادة الله ومريم والقديسين فى أوربا وكتب جريم ودى هولباخ ومايلى وسانتا ودالامبير كتيبات تفسر الأخلاق الطبيعية الجديدة للأطفال وتحض على الإلحاد وتدعو إلى حب الذات وأن كل اللذات مجازة ومسموح بها ، كما تدعو هذه الكتيبات إلى استعمال العقل ونبذ المعتقدات اللاهوتية الكنسية ولكن واجه الفلاسفة مشكلة معلقة مرهقة وهى :

كيف يكتب البقاء لدولة دون ديانة تدعم النظام الاجتماعى وتحفظه من التحلل والفساد ؟

وظلت هذه المشكلة تواجه الفكر العلمانى والثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة حتى بعد انهيار الحداثة وظهور مابعد الحداثة فى العقدين الأخيرين .

(١) المصدر السابق . (٢) المصدر السابق .

كان نتيجة لهذه الظروف التى مرت بها أوربا أن نشأ الفكر العلمانى والثقافة العلمانية الغربية الحديثة ذات عقيدة مادية لتحل محل الأفكار اللاهوتية فى الثقافة الأوربية العلمانية المعاصرة .

فتم فصل الدين عن الدولة وفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية وظهرت الحداثة والتنوير وعصر الاستنارة وعصر العقل وكلها تعبيرات ظهرت لتعبر عما حدث فى أوربا خلال هذه الفترة التى أبعدت فيها الأفكار المسيحية لتحل محلها أفكار مادية لا دينية تعرف بالمادية الجديدة لتصبغ العناصر المكونة لنسيج الثقافة الغربية الحديثة بمفاهيم مادية لا دينية انعكست على الإنتاج الثقافى المتحرر من أى شئ بما فى ذلك من معتقدات دينية مسيحية أو تعاليم أخلاقية مسيحية .

وكانت أهم سمات الثقافة العلمانية التى قامت على الأفكار المادية هى :

١ - ترك الأفراد أحراراً فى اعتقادهم والإيمان بما يشاؤون .

٢ - عدم عودة سيطرة الكنيسة بسلطاتها مرة أخرى وبذلك تم فصل السلطة الدينية المتمثلة فى الكنيسة عن السلطةالزمنية المتمثلة فى الملك والأمراء ورجال الاقطاع .

٣ - عدم فرض القوانين اللاهوتية المسيحية على الشعب والمجتمع ككل وعدم فرض هذه القوانين على الدولة بقوانين على الدولة بقوانينها وأجهزتها ومؤسساتها وسلطاتها وبذلك تم فصل الدين المسيحى عن الدولة .

فقيام الثقافة العلمانية الغربية على معتقدات مادية لادينية ، جعل الإنتاج الثقافى - سواء كان أدباً مثل القصص والمسرحيات والشعر والنقد الأدبى والدراسات الأدبية والفلسفية والثقافية أو فنوناً مثل الموسيقى والأغانى وأفلام السينما والمسرح والإعلام والفنون التشكيلية - يحمل مفاهيم مادية ولا يخضع لمفاهيم دينية مسيحية ويحوى معالجات تختلف عن الثقافات الأخرى . فإذا أنعمنا النظر فى بعض مجالات الأدب أو الفنون الغربية الحديثة وبعض الإنتاج الأدبى أو الفنى الأمريكى أو الأوربى الآن نجد خروجاً عن المعتقدات الدينية وعدم التمسك بأخلاق دينية أو قيم دينية مسيحية ولم يكن غريباً أن تكون تلك الأفلام السينمائية الأمريكية والأوربية التى تعرضها

القنوات الفضائية والتى تحمل الانحلال والفسق والدعارة والتى ترفضها المجتمعات الإسلامية وكثير من المجتمعات الصينية واليابانية والهندية ، وليس لها مثيل فى هذه الثقافات الغير علمانية .

وقيام الثقافة الأوربية الأمريكية على معتقدات علمانية مادية وعدم إيمان الفكر الغربى عموما بمعتقدات دينية أدى إلى الاهتمام بنظرية داروين عن النشوء والارتقاء وأصل الأنواع وأصل الإنسان واعتبار الجنس البشرى متطور من فصيلة القرود وهى الفروض التى أثبتت الأبحاث فى العصر الحديث خطأها .

وإلى الاهتمام بنظريات سيجموند فرويد فى علم النفس وإلى التشوف لإيجاد ما يثبت نشأة المادة الحية فى الكواكب الأخرى ومعرفة كيفية نشأة الحياة . ومع أن كثيراً من هذه الأبحاث حتى لو ثبتت صحتها مثل نشأة خلية حية من مواد غير حية لا تتعارض مع ماجاء بالأديان السماوية عن نشأة الإنسان .

وفى الحقيقة فإن الإنتاج الثقافى العلمانى الأوربى والأمريكى - نتيجة لعدم تقيده بمفاهيم ثقافية دينية وانطلاقه من مفاهيم مادية - أضفى عليه طابعا انحلاليا يهاجم المعتقدات الدينية والأخلاق الدينية والمفاهيم الدينية وكأن بينه وبينها عداء وكان المتوقع للنظرة المادية - التى تتقيد بها الثقافة العلمانية الغربية - أن تقف موقفا محايدا بالنسبة للأديان وذلك الموقف المعادى للأديان لاتجده فى الثقافات الأخرى مع أن كثيراً منها ينطلق من اعتقادات دينية غير سماوية مثل الثقافة الهندية والثقافة الصينية اليابانية .

ومن الغريب أن عداء الثقافة العلمانيةالغربية المادية الحديثة ينصب أساساً على الثقافة الإسلامية ، بل إن القادة الغربيين السياسيين وقادة الثقافة والفلسفة والفكر يصوبون سهامهم نحو الثقافة الإسلامية ويتخذون منها العدو الرئيسى لثقافتهم العلمانية المادية . وكثير من آراء بعض هؤلاء القادة مثل الرئيس نكسون وفوكوياما وهتنجتون وغيرهم ، وصراع الحضارات وحوار الحضارات تتجلى فيها هذه الأفكار المعادية للفكر الإسلامى .

أما العلمانيون فى البلاد العربية والإسلامية فإنهم يقلدون الأدباء والفنانين الغربيين دون الوعى باختلاف المفاهيم الثقافية مما جعل إنتاجهم الثقافى يحمل مفاهيم علمانية مادية مع أنه قد يكون مكتوباً باللغة العربية .

وعموماً فإن الثقافة العلمانية الغربية الحديثة - فى جوهرها - تهدف إلى القضاء على كل الثقافات وخاصة الثقافة الإسلامية والثقافة الصينية .

(د) الدين الإسلامى والثقافة الإسلامية .

الدين الإسلامى هو آخر الأديان التى أنزلت على الرسل ، أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد ﷺ ، والدين الإسلامى نظام كامل لحياة الفرد وحياة الجماعة ،وقد أنزل للناس كافة ، ولذلك جاء صالحاً لكل زمان ومكان يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(١) ويقول تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾(٢) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣) .

جاءت رسالة الإسلام جامعة شاملة ، وجاء ما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان بها مثل العقائد والعبادات والأحكام القطعية واضحة ومفصلة تفصيلاً تاماً بالآيات العديدة الشارحة له وبالسنة النبوية الصحيحة وليس فيه اجتهاد ولاتغيير . أما ما يختلف باختلاف الزمان والمكان فقد جاء يحتاج لاجتهاد العلماء حسب كل عصر . والأمة الإسلامية أمة واحدة يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾(٤) يقول تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(٥) ، وأمة الإسلام أمة واحدة بمعنى أنها واحدة فى دينها وثقافتها واقتصادها وقواعدها ونظمها الاجتماعية وواحدة فى مفاهيمها السياسية وغيرها من النواحى الحضارية .

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ .
(٢) سورة الفرقان : آية ١ .
(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٨ .
(٤) سورة المؤمنون : آية ٥٢ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٩٢ .

وقد اشتمل الإسلام على كثير من الأصول والتشريعات والأحكام التى تناولت شتى نواحى الحياة وسنوجزها فيما يلى :

١ - **العقائد :** وتشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والإيمان بالله سبحانه وتعالى يستوجب الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى ليس له شريك ولا شبيه فى ذاته وصفاته وأفعاله يقول تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[(١)] والشهادتان اللتان يقولهما الإنسان المسلم « أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » تعنى إثبات ذات الله تعالى ، إثبات صفاته، وإثبات أفعاله جل فى علاه وإثبات صدق الرسول ﷺ ، كما تعنى بناء الإيمان على هذه الأركان الأربعة[(٢)] .

الإيمان بالملائكة وهى من خلق الله سبحانه وتعالى وهى تسبحه دائما يقول تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[(٣)] والإيمان بالرسل أجمعين وأولهم سيدنا محمد ﷺ.

والمسلمون يؤمنون بالرسل أجمعين لا يفرقون بين أحد من رسله بعكس أصحاب الديانات السماوية الأخرى الذين لا يؤمنون بسيدنا محمد ﷺ .

والإيمان بضع وسبعون شعبة .. أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان كما جاء فى الحديث الصحيح .

٢ - **العبادات :** يقول رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » . هذه هى أركان الإسلام الخمسة .

(وأنواع العبادة التى أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادة التى أمر الله بها)[(٤)] .

---

(١) سورة الإخلاص . (٢) إحياء علوم الدين للغزالى . الباب الثالث جوامع الأدلة للعقيدة .

(٣) سورة البقرة : أية ٣٢ . (٤) كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٣ - **الأخلاق :** الأخلاق الإسلامية عميقة الأثر فى بناء الفرد والأسرة والمجتمع ومن ثم كانت انعكاساتها فى مجالات الحياة المختلفة كالمجال الثقافى السياسى والاقتصادى يقول سبحانه وتعالى فى وصف الرسول ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقد دعى الإسلام إلى كل خلق طيب ونهى عن كل خلق مذموم والأخلاق الحسنة التى يحض الإسلام عليها ويدعو الناس للتمسك بها مثل الصدق والأمانة والأخلاص والحلم والتعاون والشكر والرحمة والإيثار والكرم والعطف على الفقراء والضعفاء ،الحب فى الله والعدل ... والأخلاق السيئة التى ينهى الإسلام عنها مثل الكذب والغش والخداع والنفاق ، والخيانة والرياء ، والحسد والغضب والبخل والشح والظلم .

والأخلاق الإسلامية تتميز بميزة عظيمة لأن مرجعيتها وينبوعها هو الإسلام وهو ينبوع لا ينضب ولا يغيض ، نقى مسترسل لا يتوقف أبداً ، مبرأ من العيوب بعكس الينابيع الأخرى التى لا تخل من انقطاع ، وغيض وضيق مثل الينابيع اليونانية والرومانية وغيرها(٢) .

والإسلام الذى أضفى على الأخلاق هذه الميزة العظيمة كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة جعل الأخلاق الحسنة والفضائل مأمور بها فى شريعة الإسلام فهى واجبة وجعل الأخلاق السيئة والرذائل منهى عنها فى الإسلام فهى محرمة . واتباع الأخلاق الحسنة والفضائل فى الإسلام فيه معنى خلقى ومعنى تعبدى أى أن التمسك بالأخلاق الحسنة والفضائل معناه أننى تمسكت بالأخلاق الخلقية المحمودة والمقبولة والمفضلة ، ومعناه أننى تقربت لله سبحانه وتعالى بالتمسك بهذه الأخلاق الحميدة وسوف يثيبنى سبحانه عليها فى الآخرة ، وبالمثل تجنب الأخلاق السيئة والرذائل فيه نفس المعنى الخلقى والتعبدى .

---

(١) سورة القلم : آية ٤ .

(٢) كتاب : الثقافة العربية والحضارة الإسلامية د . محمد الجوهرى حمد الجوهرى دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة .

وأم الفضائل والأخلاق الحسنة فى الإسلام فضيلة التقوى والتقوى لها دلالة دينية فى الإسلام تشمل طاعة الله تعالى والرغبة فى ثوابه وتشمل خشيته سبحانه وتعالى والخوف من عقابه ، والتقوى بهذه الدلالة الشاملة تعتبر المحور الذى تدور حوله الأخلاق الإسلامية وهى المركز الذى تلتف الفضائل من حوله ، وبهذا لن يكن التقى إلا كريماً شجاعاً عادلاً أمينا عفيفاً صادقاً مبرأ من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب والغرور ومن كل رذيلة .

٤ - **المعاملات :** وهى الأحكام التى تنظم علاقات الناس ببعضهم وتقيم الروابط بينهم على العدل والرحمة والمحبة والتعاون ورفع أسباب الضرر والعدوان .

واجتلاب الخير والمنفعة للناس جميعاً . ويدخل فى ذلك نوعان :

- **المعاملات المدينة :** مثل معاملات البيع والشراء والرهن والإجارة والشركة ...
- **الأحوال الشخصية :** مثل الزواج والطلاق والنفقة والعدة...

٥ - **العقوبات :** لم يقم الإسلام على العقوبات ، بل قام على تهذيب النفس وتطهير القلب ولم تأت العقوبات إلا فى المقام الأخير لتردع هؤلاء الذين لم تردعهم الموعظة الحسنة وتشمل الحدود حدالزنا والقتل ، وقطع الطريق ، والسرقة والقذف ... وبجانب هذه الحدود القليلة القاطعة التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة هناك باب واسع لنظام العقوبات فى الإسلام هو التعزير(١) .

٦ - **العلاقات :** حدد الإسلام وأوضح العلاقة التى تربط الإنسان بربه وبالحياة والأحياء وهناك أحكام نظمت علاقات المسلمين بعضهم مع البعض ، مثل علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقة الولد بوالده ، وعلاقة المسلم بالجار وعلاقة المسلم بذوى القربى وبالأصدقاء ، وبإخوانه المسلمين وهناك أحكام نظمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبينت حقوق ولى الأمر على الرعية وحقوق الرعية على ولى الأمر وهناك

---

(١) د. محمد محمد عبد القادر الخطيب : دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية والمصدر السابق .

أحكام نظمت علاقات المسلمين بغير المسلمين وهى الأحكام التى تناولت احترام الأديان الأخرى وحرية أهلها فى عقائدهم وعصمة أرواحهم وأعراضهم وأموالهم بالحق ...

وهناك أحكام شرعت للحرب والقتال وما يترتب على ذلك من الغنائم ومعاملة الأسرى .

ولما كان الإسلام يشمل جميع جوانب الحياة ومنها الثقافة والحضارة فإن الثقافة الإسلامية تعتبر جزء من معطيات الإسلام والحضارة الإسلامية جزء من معطيات الإسلام .

ومن الملاحظ أن كثيراً من الإنتاج الأدبى والفنى فى البلاد العربية والإسلامية يحمل مفاهيم الثقافة الغربية العلمانية ولذلك لاتقبل المجتمعات الإسلامية عليه ، بل تعتبره محرماً .

فأغلب الأفراد فى المجتمعات الإسلامية تعتبر أفلام السينما التى لا تحمل مفاهيم هويتنا الإسلامية حرام .

وأزمة السينما فى مصر وبعض البلاد الإسلامية دليل على صدق هذا الرأى .

وكذلك الإنتاج فى مجال الفنون التشكيلية والموسيقى والأغانى فى كثير من البلاد العربية والإسلامية الذى لا يجد من يشجعه أو يشاهد معارضة ولا يقبل عليها أو يشتريه ويرجع ذلك لأن هذا الإنتاج يحمل المفاهيم الغربية العلمانية ولاتحمل مفاهيم ثقافتنا الإسلامية .

من هذا يتضح أن هناك أربع ثقافات رئيسية (أم) موجودة فى العالم الآن وهى الثقافة الهندية والثقافة اليابانية الصينية ، والثقافة الغربية العلمانية الحديثة والثقافة الإسلامية .

وكل ثقافة من هذه الثقافات الرئيسية الأم هى التى تسود وتسيطر فى المجتمع . وفى ظل سيادة وسيطرة الثقافة الأم يمكن السماح بوجود ثقافات فرعية مغايرة للأقليات الدينية بشرط خضوع أصحاب هذه الأقليات الثقافية لسيطرة الثقافة الرئيسية الأم ، وعدم محاولة هدم مفاهيمها أو نقضها أو غزوها .

كما أنه يوجد اختلافات ثقافية داخل الثقافة الرئيسية نتيجة لاختلاف اللغة أو الاختلافات العرقية أو الجنسية أو الجغرافية مثل الاختلاف بين الثقافة الفرنسية والإنجليزية مع أنهما ينتميان لثقافة رئيسية واحدة هى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ، ومثل الاختلاف الثقافى بين أهل الشمال والجنوب الأمريكى ومثل الاختلاف الثقافى بين الوجه البحرى والوجه القبلى فى مصر ، ومثل الاختلافات الثقافية بين الأكراد وأهل العراق مع أنهما ينتميان إلى ثقافة رئيسية واحدة هى الثقافة الإسـلامية .

والاعتقاد الدينى - كما ذكرنا سابقا - هو الأساس الذى تقوم على مفاهيمه الثقافة ، وكل ثقافة من الثقافات لها اعتقاد دينى خاص بها .

والأدلة على أن الاعتقاد الدينى هو الأساس الذى تقوم عليه الثقافات يمكن إيجازها فيما يلى :

١ - هناك حضارات وثقافات ماتت واندثرت ولم يبق إلا الآثار الدالة عليها نتيجة لموت واندثار الاعتقاد الدينى مثل الحضارة والثقافة العيلامية والأشورية والبابلية والفارسية والمصريةالقديمة ، فهل يوجد اعتقاد دينى من هذه الثقافات والحضارات لا زال موجوداً الآن وله اتباع ؟

أم أنه بموت واندثار الاعتقاد الدينى تموت وتندثر الثقافة والحضارة ؟

٢ - عندما دخلت مصر والمغرب الشام والعراق وفارس وغيرها فى الإسلام ماتت ثقافة هذه الشعوب وحلت محلها الثقافة الإسلامية .

٣ - والثقافة والحضارة الإغريقية التى بدأت فى اليونان واستمرت لعدة قرون فى الإمبراطورية الإغريقية وبعدها فى الإمبراطورية الرومانية ظلت سائدة ومسيطرة حتى بعد مجىء المسيحية(١) .

(١) د . محمد الجوهرى حمد الجوهرى كتاب الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٨م .

وعندما آمن الإمبراطور الرومانى أغسطين بالمسيحية وقام بنشر الديانة المسيحية فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، وترجم الإنجيل إلى اللاتينية وأعلن الأب إيرونيموس أن الفكر الإغريقى لعنة على البشرية .

وأغلقت آخر مدرسة للفلسفة فى أثينا سنة ٥٢٩ م وأحرقت فى روما مكتبة البلاتين سنة ٦٠٠ م ومكتبة الإسكندرية فى مصر ، توارت أفكار هوميروس وفرجيل ، كان ذلك إيذانا بانقطاع الثقافة الإغريقية وإحلال الثقافة المسيحية محلها فى جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية وسادت الثقافة والحضارة المسيحية .

ظلت الثقافة والحضارة الإغريقية ذات الاعتقاد الدينى المادى منقطعة حتى أن أوربا فى العصر الوسيط لم تكن تعرف عنها الكثير إلا بعدأن قام العلماء المسلمون فى العصر الأموى والعباسى بترجمة المؤلفات اليونانية وتم نقلها عن المسلمين إلى أوربا .

وعندما تم القضاء على نفوذ الكنيسة وسلطاتها وكهنوتها ، وحلت المعتقدات المادية العلمانية محل المعتقدات المسيحية فى أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى ، تم بعث الثقافة والحضارة الإغريقية باعتقادها المادى من جديد وظلت الثقافة المادية والحضارة الغربية المادية هى السائدة والمسيطرة منذ القرن السابع عشر الميلادى وحتى الآن .

٤ - الثقافة والحضارة الهندية والثقافة والحضارة اليابانية الصينية والثقافة والحضارة الإسلامية فإنها لم تمت ولم تنقطع وظلت مستمرة منذ مجيئها باعتقادها الدينى كما هو وحتى الآن .

٥ - هناك ثقافات وحضارات كثيرة - عدها أرنولد توينبى ٢٦ حضارة - ماتت واندثرت لأن اعتقاد دينى جديد حل محل اعتقاد دينى قديم . عندما آمن إخناتون بديانة جديدة وبدأ نشرها قامت معها ثقافة جديدة وحضارة جديدة ذات فنون مختلفة وبدأت التماثيل والأدعية والكتابات الجديدة تحل محل المعتقدات القديمة وعندما جاء فرعون جديد وتم القضاء على ديانة إخناتون التى لم تستمر سوى فترة قصيرة ، عادت الديانة القديمة بمفاهيمها الثقافية سيرتها الأولى وتم تحطيم التماثيل والآثار التى تدل على ديانة إخناتون .

٦ - عندما اجتاحت جيوش هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العباسية واحتل المغول بعض البلاد الإسلامية ، واحتكوا بالشعوب الإسلامية والثقافة والدين الإسلامى ، وبعد فترة آمن المغول بالدين الإسلامى بعد أن آمن أحد حكامهم به حيث عمل على نشره فى ربوع الإمبراطورية المغولية وحلت الثقافة الإسلامية محل الثقافة المغولية فى بلاد كثيرة من آسيا نتيجة لإيمان شعوبها بالدين الإسلامى[١] .

● ● ●

(١) المصدر السابق .

نظرية الأدب والفنون الإسلامية
النظرية الثقافية الإسلامية

نتيجة للغزو الفكرى والتغريب فإن الثقافة فى كثير من البلاد العربية والإسلامية، أصابتها بعض الشوائب التى غيرت بعض مفاهيمها ، وقد أدى ذلك إلى أن بعض عناصر ثقافتنا أصبحت تحمل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة بدلاً من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية الصحيحة مثل :

١ - **العادات والتقاليد والسلوكيات** : كثير من المجتمعات الإسلامية أصبح كثير من أفرادها يقلدون الغربيين فى عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم بدعوى التنوير والتقدم وتخلوا عن بعض العادات التى تعتبر من معطيات الإسلام مثل عادات الطعام وبعض عادات الشراب وأزياء الملابس وبعض عادات الأفراح والزواج وحفلات أعياد الميلاد للأشخاص وغيرها من سلوكيات وتقاليد غربية تخالف مفاهيمنا الإسلامية .

٢ - **الأخلاق** : كثير من الأفراد فى المجتمعات الإسلامية الآن يمارسون الأخلاق المرذولة وبعضهم يمارسون الأخلاق المنحرفة مثل تعاطى المخدرات وشرب الخمور والجنس المحرم والشذوذ فى ظل قانون وضعى لا يردع المنحرفين وقد انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية بعض الجرائم التى لم تعرف من قبل مثل جرائم الاغتصاب والسرقات وبعض المخدارت التى لم تعرف من قبل .

٣ - **كثير من المجتمعات الإسلامية الآن تخضع لقوانين وضعية ولا تطبق أحكام الشريعة الإسلامية** مما كان له انعكاسات سلبية فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى ابتعدت عن مفاهيم الإسلام .

٤ - **الإنتاج الأدبى والفنى** : معظم الإنتاج الأدبى والفنى - مثل القصص والمسرحيات والشعر والنقد الأدبى والمجالات الفنية مثل أفلام السينما والإعلام والتمثيليات والموسيقى والغناء والرقص والفنون التشكيلية - فى مختلف البلاد العربية

والإسلامية يحمل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة ولا تحمل مفاهيم هويتنا الإسلامية ومفاهيم ثقافتنا الإسلامية .

الاستثناء الوحيد هو ما تنتجه جمهورية إيران الإسلامية والقليل الذى تنتجه بعض الدول العربية والإسلامية .

ومع أن الإنتاج الأدبى والفنى الذى يحمل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة موجود ومنتشر وسائد فى كثير من الدول العربية الإسلامية منذ أوائل القرن العشرين تقريباً ، إلا أنه فى ظل العولمة - بوسائلها الواسعة الانتشار والتأثير - سوف يكون لنشر وطرح هذا النوع من الإنتاج الأدبى والفنى بوسائل العولمة على أنه ممثل للأدب والفنون الإسلامية خطر عظيم على ثقافتنا الإسلامية ، لأن الأدب الإسلامى والفنون الإسلامية يجب أن يحمل مفاهيم ثقافتنا الإسلامية مثل الأدب والفنون البوذية والهندوسية والعلمانية الغربية التى تحمل مفاهيم ثقافتها وبالتالى مفاهيم معتقداتها الدينية .

إن نظرية الأدب والفنون الإسلامية تفترض أساساً وجود شعوب إسلامية تحكمها حكومات تطبق أحكام الشريعة الإسلامية على الأفراد والشعوب والحكومات بقوانينها ونظمها ومؤسساتها لأن نظرية الأدب والفنون الإسلامية تتطلب وجود نظام سياسى واقتصادى إسلامى ، ووجود نظم وقواعد اجتماعية إسلامية لأن المقاييس الاجتماعية التى تقاس بها سلوكيات الفرد فى المجتمع - وبوصفها مقدرات يكتسبها الفرد كعضو فى المجتمع الإسلامى - هذه المقاييس ترتبط بالمقاييس الثقافية التى سوف نتناولها فيما بعد .

وفى عصر العولمة فإن عملية خلط الثقافات - التى تعتبر من سلبيات العولمة - تمثل خطراً حقيقياً على ثقافتنا وهويتنا الإسلامية فالإنتاج الثقافى فى مجال الأدب الإسلامى والفنون الإسلامية قليل بل يكاد يكون منعدماً ، والخوف الحقيقى هو اعتبار الإنتاج الأدبى والفنى الموجود حالياً فى معظم البلاد العربية والإسلامية - والذى يحمل مفاهيم علمانية - هو الممثل الحقيقى لهويتنا الثقافية وهذا خطر عظيم على ثقافتنا الإسلامية الحقيقية .

ونظرية الثقافة الإسلامية جاءت لتسد هذه الثغرة وإنتاج أدب إسلامى وفنون إسلامية تحمل المفاهيم الحقيقية للثقافة الإسلامية لتطرح وتعرض فى وسائل العولمة كممثلة لثقافتنا وهويتنا الإسلامية ، بدلاً من الغثاء الأدبى والفنى المنتشر فى البلاد العربية والإسلامية الآن والذى يحمل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية .

إن النظرية الثقافية الإسلامية تقوم على المبادى والأسس التالية :

أولاً : تفرض النظرية الثقافية الإسلامية وجود مجتمع إسلامى تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية فى شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية .

ثانياً : النظرية الثقافية الإسلامية هى نظرية تميز أنواع الأدب والفنون وتحكم على انتمائها الثقافى .

بمعنى إذا قرأنا رواية أدبية دون الالتفات إلى مؤلفها وانتمائه الثقافى هل يمكن أن نقول أن هذه الرواية تنتمى إلى الأدب الإسلامى والثقافة والإسلامية ؟

وهل يمكن أن نقول أنها تنتمى للثقافة الهندوسية ؟

وهل يمكن أن نقول أنها تنتمى للثقافة البوذية ؟

وهل يمكن أن نقول أنها تنتمى للثقافة العلمانية الغربية الحديثة ؟

وهل يمكن أن نقول أن هذه الرواية بدون اتجاه ثقافى ؟

مع ملاحظة أن هذا القول يختلف عن مقولة « موت المؤلف » التى تشير إليه بعض الاتجاهات النقدية فى نظرية النقد الغربية العلمانية .

وهل إذا شاهدنا فيلماً سينمائياً أو أى عمل ثقافى آخر يمكن أن نحكم على انتمائه الثقافى ؟ أو تحديد هويته الثقافية ؟

وما أهمية ذلك فى عصر القنوات المفتوحة والفضاء السوبرانى العولمى وعملية خلط الثقافات التى هى من سلبيات العولمة أو تجليات العولمة فى عرف العلمانيين . إن تحديد الهوية الثقافية وتجلية معانيها والتفريق بينها وبين الهوية الحضارية - أى

الانتماء الحضارى - من أهم ما يجب أن نتنبه إليه فى عصر خلط الثقافات وخلط المفاهيم الحضارية أن الأفراد العاديين يمكن أن يميزوا بين الأعمال الأدبية والفنية بفطرتهم السليمة .

فإذا شاهد أحدهم فيلماً سينمائياً يخالف معتقداته الدينية والثقافية الإسلامية ، فإنه يرفضه وينتقد ابتذاله وخروجه عن مفاهيم الدين الإسلامى . وهذا سر أزمة السينما فى مصر وبعض البلاد العربية والإسلامية وعدم إقبال الجماهير عليها لأنها لا تلب حاجة الأفراد إلى فنون تحمل مفاهيم ثقافتها الإسلامية وهويتها الإسلامية .

لقد قام بعض المخرجين المصريين بإجراء تجربة عمل مسرحية تحمل مفاهيم إسلامية دون أن يشير إطلاقاً إلى الدين الإسلامى ولدهشته - كما يقول فى حوار له بالتلفزيون - أن وجد إقبالاً كبيراً من الجماهير ونجحت المسرحية على الرغم من مستواها الفنى المتوسط .

إن كثيراً من الأفراد فى بعض المجتمعات الإسلامية يعتبرون السينما حرام ، ويرجع ذلك لأن السينما فى معظم البلاد العربية والإسلامية تعرض أفلاماً سينمائية تحمل المباذل والجنس المحرم والمخدرات والعنف مثلها فى ذلك مثل السينما الأوربية والأمريكية وهو ما يتعارض مع مفاهيم الثقافة الإسلامية ، وفى الحقيقة فهو يمثل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة .

والنقد الأدبى والفنى فى نظرية الثقافة الإسلامية يختلف أيضاً عن النقد فى نظرية الأدب الغربية ، وسوف يتضح ذلك فيما بعد .

ولكن ما أهمية نظرية الثقافة الإسلامية فى المجال الأدبى والفنى ؟

الإجابة أنه فى ظل العولمة سوف تختلط الأمور على المشاهد وسوف يطالع فى المستقبل القريب - مهما كان موقعه على ظهر الكرة الأرضية - أخلاطا من الأعمال الأدبية والفنية من شتى الثقافات ، وسوف تجذبه الإغراءات الفنية - دون أن يدرى - التى تدغدغ حواسه وهى متبلة بالفحش والإغراءات الحسية والنفسية التى تبعده رويداً رويداً عن مفاهيم ثقافته وهويته الإسلامية ، وتختلط عليه الأمور لأنه لايجد إنتاجاً ثقافياً يحمل مفاهيم ثقافتة الإسلامية ينافس هذا الإنتاج الغريب عن مفاهيمه .

إن عملية خلط الثقافات التى تعتبر من سلبيات العولمة كما ذكرنا سابقاً تعتبر من أخطر التحديات التى تفرزها العولمة على ثقافتنا الإسلامية .

فنظرية الثقافة الإسلامية للأدب والفنون هى نظرية أدبية فنية للتمييز بين الثقافات المختلفة والحكم على الإنتاج الثقافى وانتمائه الثقافى وأهميتها ترجع للأسباب التالية :

١ - التمييز بين الإنتاج الأدبى والفنى وانتمائه الثقافى .

٢ - إبداع أدب وفنون تحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية .

٣ - وضع الأسس لنظرية النقد الإسلامية التى تعتمد على مبدأين :

المبدأ الأول : نقد فنى للأدب والفنون .

المبدأ الثانى : نقد ثقافى للأدب والفنون .

والنظرية الثقافية الإسلامية للأدب والفنون تقوم على أسس ومقاييس فنية وأسس ومقاييس ثقافية .

فالنظرية الثقافية الإسلامية تقوم على نوعين من الأسس والمقاييس ، هما الأسس والمقاييس الفنية والأسس والمقاييس الثقافية .

والنظرية الثقافية الإسلامية تختلف عن نظرية الأدب فى الثقافة العلمانية الغربية ، وسوف نناقش الفرق بينهما فيما بعد .

وسوف نلقى الضوء على الأسس والمقاييس الجمالية والأسس والمقاييس الثقافية للنظرية الثقافية الإسلامية :

أولاً : الأسس والمقاييس الفنية فى النظرية الثقافية الإسلامية :

إن وظيفة الأدب والفنون الحقيقية هى الإبداع الفنى الجمالى وتلك الصور الفنية التى يبدعها الأديب أو الفنان والتى تحلق بالحس الإنسانى عالياً وتبعث فى النفس البهجة والروعة والجمال والتى يطلقون عليها الآن « التجارب الشعورية الموحية »[1]

(١) سيد قطب . كتاب النقد الأدبى . أصوله ومناهجه .

والتى يصيغها الفنان أو الأديب - فى لغة عربية إذا كان أدباً أو رؤية فنية إذا كان إنتاجاً فنياً - والتى يطلقون عليها « التجارب التعبيرية » .

والجودة الفنية للعمل الأدبى ترجع إلى ما يحمله من تجارب شعورية مصاغة بتجارب تعبيرية موحية ومدى جودتها من عدمه .

والجودة الفنية للعمل الفنى تعتمد على جودة الرؤية الفنية للفنان ، مدى روعتها من عدمه .

والتجارب الشعورية فى الأدب أو الرؤية الفنية فى الفنون هى تجارب حقيقية عايشها الأديب أو الفنان أو تكون من اختراع خياله .

أما التجارب التعبيرية فى الأدب فهى تجارب لغوية يقوم بها الأديب لينحت عبارته الأدبية التى يصب فيها تجربته التعبيرية . وكل أديب له تجاربه التعبيرية وأسلوبه الخاص الذى يعبر به عن نفسه ويعبر به عن تجربته الشعورية[(١)] .

والمقاييس الفنية فى الأدب والفنون تتقارب - وتكاد تكون متشابهة - فى الثقافات المختلفة ، فالحكم على الجودة الفنية للعمل الأدبى أو الفنى لا يختلف كثيراً فى الثقافات المختلفة أما الحكم على مايحمله العمل الأدبى أو الفنى من مفاهيم ثقافية فهذا ما يمثل أسس ومقاييس أخرى مختلفة وهى الأسس والمقاييس الثقافية .

والمقاييس الفنية تعتمد على طريقة معالجة الموضوع فنيا ، سواء كان هذا الموضوع عملاً فنياً فطريقة المعالجة الفنية والمقاييس الفنية . وطريقة المعالجة الفنية والمقاييس الفنية لها قواعدها ونظمها وطرق النقد الفنى معروفة وهى متشابهة فى الثقافات المختلفة .

أما طريقة المعالجة الثقافية والمقاييس الثقافية فهى مختلفة فى الثقافات المختلفة.

---

(١) د . محمد الجوهرى حمد الجوهرى . كتاب الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، دار الأمين للنشر والتوزيع بالقاهرة .

ثانياً : الأسس والمقاييس الثقافية فى النظرية الثقافية الإسلامية :

الأسس الثقافية التى تقوم عليها النظرية الثقافية الإسلامية تعتمد على طريقة معالجة الموضوع ثقافياً سواء كان هذا الموضوع عملاً أدبياً أو عملاً فنياً .

وطريقة معالجة الموضوع ثقافياً تختلف باختلاف الثقافة ففى الثقافة الإسلامية يمكن تناول أى موضوع كالحب مثلاً والتعبير عنه والإبداع فيه . ولكن طريقة معالجة قصة الحب فى الثقافة الإسلامية تختلف عن طريقة معالجتها فى الثقافة العلمانية الغربية وتختلف عن طريقة معالجتها فى الثقافة البوذية وفى الثقافة الهندوسية .

والمقاييس الثقافية تعتمد على طريقة معالجة الموضوع ثقافياً أيضاً.

أى أن طريقة معالجة الموضوع ثقافياً هى التى تحدد الانتماء الثقافى للموضوع وبالتالى فهى تعتمد على الاعتقاد الدينى الذى تنتمى إليه الثقافة .

وطريقة معالجة الموضوع ثقافياً مع أنها إحساس مرهف يتسلل فى العمل الأدبى أو العمل الفنى ويحسه ويستشعره المتلقى ، إلا أنها محكومة فى الثقافة الإسلامية بالموضوعات أو الفروض التالية :

(أ) بالعناصر المكونة لنسيج الثقافة الكلى ومفاهيمها الدينية .

(ب) بالدين الإسلامى ومعطياته ومفاهيمه .

(جـ) بالإجابة عن الأسئلة :

هل العمل الأدبى أو العمل الفنى :

يحمل مفاهيم الدين الإسلامى ؟

يحمل مفاهيم لا تتعارض مع الدين الإسلامى ؟

يحمل مفاهيم تتعارض مع الدين الإسلامى ؟

فالثقافة أى ثقافة سواء كانت الثقافة الإسلامية أو الهندوسية أو البوذية أو العلمانية المادية الغربية تتكون من عناصر ، هذه العناصر تتشابك فى نظام معقد يطلق عليه نسيج الثقافة الكلى ، وكل عنصر من العناصر المكونة لنسيج الثقافة الكلى يجب أن يحمل مفاهيم الاعتقاد الدينى الذى تنتمى إليه الثقافة ، فالاعتقاد الدينى هو أساس الثقافة وهو الذى يحدد وجودها أو موتها أو انقطاعها كما أسلفنا .

والعناصر المكونة لنسيج الثقافة هى : الاعتقاد الدينى والأخلاق والعادات والفنون والقانون والمعرفة والمقدرات المكتسبة بواسطة الفرد بوصفه عضو فى المجتمع .

والاعتقاد الدينى يصبغ كل عنصر من عناصر الثقافة بمفاهيمه فالقانون مثلاً فى الثقافة الإسلامية هو أحكام الشريعة الإسلامية ، والعادات فى الثقافة الإسلامية يجب أن تحمل مفاهيم الدين الإسلامى مثل أزياء الملابس وغطاء رأس المرأة ومثل عادات الطعام والشراب كعدم شرب الخمر وتحريمه وعادات الزواج والأفراح والاحتفالات مثل الاحتفال بالمولود الجديد وذبح خروف أو بديل له وهو ما يعرف بالعقيقة واحتفالات الأعياد وغيرها من العادات الإسلامية ...

وهكذا بقية العناصر فى الثقافة الإسلامية يجب أن تحمل مفاهيم الدين الإسلامى .

وبالمثل الثقافات الأخرى فإن كل عنصر من العناصر المكونة لنسيجها الكلى يحمل مفاهيم اعتقادها الدينى .. ومن المعطيات أيضاً الدين بعقائده وشرائعه والعبادات مثل الصلاة والزكاء والحج وصوم رمضان والإيمان والإحسان والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادات التى أمر الإسلام بها والأخلاق والمعاملات والعقوبات والعلاقات ، ومعطيات الدين الإسلامى فى الاقتصاد والسياسة والنواحى الاجتماعية والثقافية .

وبالنسبة للفرض الثالث فإذا كانت الإجابة عن الأسئلة تبين أن العمل الأدبى أو الفنى يحمل مفاهيم الدين الإسلامى أو أنه يحمل مفاهيم لا تتعارض مع الدين الإسلامى فيمكن اعتبار هذا العمل أدباً إسلامياً أو فناً إسلامى .

أما إذا كان العمل الأدبى أو الفنى يحمل مفاهيم تتعارض مع الدين الإسلامى سواء كان أدباً أو فناً من الفنون ، بل ينتمى إلى ثقافة أخرى يمكن الاستدلال عليها بنفس المعايير السابقة .

ومما سبق يتضح أن الأسس الثقافية التى تبنى عليها النظرية الثقافية الإسلامية وأيضاً المقاييس أو المعايير الثقافية التى تسخدم لتحديد الانتماء الثقافى فى النظرية الثقافية الإسلامية - وهما عنصران يعتمدان على طريقة معالجة الموضوع ثقافياً - هذه الأسس وهذه المعايير الثقافية تتحدد بثلاثة فروض هى :

(أ) العناصر المكونة لنسيج الثقافة الكلى ومفاهيمها الدينية .

(ب) الاعتقاد الدينى ومعطياته ومفاهيمه .

(جـ) الأجابة عن الأسئلة :

هل العمل الأدبى أو العمل الفنى :

يحمل مفاهيم الاعتقاد الدينى الذى تنتمى إليه الثقافة ؟

يحمل مفاهيم لا تتعارض مع الاعتقاد الدينى ؟

يحمل مفاهيم تتعارض مع الاعتقاد الدينى .

وعلى ضوء هذه الفروض الثلاثة يمكن تحديد انتماء العمل الأدبى أو الفنى ، وهل ينتمى للثقافة الإسلامية أم للثقافة الهندوسية أم للثقافة البوذية أم للثقافة العلمانية الغربية الحديثة .

والخلاصة : أن النظرية الثقافية الإسلامية لها أسس ولها معايير أو مقاييس ، وأسس ومعايير (مقاييس) النظريةالثقافية الإسلامية تنقسم لشقين : شق جمالى فنى وشق ثقافى .

أما الشق الجمالى الفنى وهو ما أطلق عليه : الأسس والمقاييس الفنية فى نظرية الثقافة الإسلامية ، فهو شق يختص بالأسس والمعايير الفنية الجمالية الإبداعية فى الأدب أو الفنون وهو شق تشترك فيه الثقافات المختلفة .

أما الشق الثقافى وهو ما يطلق عليه :

الأسس والمقاييس الثقافية فى النظرية الثقافية الإسلامية فهو شق يعتمد على طريقة معالجة الموضوع - سواء كان هذا الموضوع عملاً أدبياً أو عملاً فنياً كالموسيقى أو الرسم أو فيلماً سينمائياً أو تمثيلية أو فناً سماعياً أو فناً تشكيلياً - ويتحدد بثلاثة فروض هى :

(أ) العناصر المكونة لنسيج الثقافة الكلى ومفاهيمها الدينية .

(ب) الدين الإسلامى ومعطياته ومفاهيمه .

(جـ) الإجابة عن الأسئلة :

هل العمل الأدبى أو الفنى يحمل مفاهيم الدين الإسلامى .

أو يحمل مفاهيم لا تتعارض مع الدين الإسلامى ؟

أم أنه يحمل مفاهيم تتعارض مع الدين الإسلامى ؟

أى أن النظرية الثقافية الإسلامية للأدب والفنون تتكون من شقين :

١ - شق يعتمد على طريقة معالجة الكلمات والمعانى وهو الشق الجمالى الفنى وهو شق عالجه العرب القدماء واهتموا به أمثال عبد القاهر الجرجانى وحازم القرطاجنى كما عالجته نظرية النقد الغربى الحديث باتجاهاتها المتعددة .

٢ - وشق يعتمد على طريقة معالجة الموضوع ، وهو شق يعتمد على الثقافة التى ينتمى إليها المؤلف أو الفنان . وهذا الشق لا يعتمد على الموهبة الفنية ولكن على المفاهيم الثقافية التى تسود فى المجتمع والتى يؤمن بها المؤلف أو الفنان .

وطريقة معالجة الموضوع التى تمثل الشق الثقافى لا تتعلق بأدبية النص أو فنية الكلمات والتعبيرات أو النواحى البلاغية أو الإبداعية أو بطريقة نظم الكلمات والمعانى . كما أن طريقة معالجة الموضوع التى تمثل الشق الثقافى لا تتعلق بالحقائق التى تمثل الرسالة الأدبية أو الفنية من حيث هى وسيلة اتصال تتكون من رسالة ومرسل ومستقبل ، ولكن طريقة معالجة الموضوع التى تمثل الشق الثقافى أمر آخر يتعلق بالثقافة والمفاهيم الثقافية والمبادئ الثقافية وهى أمور ترتبط بالمفاهيم الدينية التى تنتمى إليها الثقافة كما أوضحنا سابقاً . والشق الثقافى فى النظرية الثقافية الإسلامية لا يعتمد على الفطرة والموهبة ولكنه يعتمد على الدراسة، وهو شق أزعم أننى أول من يتناوله بالبسط والتفصيل ، وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى فى عرضه نتيجة لظروف العولمة وخلط الثقافات .

وقد يظن البعض أن النظرية الثقافية الإسلامية هى نظرية الشكل والموضوع وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة ولكنها نظرية تعتمد على طريقة المعالجة سواء من الناحية الفنية أو من الناحية الثقافية .

وقد يتبارد للذهن أن الاتجاهات الإنسانية فى نظرية النقد الأدبى الغربى الحديث تتلاقى مع النظرية الثقافية الإسلامية فى بعض المفاهيم ، ولكن هذا ليس صحيحاً ، فنظرية النقد الغربى الحديث بكل اتجاهاتها تنطلق من أساس مادى لا دينى بعكس الاتجاهات النقدية الارثوذكسية القديمة التى كانت تهتم بالنقد الفنى والأخلاقى . أما الاتجاهات الحديثة فأساسها مادى لادينى مثل كتابات إيفانز ريتشاردز والشكلانيين والبنيويين أمثال كلود ليفى شتراوس وغيرهم .

ولنضرب لذلك مثلاً بالسميولوجيا أو علم العلامات أو العلامة ، فالعلامة لها أنساق متعددة ومن هذه الأنساق اللغة أما الأنساق الأخرى فهى الصور والإيماءات والأصوات الموسيقية وقد عرض فى المسرح التجريبى فى القاهرة مسرحيات التعبير بالجسد وهو من تجليات السمولوجيا أو العلامية .

والمتأمل لهذه التوجهات اللغوية والاجتماعية والثقافية يجد أنها تنطلق من اعتقاد مادى لادينى يؤمن بنظرية النشوء والارتقاء لداروين ، فالإنسان نفسه هو مصدر المعرفة وليس هناك مصدر آخر ، فهى نظرية مادية إلحادية وهى تنبع من مفاهيم الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة .

بعكس الثقافة الإسلامية فهى تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . وتؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق آدم وعلمه .

يقول المولى عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(١) . ويقول أيضاً : ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢)

• • •

(١) سورة البقرة : الآيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) سورة العلق : آية ٥ .

الأفلام الإيرانية ومقاييس (معايير) الثقافة الإسلامية

جانبان مهمان من جوانب الحضارة الإسلامية قامت جمهورية إيران الإسلامية بتطويرهما من منظور إسلامى وذلك لأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى الحديث .

الجانب الأول هو جانب ثقافى يتعلق بالأدب الإسلامى والفنون الإسلامية وتحديداً قطاع الفنون وخاصة صناعة السينما .

والجانب الآخر جانب من جوانب الحضارة وهو النظام السياسى الإسلامى .

نتيجة لوعى كامل بمتطلبات العصر الحديث ، ونتيجة لفهم كامل لمعطيات الإسلام السياسية قام المفكرون فى جمهورية إيران الإسلامية بتطوير نظام ديمقراطى إسلامى حقيقى ينبع من مفاهيم نظام الشورى الإسلامى . والنظام السياسى الإيرانى الحالى نظام ديمقراطى حقيقى يتمتع المواطنون فيه بحرية مدنية حقيقية ، وبحرية اختيار الحاكم ، وبنظام حزبى وبرلمانى يخضع لمظلة إسلامية أو مرجعية إسلامية هى الدستور الإسلامى . وتحت مظلة المرجعية الإسلامية والدستور الإسلامى تتنافس الأحزاب فى انتخابات حرة نزيهة حيث يتم تداول السلطة حسب الفائز فى الانتخابات .

وهذا النظام يشبه النظام الديمقراطى الغربى والاختلاف بينهما هو : أن المرجعية التى يدور تحت سقفها التعدد فى النظام الإيرانى هى مرجعية إسلامية ودستور إسلامى ، أما المرجعية التى يدور تحت سقفها التعدد فى الدول الديمقراطية العلمانية فهى مرجعية علمانية حيث لا يتقيد نواب الشعب بالشرائع السماوية فى تشريعاتهم.

ولأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى الحديث تقوم دولة إسلامية بإنتاج كل أفلامها السينمائية - كل أفلامها وليس بعضها - من منظور إسلامى وتحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية ، وليس ذلك فقط بل وتشترك كل عام فى جميع المهرجانات السينمائية الدولية فى العالم وتفوز بالجوائز الأولى فى أغلب الأوقات .

والأفلام السينمائية الإيرانية تعالج شتى الموضوعات ولكن من منظور إسلامى . والقائمون على صناعة السينما الإيرانية على وعى كامل بمعنى الثقافة ، ومعنى الثقافة الإسلامية ومعرفة عميقة بالاختلاف بين الثقافات .

وكل الأفلام الإيرانية التى تنتجها جمهورية إيران الإسلامية لا تجد فيها ما يخالف الإسلام ولا تجد فيها ما يتعارض مع مفاهيم الثقافة الإسلامية ولا تجد فيها ما يحل حراماً أو يحرم حلالاً .

فهى تعالج شتى الموضوعات ولكن بطريقة تتقيد بالمفاهيم العقائدية والأخلاقية والسلوكية الإسلامية ، وتتقيد بالعادات والتقاليد الإسلامية أى أنها تتقيد بمفاهيم الثقافة الإسلامية .

وربما كانت موضوعات قصة الفيلم اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية ولكنها تعالج من منظور إسلامى ، وربما كانت موضوعات ذات مفاهيم إنسانية عامة مشتركة بين الثقافات المختلفة.

أو ربما كانت قصة الفيلم موضوعاً يتعلق بالدعوة الإسلامية بطريق مباشر أو غير مباشر ، أو بالنواحى العقيدية الإسلامية أو التاريخ الإسلامى أو الشخصيات الإسلامية المشهورة أو بإبراز عوامل القوة للمسلمين مثل الجهاد الإسلامى والإعداد الجيد للحرب ، أو إبراز المميزات الإسلامية فى النواحى الاقتصادية السياسية والاجتماعية والثقافية .

أو ربما تكون قصة الفيلم موضوع ذو مفهوم خاص فى الثقافات الأخرى والمراد إبراز المفهوم الإسلامى فى هذا المجال وكذلك أفلام الخيال العلمى والأفلام العلمية وغيرها من الموضوعات المختلفة .

وجميع الأفلام الإيرانية التى تنتجها جمهورية إيران الإسلامية فى عهدها الإسلامى تحمل المفاهيم الإسلامية الصحيحة - فى موضوع قصة الفيلم وفى الموضوعات الأخرى مثل الإخراج والتمثيل ...

وهذه الأفلام تعرض فى جميع أنحاءالعالم وفى المسابقات الدولية وفى زمن العولمة فإن السياج الذى يحفظ المجتمع الإسلامى وسلامته الجغرافية والتاريخية والثقافية من كيد الأعداء هو الإيمان والتمسك بالشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها فى شتى المجالات .

إن هؤلاء الذين يتجاهلون المعطيات والمفاهيم الإسلامية مثل الجهاد الإسلامى والدعوة إليه فى كل الأوقات ، وهؤلاء الذين يهاجمون المفاهيم الإسلامية ، سوف يكتشفون فى زمن العولمة فداحة الجرم الذى ارتكبوه فى حق شعوبهم وسوف يكتشفون أن قوة الإيمان تفوق جميع أنواع القوى الأخرى فى الأهمية .

ومن العجيب أنه لا يوجد من بين أمم الأرض من يرفض مصادر قوته وعزته إلا العلمانيون فى البلاد العربية والإسلامية ، إنهم يرفضون مصدر قوتهم مصدر شعورهم بالفخر والاعتزاز وهو العامل الوحيد الذى تتداعى إليه وتستجيب له شعوبهم ومجتمعاتهم ويضحى الأفراد بأرواحهم فى سبيل نصرة دينهم وأوطانهم . إن العلمانيين فى البلاد العربية والإسلامية برفضهم الانتماء الإسلامى والمفاهيم الإسلامية وأحكام الشريعة الإسلامية يجعلون من أنفسهم مخالب للأعداء ينهشون به جسد الأمة الإسلامية .

ولما كانت الفنون الإسلامية لها أهمية كبيرة فى زمن العولمة لمجابهة الزيف والبهتان العلمانى ولمجابهة هذا السيل من الفنون الهابطة التى تمثل ثقافة أخرى غير ثقافتنا وهوية أخرى غير هويتنا فإن السينما الإيرانية الحالية تمثل المثل والقدوة التى يجب أن ينتهج الفنانون فى البلاد العربية والإسلامية نهجها ويتبعوا خطاها حتى يسود ويسيطر الفن الإسلامى ويكون له السبق فى السموات المفتوحة .

والمشاهد للأفلام السينمائية الإيرانية قد تختلط عليه الأمور ولا يعرف الفرق بينها وبين الأفلام الأخرى التى تمثل الثقافات الأخرى وخاصة الأفلام التى تعالج مشاكل الحياة اليومية .. فما هى المعايير التى نستطيع أن نميز بها بين الأفلام المختلفة ونحكم بها على انتمائها الثقافى ؟ .

لماذا نقول إن الأفلام السينمائية الإيرانية التى تنتجها جمهورية إيران الإسلامية تحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية والهوية الثقافية الإسلامية الحقيقية ؟

إذا طبقنا مقاييس أو معايير النظرية الثقافية الإسلامية على الأفلام الإيرانية سوف نجد مايلى :

أولاً : المعايير او المقاييس الجمالية :

لما كانت المقاييس الجمالية للعمل الأدبى أو الفنى واحدة تقريباً فى كل الثقافات فإننا نجد أن الأفلام الإيرانية تتمتع بتميز واضح فى المقاييس الجمالية ، فهى لا تقل عن الأفلام الأمريكية أو الهندية أو غيرها ، بل وتتفوق عليها فى المسابقات الدولية خاصة وأن المقاييس فى المسابقات الدولية هى مقاييس جمالية فقط .

وفى العقود الأخيرة لا يوجد مهرجان سينمائى فى العالم إلا وتفوز فيه السينما الإيرانية بالجوائز الأولى سواء فى السيناريو أو الإخراج أو التمثيل أو أزياء الملابس ...

فالإبداع الفنى فى السينما الإيرانية - وهو مقياس مشترك بين الثقافات المختلفة وهو المقياس الوحيد فى المهرجانات السينمائية الدولية - يعتبر من منجزات السينما الإيرانية .

وفى مهرجان القاهرة الدولى للسينما عام ١٩٩٨م فاز الفيلم الإيرانى « أكون أو لا أكون » بالجائزة الذهبية فى الحوار وغيره من الأفلام الإيرانية فازت بجوائز فى هذا المهرجان .

وفى مهرجان القاهرة الدولى للسينما عام ١٩٩٩م حصدت ثلاثة أفلام إيرانية الجوائز الأولى فى المجالات المختلفة ، وفى مهرجان كان والهند وغيرها تحصد الأفلام الإيرانية الجوائز الأولى .

والسينما الإيرانية لها حتى الآن عشرة أعوام فى عهد جمهورية إيران الإسلامية تحصد الجوائز فى مهرجان كان السينمائى الدولى ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على التميز الفنى للأفلام الإيرانية وهو مقياس له المتخصصون فيه وفى مجالاته المختلفة .

ثانياً : المعايير او المقاييس الثقافية :

فإذا أخذنا المقاييس الثقافية فى النظرية الثقافية الإسلامية وهى :

١ - أوامر ونواهى الدين الإسلامى .

٢ - ما يتوافق مع المفاهيم الإسلامية وما لا يتعارض مع المفاهيم الإسلامية فلا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً من الدين الإسلامى بالضرورة.

٣ - عناصر الثقافة الإسلامية وهى المقاييس التى فصلناها فى النظرية الثقافية الإسلامية وإذا طبقنا هذه المقاييس الثلاثة على كل مجال من مجالات صناعة الفيلم السينمائى الإيرانية مثل قصة الفيلم وسيناريو الفيلم والإخراج والتصوير والتمثيل وأزياء الملابس ...

فسوف نجد أنه فى كل مجال من هذه المجالات لايوجد ما يخالف المفاهيم الإسلامية ، ولا يوجد ما يخالف أوامر ونواهى الدين الإسلامى ولا يوجد ما يحل حراماً أو يحلل حراماً .

كما سوف نجد أنه لا يوجد مشاهد جنسية أو حركات جنسية أوملابس خارجة أو فاضحة، والتزام النساء بارتداء الحجاب الإسلامى فى جميع الأحوال وجميع الظروف، وكل العادات والسلوكيات والمعاملات لا تتعارض مع العادات الإسلامية فى المأكل أو المشرب وأزياء ملابس المرأة وعادات الزواج والأفراح والاحتفالات والسلوكيات وعلاقات الرجل بالمرأة التى لا تنزلق إلى الإغراء الجنسى أو تخرج عن التقاليد الإسلامية المرعية ، مع الاحتفاظ بالعلاقات الإنسانية والمشاعر الإنسانية دون تزييف أو امتهان أو تلطيخ بالجنس المحرم وعدم إبراز للخلوات المحرمة أو المقاصد الغير مباشرة المحرمة ...

والأفلام الإيرانية التى تعالج الدعوة الإسلامية أو العقائد فإنها لا تجنح نحو المباشرة ولكن تعالجها بطريقة فنية غير مباشرة .

وسوف نناقش تطبيق المقاييس الثقافية على قصة الفيلم عندما نتكلم عن القصة الأدبية ، أما السيناريو والإخراج والتمثيل فإن المتخصصين القائمين بهذه الأعمال والأعمال الأخرى مثل التصوير وتصميم الأزياء والملابس فإنهم جميعاً من المؤمنين بالدين الإسلامى ومفاهيم الثقافة الإسلامية ولذلك جاء عملهم فى صناعة الفيلم السينمائى متناغماً ومتناسقاً ويعطى صورة حقيقية لمجتمع إسلامى يطبق أحكام الشريعة الإسلامية ويعيش فيه الفرد المسلم يباشر حياته بحرية كاملة فى حدود الدستور الإسلامى ولذلك جاء الإبداع الفنى يتميز بالصدق والخصوصية التى تزيد العمل الفنى الجميل جمالاً .

فالحوار والإخراج والتمثيل فى الأفلام الإيرانية يتمثل فيها الفنية أولاً ثم الاحتراف والصنعة والصياغة حسب المفاهيم الثقافية التى أوردها مؤلف قصة الفيلم ، فالمحافظة على المفاهيم الثقافية مع أنها مقصودة ونتيجة لفهم عميق لمعنى الثقافة الإسلامية إلا أنها تبدو عفوية لا تبدو فيها الصنعة والتكلف .

ففى فيلم الأب الذى عرض فى مهرجان القاهرة للسينما عام ١٩٩٨م يصور الفيلم صبى يعود من المدينة حيث كان يعمل للإنفاق على أسرته الصغيرة بعد وفاة والده ولكنه يفاجأ بزواج أمه من أحد عساكر الشرطة ، يمتلئ قلبه بالحقد والغل ويحاول إفساد حياة أمه وقتل زوجها إلا إنه يفشل ، فيسرق سلاح زوج أمه ويهرب عائدا إلى المدينة التى كان يعمل بها .

يتحلى زوج الأم بالصبر وسعة الصدر على تصرفات الابن ، ويتابع الصبى للحصول على السلاح إلا أن الصبى يتسبب فى كثير من المشكلات والمضايقات لزوج الأم . ويتعرضان لعدة مخاطر فى رحلة العودة حيث يسيران فى منطقة جبلية بعد أن تعطلت بهما الدراجة البخارية ونفد ما لديهما من ماء وطعام .

يقوم الصبى بإنقاذ زوج الأم ، بعد أن شعر أن الرجل يكن له ولأسرته حباً كبيراً وأنه يصلح بديلاً للأب الغائب .

ففى هذا الفيلم تقوم الكاميرا وحركة الممثلين بإبراز المشاعر الإنسانية الطبيعية ، وتحل الصورة مكان الكلمة فى كثير من المواقف كما أن المناظر الطبيعية وخلفية الصور تخدم الصورة وتخدم الغرض كما أن حركة الممثلين والحوار بينهم لا يوجد به خروج عن المفاهيم والعادات الإسلامية بقصد الإضحاك أو الإغراءات الأخرى كالجنس والعنف وغيرها ، كما سوف نلاحظ أنه لا يوجد عادات أو مفاهيم أو سلوكيات تعارض المفاهيم الإسلامية .

أما فيلم ميلاد فراشة فهو يمثل ثلاث صور مختلفة أو ثلاث حكايات تدور حول معنى واحد هو الإيمان ، وأهم هذه الحكايات القصة الثالثة التى تحكى عن معلم فى قرية صغيرة يقوم بتعليم الأطفال القراءة والكتابة ، يلجأ إليه أهل القرية بصفته الوحيد الذى نال حظاً من التعليم كى يدعو الله لينقذ أهل القرية من الفيضان الذى سيدمر

القرية ، إلا إنه يرفض ذلك خوفاً من ألا يتحقق دعاؤه فينصرف الناس عنه ، والحقيقة أنه كان يخشى عدم استجابة دعائه حتى لا يفقد الناس إيمانهم به شخصياً . يشاهد هذا المعلم طفلاً يسير على صفحة الماء فيما يشبه المعجزة أثناء محاولات إنقاذ القرية من الغرق ويتأكد أنه شخصيا ضعيف الإيمان . وقد اهتم المخرج بجماليات الطبيعة وعفوية إدارة الممثلين للتعبير عن أفكار الفيلم التى لا تخرج عن علاقة الإنسان بالله عز وجل من خلال سلوكياته مع الآخرين وهى طريقة غير مباشرة لإبراز أهمية الإيمان بالله عز وجل ولها آثار كبيرة فى نشر الإيمان بطريق الفن وفن السينما بالذات .

وتبدو الأفلام الإيرانية التى تحمل مفاهيم ثقافتنا وهويتنا الحقيقية وهى تصور أعماق مجتمع مسلم وهو المجتمع الإيرانى وتشعرك بأنك تعيش فى مجتمعك الإسلامى فى قريتك المسلمة فى أى مكان تعيش فيه على ظهر الكرة الأرضية ، فهى تمثل بحق المفاهيم الحقيقية للثقافة الإسلامية دون افتعال أو افتئات أو انتقاص من الثقافات الأخرى ، وتتوخى الصدق فى إبراز المشاعر الإنسانية وتدعو إلى السلام والصلح بين الثقافات وإلى نبذ الاختلافات بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى مثل فيلم ابن مريم الذى يؤكد ببساطة وتلقائية أن التسامح الدينى هو الذى يسود من خلال العلاقة بين طفل فقد أمه أثناء ولادته وقسيس حيث تتجاور الكنيسة والجامع حيث يعمل القسيس بالكنيسة والطفل بالمسجد ، وعندما يغيب القسيس يقوم الطفل بقرع أجراس الكنيسة ، ولما كان الطفل لا يملك صورة لأمه فيعطيه القسيس صورة السيدة العذراء ...

والفيلم يمثل التسامح الدينى .. وقد عرض هذا الفيلم فى مهرجان القاهرة الدولى للسينما كما تم عرضه بعد أحداث الكشح بين المسلمين والأقباط فى صعيد مصر .

• • •

الأدب الإسلامى ومقاييس (معايير) الثقافة الإسلامية

لا شك أن هناك دعوة صادقة لإحياء الأدب الإسلامى فى العصر الحديث ، لمواجهة هذا السيل من الإنتاج الأدبى العلمانى الذى ينتشر ويسود ويسيطر فى وسائل الإعلام كممثل لثقافتنا وهويتنا وهو فى حقيقة الأمر لا يمثل إلا الهوية العلمانية والثقافة العلمانية .

وباسم الحداثة والتحديث والتنوير ينتشر هذا الأدب العلمانى الذى يمثل الهوية المادية العلمانية الغربية الحديثة فى معظم البلاد العربية والإسلامية .

نتيجة لعدم الوعى ولجهل وتأخر الشعوب الإسلامية استطاع تلاميذ الاستعمار من العلمانيين والمتغربين أن يتسنموا قيادة العمل الثقافى فى كثير من البلاد العربية والإسلامية فسيطروا على وزارات الثقافة وهيئاتها ومجالسها ولجانها ورئاسة المجلات والصحف الثقافية والأدبية والإعلامية والفنية وإدارة معظم النوادى الثقافية مما أتاح لهم تشجيع ونشر الأدب العلمانى والفنون الغربية العلمانية بمفاهيمها الانحلالية ومحاربة الأدب الإسلامى وحصره والعمل على عدم تشجيعه .

ومع سيادة وانتشار وسيطرة الأدب الذى يحمل المفاهيم العلمانية المادية فى ربوع البلاد العربية والإسلامية ، إلا أن المجتمعات الإسلامية لا تقبل على هذا الإنتاج الأدبى العلمانى وترفضه وتعتبره غثاء كغثاء السيل لأنه لا يمثل هويتها وثقافتها الإسلامية ومن هنا نشأت أزمة المثقفين كما أسلفنا فى معظم البلاد العربية.

وفى ظل العولمة فإن اتخاذ هذا الإنتاج الأدبى العلمانى المادى كممثل لأدبنا وثقافتنا يعتبر خطراً عظيماً على مفاهيم ثقافتنا الإسلامية فى مجال الأدب والفنون ، ويعتبر أيضاً خطراً على صمود مجتمعاتنا الإسلامية التى ظلت تقاوم هذا الإنتاج الأدبى العلمانى طوال القرن العشرين .

وللباحث الأنثروبولوجى الأمريكى وولتر أرامبراست كتاب يسمى (الثقافة الشعبية والحداثة فى مصر) وهو فى هذا الكتاب يرى أن الجيل الحداثى الثانى فى مصر

والذى كان يمثل الذوق الرفيع والأسلوب اللغوى المميز والذى كان يمثله أحمد شوقى وأم كلثوم والموسيقار محمد عبد الوهاب قد فشل ، وأسباب فشله - من وجهة نظر أرامبراست - أنه كان يسعى إلى الربط بين الماضى والحاضر وأن هذه الرؤية للحداثة قد فشلت .

ويعتبر وولتر أرامبراست أن جيل الحداثة الذى يمثله الريِّس بيرة وأحمد عدوية ثم الأغانى الشبابية قد نجح ويرجع نجاحه - من وجهة نظره - إلى القطيعة مع الماضى.

ومن ذلك يتضح أن إحياء الأدب الإسلامى له أهمية عظمى فى مواجهة هذه الموجات المتعاقبة من الغزو الفكرى والتغريب والتى هدفها اقتلاع هويتنا الإسلامية كما فعلت أوربا منذ القرن السابع عشر الميلادى واستطاعت أن تقضى على اللاهوتية الكنسية لتقوم مقامها الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة .

لقد اختلطت الأمور فى وسائل الإعلام والصحف والمجلات الأدبية مثل مجلات القصة ومجلات الشعر والمجلات الفنية فأنت تقرأ القصة سواء كانت قصيرة أو طويلة ولا تدرى إن كانت تمثل مفاهيمنا الثقافية وهويتنا أم أنها تمثل ثقافة أخرى وهوية أخرى .

إن انتشار الإنتاج الأدبى الذى يحمل المفاهيم العلمانية فى كثير من وسائل النشر المختلفة مع النذر القليل من الإنتاج الأدبى الإسلامى جعل الأمور تختلط على غير المتخصصين ولم يعد بالإمكان أن نميز بين الإنتاج الأدبى الذى يحمل المفاهيم العلمانية والإنتاج الأدبى الذى يحمل المفاهيم الإسلامية إلا بالحس والفطرة ومن هنا جاءت أهمية المقاييس أو المعايير التى على أساسها يتم التمييز بين الإنتاج الأدبى العلمانى والإنتاج الأدبى الإسلامى وكذلك تمييز الإنتاج الأدبى العربى الذى جرى اعتباره من الأدب الإسلامى أمثال خمريات أبو نواس وغزليات بشار بن برد الماجنة وتجديفات أبى العلاء المعرى وهى بعيدة كل البعد عن الأدب الإسلامى .

إن ترويج الأدب العلمانى وفرض نماذجه داخل المجتمعات الإسلامية خطر كبير فى ظل العولمة والسموات المفتوحة يجب أن نعمل على مقاومته .

والمقاومة لا تكون بالمنع والقسر ولكن بالعمل على نشر الأدب الإسلامى وتشجيعه ورصد الجوائز للتميز فى إنتاجه سواء كان شعرا أو نثرا أو نقدا أدبياً إسلامياً .

لقد كان لمجلة الأدب الإسلامى فضل كبير فى انتشار الأدب الإسلامى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

ومجلة الأدب الإسلامى مجلة تصدرها رابطة الأدب الإسلامى العالمية منذ عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م وهى مجلة متخصصة فى الأدب الإسلامى ، أسسها الشيخ أبو الحسن الندوى ويرأس تحريرها الدكتور عبد القدوس أبو صالح وتصدر حالياً باللغة العربية واللغة الأردية من السعودية والهند .

وقد تأسست رابطة الأدب الإسلامى العالمية وقامت هيئتها التأسيسية بدعوة الأدباء الإسلاميين من شتى أنحاءالعالم إلى المؤتمر الأول للهيئة العامة للرابطة الذى انعقد فى لكنو بالهند فى الخامس العشرين من الشهر ربيع الثانى ١٤٠٦هـ الموافق السابع من يناير عام ١٩٨٦م وقد تم فى هذا المؤتمر إقرار النظام الأساسى للرابطة وانتخاب مجلس الأمناء الذى أجمع أن يكون سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى رئيساً للرابطة مدى الحياة ، وقد بدأت الرابطة بمكتبين مكتب شبه القارةالهندية برئاسة الشيخ محمد الرابع الندوى ومكتب البلاد العربية برئاسة الدكتور عبد الرحمن الباشا رحمه الله الذى كان من أوائل رواد الأدب الإسلامى وله مؤلف مشهور عن الأدب الإسلامى .

كما يعتبر الدكتور الأديب نجيب الكيلانى من رواد الأدب الإسلامى وله إنتاجه الوفير المتميز وإسهاماته الرائدة فى مجال الأدب الإسلامى . وقد استطاعت مجلة الأدب الإسلامى أن تجمع الأدباء الإسلاميين من شتى البلاد العربية والإسلامية وكان لهم إنتاجهم المميز الذى أثرى حياتنا الأدبية بشتى أنواع الإنتاج الأدبى والدراسات الأدبية التى تحمل المفاهيم الحقيقية لثقافتنا الإسلامية ، كما كان لمجلة الأدب الإسلامى إسهامات كبيرة لبروز نقد أدبى إسلامى وزيادة مساحته وتميزه عن النقد الغربى ونظرية النقد الأدبى الغربية واتجاهاتها المتعددة .

إن النقد الأدبى الإسلامى لازال حتى الآن يحبو ولم ينتشر ويواكب نهضة الأدب الإسلامى ويبرز مافيه من مفاهيم ثقافية إسلامية تختلف عن المفاهيم الغربية العلمانية .

إن نقد الإنتاج الأدبى سواء كان شعراً أو قصة أو مسرحية أو مقالة أدبية يجب أن يسلك المنهج الذى أوردناه فى النظرية الثقافية الإسلامية مستخدمين معاييرها ومقاييسها التى ذكرناها حتى تستطيع تحقيق مايلى :

١ - بيان الانتماء الثقافى بمعنى هل العمل الأدبى ينتمى إلى الثقافة الإسلامية أم إلى الثقافة الغربية العلمانية أم إلى الثقافة الهندية أم إلى الثقافة البوذية ؟

٢ - النقد الفنى الجمالى للعمل الأدبى وله قواعده وأسسه التى تتشابه فى الثقافات المختلفة .

٣ - النقد الثقافى : والنقد الذى نحكم به ونقيس به هذا العمل الأدبى لنعرف هل يحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية فى كل صوره وجميع جوانبه أم أنه يحمل صوراً علمانية مختلطة بصور إسلامية ؟ بمعنى آخر هل هو عمل مختلط أم أنه إنتاج علمانى مادى لايعنيه الانتماء الثقافى الدينى فهو يتمسك بالمادية اللادينية وبه بعض التجديفات وبعض الصور الدينية وجميع هذه الصور سواء المختلطة أو المادية التى بها بعض التجديفات والصور الدينية هى صور الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة ، فالإنتاج الأدبى العلمانى . قد يكون بصور مختلطة ذات إيحاءات دينية أو تهاويم دينية .

ومقاييس أو معايير الإنتاج الأدبى فى النظرية الثقافية الإسلامية هى نفسها مقاييس النقد الأدبى ويمكن تسميتها نظرية النقد الأدبى الإسلامية تمييزا لها عن نظرية النقد الأدبى الغربية الحديثة واتجاهاتها النقدية المتعددة المرتبطة بالمفاهيم العلمانية .

ونقد الإنتاج الأدبى سواء كان قصيدة شعرية أو قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية أو مقالة أدبية .... يسلك منهج النظرية الثقافية الإسلامية والمتمثل فى :

أولاً : النقد الأدبى الفنى الجمالى وهو يتعامل مع النواحى الفنية الجمالية لإبراز ما فيها من روعة فنية وجمال فنى وصورة وقيم شعورية وقيم تعبيرية جمالية .

ثانياً : النقد الثقافى وهو يحدد الانتماء الثقافى كما قلنا كما أنه يحدد محاولة الأديب ونجاحه أو فشله فى تصوير مفاهيم ثقافته التى ينتمى إليها ، وأيضاً يفرز الإنتاج الأدبى القديم وخاصة الشعر العربى القديم مثل خمريات أبى نواس وتجديفات المعرى وغيرها ويبين مدى مجافاتها للمفاهيم الإسلامية . ومقاييس النقد الثقافى تتمثل - كما ذكرنا سابقاً - فيما يلى :

١ - أوامر ونواهى الدين الإسلامى .

٢ - ما يتوافق ومالا يتعارض مع المفاهيم الإسلامية .

٣ - عناصر الثقافة الإسلامية .

ويمكن استخدام المعايير الثلاثة لقياس الإنتاج الأدبى فى الثقافات الأخرى ، وذلك لأن الديانة البوذية والثقافة البوذية مثلاً لها عناصرها الثقافية التى لها مفاهيم تنبع من الديانة البوذية ولها مفاهيمها الدينية ولها ما يتوافق ومالا يتعارض مع الديانة البوذية والثقافة البوذية .

وبالمثل الديانة الهندوسية والثقافة الهندوسية وكذلك المادية اللادينية والثقافة العلمانية المادية فكل هذه الثقافات يمكن تطبيق المعايير الثلاثة عليها فمثلاً :

الديانة الهندوسية والثقافة الهندوسية :

١ - لها أوامر ونواهى هندوسية .

٢ - لها ما يتوافق ومالا يتعارض مع مفاهيمها الهندوسية .

٣ - لها نفس العناصر الثقافية وهى : الدين الهندوسى والمعرفة والأخلاق الهندوسية والقوانين الهندوسية والفنون الهندوسية والمقدرات المكتسبة بواسطة الفرد بوصفه عضو فى المجتمع الهندوسى ولنحاول تطبيق معايير أو مقاييس النظرية الثقافية الإسلامية على بعض النصوص :

فإذا أخذنا النص التالى :

« فى تلك الساعة كانت الأرض قد عريت إلا من أواخر الناس ، وطوارق الليل ، وبقية من يقظة النهار تحبو إلى الطريق ذاهبة إلى مضاجعها ، فبينما أمد عينى ، وأديرهما فى مفتتح الطريق ومنقطعه ، إذا انتفضت انتفاضة الذعر ، ووثبت رجة القلب بجسمى كله ، كما تثب اللسعة بملسوعها ، وذلك حين أبصرت الطفلين .

صغيران ضلا عن أهلهما فى هذا الليل ، يمشيان على حيد الطريق فى ذلة وانكسار ، وتحسب أقدامهما من البطء والتخاذل لا تمشى ، بل تتزحزح قليلاً ، فكأنهما واقفان ، أكبرهما طفلة تعد عمرها على خمسة أصابعها ، والآخر طفل يبلغ ثلاث سنوات ، ينحدران فى أمواج الليل ، وقد نزل بهما من الهم فى البحث عن بيتهما ما ينزل مثله بمن تطوَّح به الأقدار إذا ركب البحر المظلم ليكشف عن أرض جديدة .

وقد أسندت منكبه إلى صدرها وهى تمشى ، فلا أدرى إن كان ذلك لتحمل عنه بعض تعبه فلا يتساقط ، أو ليكون بها أكبر من جسمه الضئيل فلا يخاف ، أو لأنها حين لم تستطع أن تفهمه مافى قلبها بلغة اللسان أفاضته على جسمه بلغة اللمس ، أولا هذا ولا ذلك إنما هى تستمد من رجولته الصغيرة حماية لأنوثتها بوحى الطبيعة التى رسخت فيها » .

إذا نظرنا إلى هذا النص وهو من مقال أدبى سوف نجد :

أولاً : من الناحية الفنية الجمالية الأدبية : صور شعورية جميلة صاغها الأديب بتعبيرات موحية وصور بلاغية رائعة لتصل إلى القارئ هذه الصور الشعورية كما أحس بها الأديب ، ويمكن للناقد المتخصص فى النقد الأدبى واتجاهاته أن يبين ما فيها من جمال ويبرز ما فيها من مآخذ .

ثانياً : من الناحية الثقافية الإسلامية : فهى لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً من الدين الإسلامى بالضرورة ليس فيها ما يتعارض مع مفاهيم الثقافة الإسلامية وتتمثل فيها بعض المفاهيم الحقيقية لعناصر الثقافة الإسلامية مثل قيم الرحمة والعطف على الصغير ، ولذلك فهى تحمل مفاهيم الثقافة الإسلامية .

وإذا أخذنا هذه الأبيات من شعر أبى العلاء المعرى :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

رب قبر قد صار قبراً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

ونحن هنا :

أولاً : من الناحية الفنية الجمالية : وكما قال الأستاذ سيد قطب [1] (نجد شعوراً إنسانياً عميقاً ، وتعبيراً تصويرياً موحياً يزحم المشهد بالصور والظلال ويهمس فيه بالوجدانات والأحاسيس ويرتفع إلى الطراز الأول من الشعر الإنسانى بكل قيمه الشعورية والتعبيرية .

ولا يفوتنى أن أنبه خاصة إلى الإيقاع الموسيقى فى كل بيت ، ومع أن الأبيات كلها من وزن واحد إلا إنها تختلف إيقاعاً لأن الوزن وحده لا يحدد لون الإيقاع ، فالوزن يؤلف الموسيقى الخارجية المحسوسة وهناك موسيقى داخلية ناشئة من طبيعة توالى الحروف ومخارجها ، لا من حركة هذه الحروف التى يتم بها الوزن العروضى ، فى البيت الأول إعلان وإشارة إلى مجال فسيح « صاح هذى قبورنا تملأ الرحب » ولعل لهذه المدات الثلاث المتوالية فى « صاح » « هذى » « قبورنا » دخلاً فى ذلك الإيقاع الموسيقى الخاص فإذا وصلنا إلى البيت الثانى أحسسنا إيقاعه أشبه بوقع القدم المتوجسة الحذرة تخطو فى حذر وخشية .

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

ويختلف الإيقاع فى البيت الثالث فتنطلق هذه الخطوات الحذرة وينطلق الإيقاع ليتناسب ذلك مع ضحك القبر وسخريته بتزاحم الأضداد .

هذا من الناحية الفنية الجمالية .

---

(١) سيد قطب ، كتاب النقد الأدبى أصوله ومناهجه . دار الشروق .

ثانياً : أما من الناحية الثقافية : فهى كسابقتها وإن كانت توحى بالرؤية الإسلامية وهى خلق الإنسان من تراب وأهمية أن يتواضع الإنسان لأن مصيره إلى تراب .

ويقول طاغور فى إحدى مقطوعاته[1] :

إن الطائر الأصفر يغنى على الفنن فيرقص قلبى فرحاً
نسكن قرية واحدة ، وهذا سر سرورنا معا
يجىء حملاها المدللان ليرعيا فى ظل أشجار حديقتى
وإذا ما ضلا طريقهما فى حقل شعيرى أحملهما بين ذراعى
اسم قريتنا « خانجانا » ويسمون نهرنا « أنجانا » واسمى يعرفه الجميع أما اسمها هى فهو « رانجانا » .

* * *

ويفصلنا حقل واحد
فالنحل الذى يتجمع فى حديقتنا يذهب يبحث عن الرحيق فى حديقتهم
وأزهارهم التى تتساقط فى النهر يدفعها التيار إلى حيث نستحم
« وسلال أزهار » الكسم الجافة تجلب من حقولهم إلى سوقنا
اسم قريتنا « خانجانا » ويسمون نهرنا « أنجانا » واسمى يعرفه الجميع أما اسمها هى فهو « رانجانا » .

* * *

إن الطريق الذى يؤدى إلى منزلها يعبق فى أيام الربيع برائحة أزهار «المانجو»
عندما ينضج بذر كتانهم ويكون صالحاً للجمع يزهر القنب فى حقولنا

(١) ترجمة لطفى شلش فى مجموعة (رعاة الحب) . المصدر السابق .

والنجوم تبتسم لكوخهم تبعث لنا بنفس النظرة المتلألئة

والأمطار التى تملأ أحواضـهم تنعش عنـدنـا غـابات « الكادام »

واسـم قـريتنا «خـانجانا » ويسمون نهرنا « أنجانا » واسمى يعرفه الجميع أما اسمها هى فهو « رانجانا » .

وهى قطعة غزل تعبر عن شعور الشاعر فى لحظة محددة من الزمان .

١ - ومن الناحيـة الفنيـة الجمـالية فـهى تجـعلنا نعيش مع الطبيـعة كلهـا طائرها الأصفـر يغنى على الفـنن ، وحمـلاها الوديعـان المدللان والظل والنهـر والنحل والـرحيق وأزهار الكسم وغابات الكادام والكوخ والقرية والنجوم ...

ويقـول الأسـتـاذ سـيد قطب (ليس المهم جـمع هذه المشـاهد إنما المهـم هو انسـياب طاغور مع هذه المشاهد واختـلاط مشاعـره بمشـاعـر النهـر والقرية وحبيبته وحمليها المدللان والطـائر الأصفـر الجميل ثم هذا الشعـور الحلو بالاتصـال المباشـر بحبيبـته والطبيعة كلها فى لحظة وإنه ليصلنا بالطبيعة وأبنائها صـلة الـود والرحمة والتعاطف بلا كلفة ولا قـيود ولا مـراسـم ، حيث يقـوم له جـميع أبنائهـا بمـهـمـة الرسـول الأمـين بين المتحابين ، حيث يتسق الجميع فى لحن واحد جميل .

اسم قريتنا « خانجانا » ويسـمون نهرنا « أنجانا » واسمى يعرفه الجميع أما اسمها هى فهو « رانجانا » .... حتى الأسماء تتقارب وتنساب موسيقاها الحلوة الوديعة المديدة وكأنما هم جميعاً نغمات متناسقة فى لحن عذب منساب) .

٢ - من الناحيـة الثقافية فالقطعـة تحمل مفاهيم مشتـركة فى كل الثقـافات - وهو ما يمثل روعة شعـر طاغور - وهى عشق الإنسان للطبيعة وحبه لها والافتتان بمناظرها وموجـوداتها ، وقد يتبادر إلى الذهن من ملمح توحد مشاعر طاغور مع مشاعـر حبيبته مع مشـاعـر النهر والقـرية والموجـودات وهى فكرة توحـى بوحدة الوجـود فـهذا من أخص مفاهيم الثقافة الهندوسية والبوذية .

كما أن القطعة لا تحمل ما يمثل خدشاً للحياء أو وصفاً للحب المحرم أو الجنس المحرم ولكنها عالجت الحب بطريقة لا تتعارض مع المفاهيم الإسلامية . ويقول طاغور فى مقطوعة أخرى :

لماذا انطفأ المصباح ؟
لقد سترته بعباءتى لأحميه من الريح . لهذا انطفأ المصباح
لماذا ذبلت الوردة ؟
لقد ضممتها إلى صدرى فى لهفة المحب ، لهذا ذبلت الوردة
لماذا جف الجدول ؟
لقد بنيت خزاناً عبر الجدول لأستفيد منه وحدى ، لهذا جف الجدول
لماذا انقد وتر العود ؟
لقد حاولت أن أوقع عليه لحناً فوق احتماله ، لهذا انقد وتر العود .

وفى هذه المقطوعة(١) :

١ - مشاهد جزئية صغيرة ولكن ما الشعور العام الذى يغمرنا حين ننتهى من استعراضها ؟ إنه الشعور بالسماحة المطلقة من الكل والشعور بالرفق واليسر فى تناول الحياة والشعور باستصغار الملك والاحتجاز والاحتجان ولم يقل لنا الشاعر ولا قضية من هذه القضايا ولكنها انسابت من قلبه شعوراً فائضاً واستطعنا أن نستشفها ونستشعرها كما استشعرها الشاعر ، كما أن بالقطعة صدق فنى .

٢ - من الناحية الثقافية فإن القطعة تنساب منها مشاعر إنسانية عامة موجودة فى كل الثقافات .

أما الصدق الفنى فى قطعة طاغور فهو شىء مختلف عن الصدق الثقافى أى الصدق الذى ضده الكذب أى الصدق كأخلاق أو كخلق وهو عنصر من عناصر الثقافة. أما الصدق الفنى فهو يعنى صدق الشعور بالحياة وصدق التأثر بالمشاعر .

---

(١) المصدر السابق .

وهناك نوع آخر من الأمثلة سوف نوردها فيما يلى :

يقول عمر الخيام :

سمعت صوتاً هاتفاً فى السحر ... نادى من الحان غفاة البشر
هبوا املأوا كأس الطلى قبل أن ... تفعم كأس العمر كف القدر

* * *

أحس فى نفسى دبيب الفناء ... ولم أصب فى العيش إلا الشقاء
ياحسرتا إن حان حينى ولم ... يتح لفكرى حل لغز القضاء

* * *

أفق وصب الخمر أنعم بها ... واكشف خبايا النفس من حجبها
ورو أوصالى بها قبلما ... يصاغ دن الخمر من تربها

* * *

تروح أيامى ولا تغتدى ... كما تهب الريح فى الفدفد
وما طويت النفس هماً على ... يومين : أمس المنقضى والغد

* * *

غد بظهر الغيب واليوم لى ... وكم يخيب الظن فى المقبل
ولست بالغافل حتى أرى ... جمال دنياى ولا أجتلى

* * *

سمعت فى حلمى صوتاً أصاب ... مافتق النوم كمام الشباب
أفق فإن النوم صنو الردى ... واشرب فمثواك فراش التراب

* * *

سأنتحى الموت حثيث الورود ... وينمحى اسمى من سجل الوجود
هات اسقنيها يامنى خاطرى ... فغاية الأيام طول الهجود

وهذه القصيدة للخيام :

١ - من الناحية الجمالية : كما يقول الأستاذ سيد قطب[1] فهى : تصوير لعالم حائر يائس يحس به الشاعر ويعبر عنه بأسلوب سهل ليصل إلى المتلقى لتنتقل إليه مشاعر الخيام عن تعجيل الحياة والوجود إلى الموت والفناء ، ولا تتراءى له شعاعة من نور يكشف بها ظلمات الغيب ، فينغمس فى غيبوبة الشراب يستجيب لها لينس حيرته فى الظلام ، بعدما أعياه دق أبواب الغيب ، وتلمس بصيص من ضياء .

٢ - من الناحية الثقافية : إذا طبقنا المعايير الثلاثة للنظرية الثقافية الإسلامية فسوف نجد :

أن القصيدة تحمل دعوة عدمية يائسة ، كما أنها تدعو للانغماس فى غيبوبة الشراب وهى دعوة يطلقها الشاعر ويقوم بها لينسى حيرته ويأسه، وهذه كلها تتعارض مع مفاهيم الثقافة الإسلامية كما أنها تحل حراماً وهو شرب الخمر وهو محرم فى الدين الإسلامى والثقافة الإسلامية .

ومع أن الشاعر يدين بالدين الإسلامى إلا أن هذا النص يحمل بعض العادات الغربية وهى شرب الخمر وإباحته فى الثقافة العلمانية الغربية الحديثة كما أن رؤية الشاعر فى هذه القصيدة للحياة رؤية يشوبها الشك وهى رؤية علمانية مادية .

ومثل آخر لليأس والألم للشاعر توماس هاردى[2] .

آه أخالك تحفر عند قبرى ياحبيبى ، تغرس على حوافيه أشجار الذاب
كلا حبيبك ذهب البارحة ليخطب كريمة من أجمل كرائم الثراء ،
وهو يقول فى نفسه : ماذا عليها من ضير أن أنقض لها عهدى فى الحياة ؟
إذن من ذلك الذى يحفر فى ناحية القبر ؟ أقاربى الأعزاء ؟
لا بنية إنهم يجلسون هناك ويقولون : ماذا يجدى ؟
أى نفع لهذه الأشجار والأزهار .

(١) المصدر السابق .
(٢) ترجمة عباس محمود العقاد . المصدر السابق .

إن روحها لن يفلت من براثن القضاء خلال ذلك التراب المركوم
ولكنى أسمع حافراً يحفر هناك فمن ذا عسى أن يكون ؟
أهو عدوتى اللئيمة الرعناء ؟
لا ، إنها حين علمت أنك عبرت الباب الذى لا مفر منه ، ضنت عليك بالعداوة
ولم تجدك أهلاً للكره والبغضاء ، فما تبالى اليوم فى أى مرقد ترقدين
إذن من يكون ذلك الحافر على قبرى ؟ فقد أعيانى الظن ، وأقررت بالإعياء .
أوه . إنه أنا يا سيدتى الودود ، أنا كلبك الصغير ، أعيش بقربك
وأرجو ألا يزعجك ذهابى ومآبى فى هذا الجوار
آه نعم أنت الذى تحفر على قبرى ، عجباً كيف غفلت عنك ،
ونسيت أن قلباً واحداً وفياً قد تركته بين تلك القلوب الخواء ، وأى عاطفة
لعمرك فى قلوب الناس تعدل عاطفة الولاء فى فؤاد الكلب الأمين
سيدتى إننى أحفر عند قبرك لأدفن عظمة أعود إليها ساعة الجوع
فى هذه الطريق .
فلا تعتبى على إزعاجك، فقد نسيت أنك فى ذلك المكان تنامين نومك الأخير.

فى هذه القصيدة لتوماس هاردى :

١ - من الناحية الفنية الجمالية : القصيدة تعبر عن رحلة مضنية لكنها لذيذة لذة الألم ، ذلك الزاد الإلهى الذى تقتات منه الأرواح وكم خالجنا فيها من مشاعر شعر بها توماس هاردى وأفاضها علينا نستشعرها من عباراته الجميلة وهى مشاعر الأسى والكآبة والعطف على ذلك الروح المعذب الحائر الذى يفنى نفسه فى طلب النور والأمل الذى يعزى عن قسوة الحياة ولكنه لا يراها إلا عبثاً وسخرية .

٢ - من الناحيةالثقافية : القصيدة تصور عالماً يائساً من الخير فى الدينا وتصور خداع العواطف والمشاعر ، والقصيدة تصور النظم الكونية تطارد بعنف أبناء الفناء

الضعاف ، والعواطف والمشاعر التى قد تعزى عن كثير من قسوة الحياة ، يراها الشاعر عبثاً وسخرية لا حقيقة لها ولا وجود .

وهذه النظرة للحياة والأحياء رؤية غربية تمثل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية الحديثة .

أما الأعمال الأدبية المستنسخة بالتطابق والتماثل من الأعمال الأوربية أو هى استنساخاً باهتاً لأعمال أوربية أوهى تتشابه معها نتيجة التقليد الغير واعى - فهى تحمل مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية المادية بصورة صارخة - هذه الأعمال منتشرة انتشاراً ذريعاً فهى تغطى المساحة الأكبر من مجلات القصة والشعر النقد الأدبى والصفحات الأدبية فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية .

ولن نحاول أن نأخذ من هذا الغثاء الذى يملأ الساحة الأدبية أمثلة فهى معروفة وتملأ الساحة فى كثير من البلاد العربية والإسلامية ، ما عليك إلا أن تفتح أى مجلة أدبية وسوف تجد هذا الغثاء الذى لا يحمل إلا صوراً إباحية يمجها الذوق الرفيع وترفضها الفطرة السليمة .

وسوف تذهل من إقحام الجنس المحرم والحب المحرم فى أغلب الأعمال الأدبية وكأنه لم يعد هناك مجال للإبداع سوى الجنس المحرم والحب المحرم .

والإنسان يتساءل : لماذا يحتل الجنس والحب هذه المساحة الشاسعة فى الأعمال الأدبية والفنية ؟ أليس هناك موضوعات أخرى فى الحياة سوى الجنس والحب ؟

لقد استطاع الاستعمار والنخب العلمانية والمتغربة - منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وحتى الآن - أن تفرض هذا الغثاء العلمانى وتمطر ثقافتنا والثقافات الأخرى به ، وهو يخاطب الغرائز وينفخ فيها ويداعبها ، والجنس وحرية الجنس بين الرجل والمرأة وإباحته فى الثقافة الغربية العلمانية دون زواج هو من مكونات الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة وهى نظرة يحاول الغربيون فرضها على الثقافات الأخرى ليس فى الأدب والفنون وحدها ولكن فى مؤتمرات السكان التى تعقد دورياً والمؤتمرات الثقافية وفى أفلام السينما ووسائل الإعلام وشبكة الإنترنت .

فى هذه الأمثلة التى لم نذكر منها شيئاً لبشاعتها وانحلالها سوف نجد :

١ - من الناحية الفنية : قد نجد فيها صوراً ولكنها تعتبر إبداعاً للشر والرذيلة وهى مرفوضة فى الثقافة الإسلامية ومحرمة الدين الإسلامى .

٢ - ومن الناحية الثقافية : فإن هذه الصور الإباحية والانحلالية تعتبر مرفوضة من الناحية الثقافية ومحرمة من الناحية الدينية وهى لا تمثل إلا الثقافة العلمانية المادية الغربية الحديثة .

ومن عيون الشعر الصوفى الإسلامى قصيدة لشاعر من الشعراء المتصوفين لم ينل حظاً وفيراً من الشهرة وذيوع الصيت بين الأدباء الصوفيين هو عبد الله قاسم الشهْرزُورى وهو شاعر عالم ومحدث حكيم بارع يقول الشهرزورى فى قصيدة بعنوان نار ليلى :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل	ومل الحادى وحار الدليل
فتأملتها وفكرى من البين	عليل ولحظ عينى كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى	وغرامى ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبى	هذه النار نار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظاً صحيـ	حات فعادت خواسئا وهى حُول
ثم مالو إلى الملام وقالوا	خُلّب ما رأيت أم تخييل
فتجنبتهم وملت إليها	والهوى مركبى وشوقى الزميل
ومعى صاحب أتى يقتفى الآ	ثار والحب شأنه التطفيل

* * *

فدنونا من الطلول فمالت	زفرات من دونها وعويل
قلت من بالديار ؟ قالت جريح	وأسير مكبل وقتيل
ما الذى جئت تبتغى ؟ قلت :	ضيف جاء يبغى القرى فأين النزول
فأشارت بالرحب دونك فاعقاها ،	فما عندنا لضيف رحيل
من أتانا ألقى عصا السير عنه ، قلتُ	من لى بذا ، وكيف السبيل

فحططنا إلى منازل قوم صرعتهم قبل المذاق الشمول
ومن القوم من يشير إلى وجد تبقًّى عليه منه القليل
قلت : أهلَ الهوى سلام عليكم لى فؤاد عنكم بكم مشغول
لم يزل حافز من الشوق يحدو بى إليكم والحادثات تحول
جئت كى أصطلى ، فهل لى إلى ناركم هذه الغداة سبيل
فأجابت شواهد الحال عنهم كل حد من دونها مفلول
ناراً هذه تضىء لمن يسرى بليل لكنها لا تنيل
هذه حالنا وما وصل العلم إلينا وكل حال تحول

* * *

وهذه القصيدة من الشعر الصوفى الإسلامى .

١ - من الناحية الجمالية الفنية : فى الجزء الأول تحمل القصيدة إشارات عن ابتداء الرحلة ، رحلة للبحث عن معشوقته ، عن ليلاه ، عن حبه الصوفى لعله يهتدى وقد لاحت نارهم فى ظلمة الليل ومعه صحبه يؤنسون وحدته ويبددون وحشته.

وفى الجزء الثانى من القصيدة تصوير بارع وخيال صوفى محلق يبسطه الشاعر لمسيرة الحب والوجد بلوغاً إلى الحقيقة الكاملة واليقين المشرق بعد أن قادته شواهد الحال وظن أن النار التى أضاءت له سوف تنير .

٢ - من الناحية الثقافية : القصيدة تمثل مفاهيم الشعر الصوفى الإسلامى ولكن بطريقة مبتكرة جديدة تعبر عن الرغبة فى الوصول إلى القرب وإلى الحب الإلهى ولكن الزاد قليل ومبلغهم من العلم قليل والأمر يحتاج للعلم الوافر والاجتهاد وهى رؤية صوفية إسلامية كريمة تعبر عن نفس مؤمنة شفيفة تبغى الوصول .

وهناك المدائح النبوية وهى مئات القصائد التى قيلت وتقال على مدى الأيام فى مدح الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم .

يقول شوقى فى الهمزية النبوية :

ولد الهدى فالكائنات ضياء — وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله — للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو ، والحظيرة تزدهى — والمنتهى والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربى — بالترجمان ، شذية ، غناء

والوحى يقطر سلسلاً من سلسل — واللوح والقلم البديع رواء

نظمت أسامى الرسل فهى صحيفة — فى اللوح واسم محمد طغراء

اسم الجلالة فى بديع حروفه — ألف هنالك واسم (طه) الباء

* * *

يا خير من جاء الوجود تحية — من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

بيت النبيين الذى لا يلتقى — إلا الحنائف فيه والحنفاء

وهى قصيدة طويلة ، منها :

بك بشر الله السماء فزينت — وتضوعت مسكاً بك الغبراء

وبدا محياك الذى قسماته — حق وغرته هدى وحياء

وعليه من نور النبوة رونق — ومن الخليل وهديه سيماء

أثنى (المسيح) عليه خلف سمائه — وتهللت واهتزت (العذراء)

يوم يتيه على الزمان صباحه — ومساؤه (بمحمد) وضاء

وتنساب الأبيات فى سهولة وجمال لتعبر عن مفاهيم إسلامية وثقافة إسلامية فهى مدح فى أشرف خلق الله ﷺ .

ومن ذلك يتضح أن الأدب الإسلامى يشمل مساحة شاسعة ممتدة ابتداء من المدائح النبوية طوال التاريخ الإسلامى، ومدح آل البيت والأماكن المقدسة مثل مكة والحرم والمدينة المنورة ومسجد رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى بالقدس الشريف ،

وقد كتبت فيها العديد من القصائد قديماً وحديثاً ، كما أن الأدب الإسلامى يشمل أيضاً الشعر الصوفى وشعر المناسبات الدينية والقصص والمسرحيات الإسلامية ، كما وأن الأدب الإسلامى من شعر وقصص ومسرحيات يشمل أيضاً مساحة واسعة من الإنتاج الأدبى التى لا تحمل دعوات دينية أو مواقف عقائدية إيمانية أو شرائع سماوية أو عواطف وأشواق إسلامية ولكنه يعالج مشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من وجهة نظر لا تتعارض مع المفاهيم الإسلامية ولا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً من الدين ولا تحمل مفاهيم تتعارض مع مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الإسلامية والتى ذكرنا بعض الأمثلة لها فى السابق .



الأدب الإسلامى والأدب العلمانى

الصراع بين المتمسكين بالهوية الإسلامية فى الأدب وبين المتغربين بدأ مع بداية الاستعمار وقد اتخذ صوراً عديدة منذ بداية القرن العشرين مثل الصراع بين مؤيدى ومعارضى الفن للفن .

ومؤيدى ومعارضى الفن فى خدمة المجتمع والأدب والمشكلات الاجتماعية والأدب الاشتراكى .

ومؤيدى ومعارضى الأدب والأخلاق ، والأدب والقيم الدينية ....

والمتغربون المتأثرون بالفكر الغربى والعلمانيون لم يكونوا متحدى الفكر أو على رأى واحد أو لم يكونوا كلهم على وعى كامل بالفروق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى .

فالأغلبية منهم كانوا متأثرين بالأفكار السياسية والاقتصادية الليبرالية الجديدة التى لمعت وسادت فى كل أوربا وأمريكا وبعض الدول الأخرى والتى كان لها دوى هائل وبريق خطف أبصار النخب وذوى الرأى والمتعلمين ، أى أن الغالبية العظمى منهم كانوا متأثرين بالأفكار السياسية التى كانت تنهج النهج الغربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين دون أن يتخلوا عن المفاهيم الإسلامية فى مجال الأدب والثقافة عموماً .

وفى الحقيقة فإن ذلك كان راجعاً إلى التأثير السياسى للفكر الغربى وإلى عدم الوعى الفكرى وعدم الوعى الثقافى .

والأعداد القليلة التى كانت تفهم جيداً الفكر العلمانى وتؤمن به كانوا أساساً من الأجانب الذين وفدوا من بلاد أخرى مثل الشوام الذين وفدوا إلى مصر أمثال فارس نمر ويعقوب صروف وجرجى زيدان وسركيس وفرح أنطون وشبلى شميل وغيرهم وهم

خريجو مدارس الإرساليات التبشيرية فى الشام، وجاءوا إلى مصر وسيطروا على صحف ومجلات :

الأهرام ، والمقطم ، والمقتطف والهلال وغيرها وذلك فى ظل وحماية الاحتلال الإنجليزى .

وبتوجيه وتشجيع من الاستعمار الذى أطبق على معظم أقطار العالم الإسلامى ، ازداد عدد المتغربين والعلمانيين وخاصة بعد أن شاركت بعض النخب السياسية فى إدارة بعض البلاد الإسلامية تحت الحماية الاستعمارية .

وكانت هذه الفئات - سواء الذين كانوا يرون تقليد الغرب دون التخلى عن الفكر الإسلامى أو الذين هجروا الفكر الإسلامى وخاصة العائدون من بعثات من الخارج - تنهج النهج العلمانى الغربى فى الإنتاج الفنى والثقافى والإبداع الأدبى ، وكان كل إنتاج غربى جديد ينعكس على إنتاجهم الثقافى المحلى فكانوا مرآة للفكر العلمانى الاستعمارى فى المجتمعات الإسلامية .

ومع أن المجتمعات الإسلامية كانت ترفض إنتاجهم الأدبى والفنى العلمانى منذ البداية وكان المفروض أن ينزوى هذا الإنتاج ويندثر إلا أن الاستعمار الجاثم على أنفاس الشعوب الإسلامية حال دون ذلك ، بل بالعكس فقد عمد المستعمرون إلى تلميع وإشهار وتشجيع هذه النخب المتغربة والعلمانية أو فرضهم فرضاً على قيادات العمل الأدبى والفنى والثقافى فى معظم البلاد العربية والإسلامية .

ومع أن فرض هذه النخب وفرض إنتاجها الأدبى بوسائل الإعلام المختلفة بواسطة المستعمرين كان أكيدا إلا أن الأمر كان يبدو وكأن هذه النخب المتغربة والعلمانية هى التى شقت طريقها وفرضت إبداعها المتميز ، وقد انطلت هذه الحيل على الشعوب دون وعى بدسائس السياسات الاستعمارية وخاصة أن الشعوب كانت مهمومة بالاستقلال والحصول على الحرية من هذا الاستعمار البغيض .

لقد استطاع المستعمر وتلاميذه من العلمانيين أن يزرعوا الأفكار العلمانية فى الإنتاج الأدبى والفنى فى معظم البلاد العربية والإسلامية نتيجة لهذه الألاعيب التى ذكرناها ونتيجة إلى تغييب الفكر الإسلامى - فى مجال الأدب - وعدم تشجيع الأدب الإسلامى ونشره ونتيجة لعدم الوعى والجهل وتأخر المسلمين . إن تأخر المسلمين وانحطاطهم فى القرنين الأخيرين كان من أهم العوامل فى انتشار الفكر العلمانى فى البلاد الإسلامية ، فلم يبرز من الأدباء المسلمين من يفهم كل جديد أبدعه الأدباء الغربيون ثم يهضمه ويتمثله ويستفيد به فى إبداع أدبه الخاص الذى يميز هويته الإسلامية ولنحاول ضرب بعض الأمثلة لهذا الصراع .

من المساجلات والمحاورات الثقافية تلك المحاورة التى دارت بين الأستاذ أحمد أمين والأستاذ عبد المنعم خلاف والأستاذ توفيق الحكيم فى أربعينيات القرن العشرين عن : هل الفن للفن ؟ أم الفن للمجتمع ؟ والتى أوردها الدكتور محمد عبد الحكيم محمد فى مجلة الأزهر الشريف(١) :

(وكان من كلام أحمد أمين قوله : أو من الحق أن تستلهم الأدب اليونانى والرومانى وتترك استلهام قومك وهم أولى بالاستلهام ؟ .... ثم تقول « الفن للفن » ، وماذا يضير لو نظر إلى المجتمع فرفعه كما فعل برنارد شو ، وتولستوى وأمثالهما ؟ .)

(ثم تدخل عبد المنعم خلاف مؤيدا أحمد أمين فى تقييد الفن لصالح المجتمع وإعجابة بالأدب الأمريكى لأنه يستوحى مجتمعه ولا يستوحى أساطير اليونان وخياله وأوهامه .... ومنتقدا الأدب العربى الذى استوحى امرؤ القيس أو شهر زاد لأنه ليس أدباً راقياً ولا ينبغى أن يكون غالبا .... وخلص إلى أن الأمم الشرقية فى بدء عهدها

(١) صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية النزال الأدبى للدكتور محمد عبد الحكيم محمد مجلة الأزهر رمضان ١٤٢١هـ - ديسمبر ٢٠٠٠م .

بالوعى الاجتماعى ويجب أن يكون لها أدباء يدفعون هذا الوعى العام إلى الأمام حتى يكمل وينضج)[1] .

ويتدخل توفيق الحكيم للرد فيقول : (مع الأسف أرانى مضطراً أن أقول على استحياء : إن أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس وشهر زاد هى النوع الأرقى فى الأدب لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر بل فى الغد - أيضاً - وبعد آلاف السنين مادام الإنسان إنساناً ومادام رقيه الذهنى بخير لم يصبه نكاس فالإنسان الأعلى : هو الذى يصون الجمال الفنى من الاستغلال فى أى صورة من صوره ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية) .

ويقول توفيق الحكيم : (إن الأدب الأمريكى الذى يعجب به (أحمد أمين) هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيقى والأدب الحقيقى فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع) .

(إن مطامع الناس ساءت أن تمد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ، فرأينا الشعر والأدب يتجه لغايات نفعية ، فاستخدم الشعر أحياناً لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء ، وإذا كان فى الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا ، فإنى أرحب به ، وأسلم على الفور بأنه الأرقى ، ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون فى كل مكان) ويرد أحمد أمين على توفيق الحكيم فيقول [2] :

(إنه قلب غرضى رأسا على عقب ونسب إلىّ ما لم أقل ، لا يا أخى فرق كبير بين الدعوة إلى أن يكون من مصادر الأدب : الحياة الاجتماعية والوعى الاجتماعى وبين الدعوة إلى مادية الأدب وتسخيره للأغراض الوصفية ... ولعل الخلاف الحقيقى بينك وبينى أنك تفضل الأدب الذى ينبع من الوعى الفردى على الأدب الذى ينبع من الوعى

(١) مجلة الرسالة ١٠ إبريل ١٩٤٤ (العدد ٥٦٢) .
(٢) مجلة الثقافة ١٨ إبريل (١٩٤٤م) العدد ٢٧٧ .

الاجتماعى وأنك تفضل الأدب الذى يستوحى أدب اليونان والرومان وامرئ القيس وشهرزاد على الأدب الذى يستوحى الحياة الاجتماعية الحاضرة ، وتفضل الفن للفن على الفن للمجتمع .

أو من الحق أن تستلهم الأدب اليونانى والرومانى وتترك استلهام قومك وهم أولى بالاستلهام ، ونحن أكثر تذوقاً من غيرنا لما يستلهم منا ، وأشد انتفاعاً من غير أن ينقص الفن شيئاً .

« أيعجبك أن ينصرف الأدباء كلهم إلى وصف لوعة الحب والاستمتاع باللذة والتغزل فى الخمر والكتابة فى الأوهام ، ولا يتعرضون لمكبلين بالأغلال يجب أن يفكوا ، ومصابين بالخمول يجب أن ينشطوا ثم تقول (الفن للفن) وماذا يضير الفن لو نظر إلى المجتمع فرفعه كما فعلَ (برنارد شو وتولستوى) وأمثالهما » .

ويرد توفيق الحكيم قائلاً[1] : (يجدر بنا أن نسأل : هل من الحق أن الأدب الأوربى بلغ مبلغه بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الأدبية ؟

الذى أعلمه هو أن (أناتول فرانس) أديب و (برنارد شو) مؤلف مسرحى و (تولستوى) قصصى ، وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجد . أما ميول (فرانس) و (شو) الاشتراكية ونزعات (تولستوى) الإصلاحية فهى نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال ، وتارة على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية أو آثارهم الفنية) .

ويضيف توفيق الحكيم : (لقد تحدث الأستاذ أحمد أمين فى أكثر من موضع عن الرواية الغرامية وغرامة الحب بما ينم عن الازدراء ، كم من المؤلفات المملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان ، ولكنها احتفظت بقصة غرامية أو قصيدة غزل ، أو رواية حب عارم .

(١) مجلة الثقافة ١٨ إبريل (١٩٤٤) العدد ٢٧٧ .

كلا لا ينبغى علينا أن نملى على الفن اتجاها بعينه ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الإصلاح والوقار ...) .

ويغلق أحمد أمين باب المناقشة بهذا المقال[1] :

وخالفه فى أن يكون ذلك الاهتمام هو مدار اهتمام الأدب بل لابد من تصويره للنزعات السامية بوفرة وسعة ليكون جديراً بتمثيل واقع الأمة والنهوض بحياتها .. ثم ختم مقاله بقوله :

(وظيفة الأدب الحقة أن يغنى نواحى الإنسانية ويرقى مشاعرها ، يعلى من مداركها ويوسع أفقها ، ولعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الحكيم وبينى هو أنه يقدر الفن بجماله فقط ، وأريد أن أقدره بجماله وأخلاقياته معاً) .

ومن هذه المحاورات بين توفيق الحكيم وأحمد أمين يتضح مايلى :

١ - أن توفيق الحكيم لا يعى أن الدعوة : (الفن للفن) وأن كلاً من أناتول فرانس وبرنارد شو وتولستوى وإبداعهم الفنى يمثل المفاهيم الثقافية العلمانية وهى مفاهيم مختلفة عن المفاهيم الإسلامية .

٢ -إن روعة الإنتاج الفنى للأدباء برنارد شو وتولستوى وأناتول فرانس لا يعنى أن أياً منهم قد تخلى عن مفاهيم هويته الثقافية العلمانية .

٣ - إن تمسك الأديب بمفاهيم ثقافته فى إبداعه الأدبى - وهذا موجود عند كل الأدباء فى الغرب وكثير من الأدباء اليابانيين والصينيين - يعنى التمسك بمفاهيمه الدينية وهى بالنسبة للأدباء الغربيين مفاهيم مادية فالإبداع فى مجال الجنس والحب ليس عليها مآخذ أو قيود فى عرف ثقافتهم العلمانية بعكس الثقافات الأخرى .

وقد دأب العلمانيون والمتغربون فى بلادنا على متابعة كل جديد فى الغرب وترجمته ونقله إلى العربية دون نقد أو تمحيص - لا بحسبانه فكر غربى يختلف عن فكرنا - لكن باعتباره فكر جديد يجب أن نترسم خطاه . فتقلوا موجات الحداثة

(١) مجلة الثقافة ، مايو (١٩٤٤م) العدد ٢٧٩ .

وما بعد الحداثة ، والبنيوية وما بعد البنيوية ، ونظرية النقد الغربى الحديث واتجاهاتها المتعددة دون أن يكون هناك نقد أو حتى اعتراض على هذه الأفكار الغربية التى تتعارض مع مفاهيم هويتنا الثقافية .

وإذا ناقشت أحد المتغربين عن البنيوية مثلاً يرميك بالجهل والتخلف وعدم فهم الأفكار العلمانية الجديدة التى تهاجم الخرافات غير مدرك ما تنطوى عليه هذه النظريات والاتجاهات من مفاهيم لا تتفق ومفاهيمنا .

ونظرية النقد الأدبى الغربى الحديث والتى يفخر بها المتغربون والعلمانيون فى بلادنا ويعتبرونها علماً غربياً خالصاً بزعم أنها توجه عام يخدم غاية بعينها تستهدف فى الأساس أن تجعل الدراسة النقدية مجالاً نثرى به مواقفنا من الحياة باعتبار أن الحياة فى حد ذاتها نص كبير وأن الموقف منها يشبه إلى حد ما الموقف من الأدب(1) .

هذه الفرضية تنطلق من نظرة أو موقف - من الكون والحياة والإنسان - يختلف عن الموقف الإسلامى كيف ؟ وما هو الدليل ؟

تفسير ذلك والدليل عليه فى السياق التالى :

نظرية النقد الأدبى الغربى الحديث لها اتجاهات عديدة مثل الاتجاهات الإنسانية والألسنية والأيدولوجية والشكلانية والبنيوية وما بعد البنيوية ...

والنقد الأدبى شىء يختلف عن نظرية النقد الأدبى الغربى الحديث ، وفى عرف هذه النظرية النقدية الغربية :

النقد الأدبى هو فن النظر فى النصوص الأدبية المفردة وإصدار الحكم عليها أما نظرية النقد الأدبى فإنها لاتنظر إلى الأعمال الأدبية المفردة إلا باعتبارها توضح اتجاهاً من الاتجاهات النقدية .

---

(1) دكتور يوسف نور عوض . أستاذ بجامعة كمبردج ، كتاب نظرية النقد الأدبى الحديث . دار الأمين للطبع والنشر بالقاهرة .

وإذا أخذنا البنيوية باعتبارها اتجاها واسع الانتشار فى النقد الأدبى – كما أنها اتجاه فلسفى وفكرى معروف – يمكن أن تبين لنا تفصيل ماذكرناه سابقاً فى السياق التالى :

البنيوية هى محاولة ممنهجة للكشف عن الأبنية العقلية الكلية العميقة اللاواعية مثل الأبنية الموجودة فى نظام القرابة – الأب ، الأم ، الأخت ، الأخ ، العم ، الخال ...

والأبنية الموجودة فى الأدب والفلسفة والرياضيات والثقافة والأنماط النفسية اللاواعية التى تحرك السلوك الإنسانى .

والبنيوية تهتم بدراسة الأنساق الموجودة فى هذه المجالات التى ذكرناها وغيرها من المجالات وهى مبنية على نظرية الاتصال والبنيوية تدرس العلاقات بين الأشياء وليس الأشياء فى حد ذاتها .

وهى تحاول أن توجد اللغات الخاصة بالعلامات والرموز والمعانى التعبيرية الغير شفهية مثل الحياة الحيوانية ونظام العائلة ..كما ذكرنا سابقاً– وحتى فى العادات الاجتماعية مثل الملابس .

فالعلامات تشتق معانيها ليس من طبيعتها الداخلية ولكن من علاقاتها مع الآخر فمثلاً اللون الأحمر واللون الأخضر ليس لهما معنى فى حد ذاتهما ولكن عند استخدامهما فى علامة المرور سوف يكونان رمزاً للخطر والأمان .

والبنيوية اللغوية التى استخدمت كمثال للتحليل البنيوى فى المجالات الأخرى تذهب إلى ما بعد المعنى القاموسى لتركز على وحدات المعنى الأصغر من الكلمات وهذه هى الفونيم : وهى أصغر وحدة صوتية ، والمورفيم وهى أصغر وحدة للحس .. وباستخدام هذا التكنيك فى اللغة فإن اللغوى يكون قادراً على وصف البنية الأساسية وقادر على فهم الأسس التى استخدمت فى إنشاء اللغة أو صنعها .

ومنذ عام١٩٥٠ أصبحت البنيوية تستخدم فى النقد الأدبى وخاصة أن النظام السيمائى – وهو نظام دراسة العلامات – كان قد نشأ .

والنقاد البنيويون كانوا يميلون إلى اعتبار الأعمال الأدبية ظواهر مجردة وليست نتاج مؤلفين مرتبطين بزمان ومكان ولذلك جاء اصطلاح موت المؤلف فى النقد البنيوى واستمر أيضا فيما بعد البنيوية .

والتحليل البنيوى يوجه انتباها شديداً إلى الأشياء الخاصة مثل الرموز وبذلك يذكرون فردية العمل ونطاقة المميز المترابط منطقياً والذى ليس لمثله شبيه .

ومن ذلك يتضح كما تذكر إديث كريزويل[1] أن :

١ - البنية تصور عقلى أقرب إلى التجريد منه إلى التعيين « فالبنية هى ماتعقله - بصياغة منطقية - من علاقات الأشياء لا الأشياء ذاتها » .

٢ - أن موضوع هذا التصور العقلى يتصف بأنه حقيقة لا شعورية لا تظهر بنفسها بل تدل عليها آثارها أو نتائجها .

٣ - أن هذه الحقيقة اللاشعورية الباطنة « الكامنة فى الموضوعات أو الكامنة فى عقولنا المدركة لها - بمعنى أدق » حقيقة آنية تلفت الانتباه إلى تشكلها فى الآن أكثر من تشكلها عبر الزمان وتميل إلى الثبات أكثر ما تميل إلى الحركة .

٤ - أن هذه الحقيقة الآنية تلفتنا إلى نفسها أكثر مما تكشف عن الذات الفاعلة فى النظام، وبقدر ما تؤدى هذه الفرضيات إلى نفس صفة «التاريخية » عن معنى البنية فإنها تؤكد إزاحة الذات الفاعلة عن مركز البنية ، على نحو يبدو معه بناء البنية « نظاماً آليا » يعمل بطريقة لاواعية تتجاوز إدارة الأفراد .

ومن أعلام البنيوية كلود ليفى شتراوس الفرنسى - ويعتبر أبو البنيوية - وميشيل فوكو وورولان بارت ، وقد كان كتاب كلود ليفى شتراوس « المدارات الحزينة » الذى أصدره عام ١٩٥٥ له أثر كبير فى انتشار البنيوية بعد أن مهد الطريق إلى قبولها والاعتراف بها ومن ثم نشرها وانتشارها ، وتعدد أشكالها ومناهجها بعد ذلك .

وكان ليفى شتراوس هو أول من كيَّف لغويات دى سوسير ليطبقها على العلوم الاجتماعية .

---

(١) أديث كريزويل . كتاب عصر البنيوية . ترجمة دكتور جابر عصفور .

وفى الحقيقة فإن البنيوية قامت على أفكار دى سوسير وفرويد وكارل ماركس ، وهؤلاء الثلاثة يعتبرون الرواد الأول للبنيوية .

وهؤلاء الرواد الثلاثة علمانيون ينطلقون من فكر مادى لا دينى والكل يعرف أن الماركسية تعتبر الدين أفيون الشعوب أما فرويد (فقد اعتبر أن الدين عصاباً كلياً استحوذ على الإنسانية)[1] أما دى سوسير فهو عالم لغوى قام بدارسة فى النحو وفقه اللغة المقارن والفلسفة فى أوائل القرن العشرين وأهم ما جاء به دى سوسير هو مخالفته للنظريات اللغوية السابقة عليه فلم ينظر إلى اللغة من حيث هى تعبير عن الفكر بل من حيث هى نسق من العلم ، افترض وجود علاقة جدلية - داخل هذا النسق - بين الدال (الانطباعات السمعية) والمدلول (الصور الذهنية) .

وكان اهتمام دى سوسير الأساسى منصباً على التحليل الشكلى للغة المنطوقة داخل نسقها اللغوى الشامل على نحو لا يمكن أن نفهم معه كلمة مثل ساخن - على سبيل المثال - إلا من حيث تعارضها مع كلمة بارد أو من حيث العلاقة بين الكلمتين ، ولذلك تحولت اللغة إلى بنية مستقلة عن فكر المتكلم لا وجود لها إلا فى سياق نسقها الخاص من العلاقات .

وأفكار سوسير هذه تنطلق من فكر مادى لا دينى لا يعترف بأن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وعلمه الأسماء كلها (اللغة) فهى تنظر إلى الإنسان والحياة وتطورها حسب نظرية النشوء والارتقاء لداروين وأن اللغة نشأت وتطورت - حسب نظرية التطور هذه - مع تطور الإنسان فاللغة بدأت نشأتها بوحدات صوتية أصغر من الكلمة يطلق عليها الفونيم وأقل وحدة حس هى المورفيم باعتبار أن الصوت يخرج من الفم وتحس به وتستقبله الأذن وهذا هو الكلام .

أما الكتابة فهى مرحلة متأخرة جاءت بعد تطور الإنسان ، وفرضيات سوسير هذه فرضيات مادية لا تعترف بأن خالق الكون سبحانه وتعالى هو الذى خلق آدم وعلمه الكلام واللغة وهو ما تؤمن به ثقافتنا الإسلامية .. يقول المولى عز وجل :

(١) المصدر السابق .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(١) .

لقد اعتقد كلود ليفى شتراوس أن هناك أبنية عقلية لاواعية - ليس فى اللغة فقط - ولكن فى شتى المجالات الأخرى ،فطفق يبحث عن هذه الأبنية العقلية الكلية اللاواعية حتى أنه اعتقد أن الثقافة تنبثق من أبنية كلية لاواعية ووعد بالبحث عنها والوصول إليها .

(وقد شرح أدموند ليتش نظرية ليفى شتراوس البنيوية شرحاً جيداً عندما شبه المعطيات التى تختزنها الذاكرة الجمعية للإنسانية بتلك التى يختزنها جهاز كمبيوتر بالغ التعقيد يقوم بتصنيف المعلومات وفقاً لبرنامج قابل للتعديل)(٢) .

ولم تطرح البنيوية وعداً بنظرية جديدة فى الطبيعة والثقافة فحسب بل وعدت بالوحدة السياسية والأيدولوچية فى الوقت نفسه .

ورغم ذلك فقد تغير كل شىء بعد التغيرات التى أحدثتها ثورة ١٩٦٨ فى فرنسا والتى غيرت الفكر الاجتماعى ، فتراجعت البنيوية سريعاً وبدأت فى الانهيار ؛ وانسحب ليفى شتراوس إلى أبحاثه القديمة بعد أن اتضح له أن نظريته عن وجود أبنية عقلية لاواعية ليس له أساس علمى ، وبعد أن فشلت البنيوية فى الإجابة على الأسئلة التى طرحها ليفى شتراوس فى البداية عن أصل الوجود وأصل الإنسانية .

وإذا كان ليفى شتراوس العلمانى قد انطلق من أساس مادى لاميتافيزيقى للبحث عن أبنية كلية لاواعية تشمل شتى الموضوعات - متخذا من اللغة ميدانا لأبحاثه ليطبق ما يتوصل إليه من نتائج على النواحى الأخرى - فقد قادته أبحاثه إلى الميتافيزيقا عندئذ انهارت البنيوية بمعنى آخر فإذا كان ليفى شتراوس قد انطلق فى أبحاثه عن

---

(١) البقرة : آيات ٣١، ٣٢، ٣٣ .

(٢) اديت كريزويل . عصر البنيوية ترجمة د . جابر عصفور .

البنيوية من أساس مادى لا دينى ، لا يعترف بالغيب ولا يعترف بأن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها وأخذ يبحث عن أبنية عقلية لا واعية خلف اللغة - ليطبقها فى مجالات الحياة المختلفة - باعتبار أن اللغة قد تعلمها الإنسان الذى تطور حسب نظرية النشوء والارتقاء لداروين وليس عن سيدنا آدم عليه السلام الذى خلقه الله سبحانه وتعالى وعلمه ، ولما قادته أبحاثه إلى أن خلف هذه الأبنية غيب أو ميتافيزيقا - وهو أساسا انطلق من عدم إيمان بالميتافيزيقا - انهارت البنيوية .

عندما اتضح للمفكرين العلمانيين فى أوربا أن أبحاث ليفى شتراوس قادته إلى ميتافيزيقا حقيقية انهالت عليه السهام من كل جانب يسفهون آراءه ويهاجمون البنيوية، وانطلق كل من هب ودب - فى فرنسا وفى غيرها من الدول - يسفه آراء ليفى شتراوس ويصف البنيوية بالسخف لأنها قادته إلى الميتافيزيقا . تقول إديث كريزويل التى تؤمن بالأفكار العلمانية : (ويبدو أن ليفى شتراوس لم يدرك أن الأسئلة التى طرحها كانت أكثر علمية من الإجابات التى قدمها ، ذلك لأنه يسقط من حسابه مسألة العلم والأسطورة بالكلية، عندما يتحدث عن التعارض الأساسى والنهائى للبنيوية على نحو ما تمثله معضلة هاملت ، فيرى فى معضلة هاملت بيت القصيد لكل الأشياء ، ويقول إن هاملت لم يكن يملك خياراً بين أن يكون أو لا يكون : فهو مسجون سجناً أبدياً ومحكوم عليه بالتأرجح بين المتناقضات المتجددة أبداً إلى أن يموت ، ويخلص ليفى شتراوس من ذلك إلى أن الحياة والموت هما وجه التعارض الأساسى والنهائى للبنيوية ، وليس فى ذلك كله - بالطبع - سوى ميتافيزيقا خالصة . وكان حتماً أن يُهَاجَم ليفى شتراوس بسبب النتيجة التى يختتم بها كتابه « أسطوريات » وهى نتيجة تكذب مزاعمه العلمية ، وتبدو كأنها رسالة بنيوية أخيرة محملة بالأصداء الدينية وتدل على مدى ما انتهى إليه صاحبها . ولعل تراجع ليفى شتراوس إلى نوع أضيق من الأنثروبولوجيا لم يكن راجعاً إلى التحديات التى واجهت نظريته بل إلى تحرره من وهمها)[1] .

وهكذا انهارت البنيوية وجاءت مرحلة ما بعد البنيوية . وقد ظن كلود ليفى شتراوس - أبو البنيوية - أن هناك أبنية عقلية كلية لاواعية ... وظل يبحث عن هذه الأبنية فى اللغة والقرابة ...

(١) المصدر السابق .

ولكنه فشل فى العثور عليها وقادته أبحاثه إلى ميتافيزيقا خالصة وهى سبب فشله الحقيقى لأن الثقافة المادية العلمانية لا تعترف بالأديان السماوية ولا تعترف بالغيب بعكس ثقافتنا الإسلامية التى تنبع من تعاليم الدين الإسلامى وما جاء به من خلق المولى عز وجل لسيدنا آدم وهو سبحانه وتعالى الذى خلقه وعلمه الكلام واللغة كما جاء فى القرآن الكريم .

ومع أنه لم يعد هناك من يبحثون فى البنيوية عن الأبنية العقلية اللاواعية إلا أن البنيوية تركت آثارها والتى تتمثل فيما بعد البنيوية .. ومن أعلام ما بعد البنيوية :

جاك دريدا ودراسته عن الكتابة بوصفها علم العلامة المكتوبة ، وجوليا كرسيتيفا التى تطرح الإمكانات الثورية للسيموطيقا وغيرهما .

هذه هى البنيوية وما تمثله من فكر مادى علمانى له مفاهيمه ومعطياته فى مجال الأدب والفن والعلوم الإنسانية وله نظرة أو موقف من الكون والحياة والإنسان تختلف عن الموقف الإسلامى .

فنظرة الإسلام أو الموقف الإسلامى من الإنسان أن المولى عز وجل هو الذى خلقه وعلمه الأسماء كلها، فأول ما نزل من القرآن الكريم على رسولنا ﷺ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾(١) .

فسورة العلق وهى أول ما نزل من القرآن الكريم تبين أن الله عزوجل هو الذى علم الإنسان ، فهو سبحانه لم يخلق الإنسان ويتركه بل وضع له المنهج ، وهو منهج شامل يشمل الكون والحياة والإنسان .

والله عز وجل لم يخلق الإنسان فى هذا الكون عبثاً ولا صدفة ، يقول تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾(٢) وأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لغرض وغاية وهى عبادة الله سبحانه وتعالى ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(٣) .

(١) سورة العلق الآيات من ١ - ٤ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ١٥٥ .
(٣) سورة الذاريات ، الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

والإنسان فى الدين الإسلامى هو خليفة الله فى الأرض ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

ومما سبق يتضح ما يلى :

أولاً : أن الأهداف الكبرى التى وصفها ليفى شتراوس ورفاقه من البنيويين تحلق فى سماء الفكر العقلى اللاواعى وهى مجالات تدغدغ الفكر العقلى وتخدعه كما تدغدغ الإحساس والعواطف وهذا هو سر الشغف والتعلق بهذه الأفكار وخاصة أنها وعدت بالبحث عن وجود بنى عقلية لاواعية فى مجالات عديدة مثل اللغة والفلسفة والرياضيات والعلوم ، بل وعدت بوجود وحدة إنسانية سوف توحد العالم تنطلق من مفهوم عقلى علمانى مادى لا دينى لا تعترف بالغيبيات .

هذه التطلعات والأوهام العقلية - وهى نوع من خداع العقل العلمانى وما أسهل ما ينخدع العقل العلمانى لأن مرجعيته مادية لادينية -التى ظل يبحث عنها ليفى شتراوس ورفاقه من البنيويين هى تحليق فى أوهام العقل ، فالتفكير العقلى له سحره أيضاً - مثله فى ذلك مثل سحر العواطف - وأحياناً يخدع الإنسان ويدفعه إلى أوهام وتخيلات وفرضيات لا تستند على حقائق ولكنها تستند على مشاعر حسية .

فالتفكير العقلى عندما لا يكون لـه مرجعية ثابتة أحياناً ما ينخدع ويشذ عن المنهج ، بل إنه قد يتوه فى صحراء واسعة لا قرار لها ، وإذا لم يكن هناك ضابط وهداية ورسل وأنبياء وكتب منزلة بها أوامر ونواهى ، وافعل ولا تفعل فكيف تقود الصدفة إلى هذا الخلق والإبداع المدهش !! ؟

إنه خلق وإبداع فى الكون والحياة والإنسان لا يقدر عليه إلا الخالق جل فى علاه ، سبحانه وتعالى .

ولذلك لم يكن غريباً أن تقود هذه الأبحاث المادية العلمانية ليفى شتراوس إلى ميتافيزيقا خالصة فانهالت عليه اللعنات والنقد من كل العلمانيين الذين لا يؤمنون بالغيبيات ولا يؤمنون بالأديان السماوية مما أدى إلى انهيار البنيوية وتبعتها فترة ما بعد البنيوية .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٠ .

وما بعد البنيوية - وهى فى الحقيقة مرحلة التخلص من الأفكار البنيوية - لازالت تمثل أفكاراً يجب التخلص منها - فى عرف منظريها من الغربيين - لأنها تقوم على فرضيات علمانية مادية أيضاً .

إن هناك بعض التحولات فى الفكر الغربى فى العقود الأخيرة - وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية - حيث بدأ الفكر العلمانى المادى يتجه إلى النواحى الروحية بعد أن تبين لهم أن الحياة لا يمكن أن تبنى على النواحى المادية فقط وأن إنسانية الإنسان لا يمكن أن تكتمل إلا بالناحيتين معاً الناحية المادية والناحية الروحية .

ثانياً : الأفكار والفلسفات التى يبدعها المفكرون فى الغرب والتى تخاطب العقل وتدغدغ الأحاسيس وتحلق بالفكر عالياً التى يفخر بها المتغربون والعلمانيون فى بلادنا ويتوهمون أنها خلاصة إنجازات العقل البشرى فى مجالات الأدب والفنون والعلوم الإنسانية مثل الحداثة وما بعد الحداثة ، والبنيوية وما بعد البنيوية وغيرها من الاتجاهات الأدبية والفلسفية تمثل فكراً علمانياً مادياً يمثل الثقافة والمفاهيم الغربية المادية الحديثة ولا يمثل ثقافتنا ومفاهيمنا الإسلامية .

ويجب أن يتنبه الأدباء والمبدعون فى بلادنا أن ما ينقلونه عن المبدعين والأدباء الغربيين على أنه يمثل مفاهيم لنا - دون نقد أو تمحيص ودون بيان مافيه من موافقة أو مخالفة لمفاهيمنا الإسلامية - يمثل خطورة كبيرة على هويتنا الثقافية الإسلامية فى عصر العولمة .

لا مانع مطلقاً من الاستفادة من إبداع الآخرين فى المجال الأدبى والمجالات الأخرى إذا كان فيه ما يفيد ولا يخالف مفاهيمنا الثقافية الإسلامية .

أما خلط الأمور واعتبار هذا الإبداع الغربى العلمانى إبداعاً للبشرية جمعاء والقيام بتقليده والنسج على منواله - وهو مانراه الآن يملأ الساحة الأدبية - واعتباره ممثلاً للأدب الذى يحمل هويتنا الثقافية ، فهو بما يمثله من تجهيل وإيغال فى الإبهام وعدم الوضوح يعتبر تزييف للوعى وهى أساليب عفى عليها الزمن ولاتصح فى عصر العولمة إلا الشفافية الوضوح والصدق .

ثالثا : المشكلة عندنا وليست عندهم :

الأدب الإسلامى يختلف عن الأدب العلمانى ، وليس فى النواحى الجمالية الفنية ولكن فى النواحى الثقافية كما ذكرنا سابقاً .

فالإنتاج الأدبى - سواء كان شعراً أو قصة أو مسرحية أو مقالة أدبيةأو نقد أدبى أو رواية طويلة - يحمل جوانب فنية جمالية وجوانب ثقافية كما ذكرنا سابقا .

والعلمانيون - سواء فى الغرب أو فى بلادنا - يذكرون ويؤكدون أن الأدب له هدف واحد وهو النواحى الجمالية الفنية التى تحدث الإمتاع وليس للأدب أهداف أخرى كالأهداف الثقافية أو الأهداف الاجتماعية أو الأهداف الأيدولوچية ....

وهذا الرأى يمثل الصدق والحقيقة فى المجتمعات الأوربية والأمريكية وهو يمثل الحقيقة فى الإنتاج الأدبى الذى يبدعه أدباء غربيون للمجتمعات الغربية.

أما هذا الرأى فى المجتمعات الإسلامية فهو نوع من الجهل أو التجهيل يقصد به تزييف الوعى كيف يكون ذلك الرأى صادقاً فى المجتمعات الغربية ويعد غير صادق أو نوع من الجهل أو التجهيل فى المجتمعات الإسلامية ؟

لأن الفكر العلمانى المادى فى دعوته التى تقول : أن لا هدف للأدب إلا النواحى الفنية الجمالية فقط يسير على مفاهيم ثقافته المادية وأن الأدباءالغربيين يسيرون حسب مفاهيم ثقافتهم العلمانية المادية فى إنتاجهم الأدبى فإنتاجهم الأدبى كله - وليس بعضه - يحمل مفاهيم الثقافة العلمانية المادية ، فليس هناك خلط للثقافة العلمانية المادية كما هو موجود عندنا .

كل الإنتاج الأدبى فى الغرب يحمل مفاهيم الثقافة العلمانية فليس هناك فى المجتمعات الغربية - سواء فى البلاد الأوربية أو الأمريكية - صراع بين ثقافتين فى المجتمع الواحد .

إن سيادة وسيطرة الثقافة العلمانية المادية فى المجتمعات الأوربية أدى إلى سيادة وسيطرة الأدب الأوربى الذى يحمل المفاهيم العلمانية ، فالمجتمع الأوربى والأمريكى يحمل المفاهيم العلمانية والإنتاج الأدبى والأمريكى يحمل المفاهيم العلمانية ، ولذلك عندما يطرح الأدباء والمفكرون - فى أمريكا وأوربا - الرأى القائل بأن الأدب ليس له هدف سوى الهدف الفنى الجمالى فإن الأدب الذى ينتجه بالفعل قد حقق الهدف الثقافى ، فكل الإنتاج الأدبى الأوربى والأمريكى قد حقق الهدف الثقافى المادى العلمانى فالثقافة فى المجتمعات الأوربية والأمريكية لها مفاهيم علمانية والإنتاج الأدبى الغربى يحمل المفاهيم العلمانية بالفعل أى أن الإنتاج الأدبى الأوربى يحمل مفاهيم هويته

العلمانية أما الإنتاج الأدبى الذى ينتجه الأدباء العلمانيون فى بلادنا تقليداً للغرب - يحمل المفاهيم العلمانية ولا يحمل المفاهيم الإسلامية .

فالأدباء العلمانيون فى بلادنا ينتجون أدباً يحمل المفاهيم العلمانية لمجتمعاتهم الإسلامية مما أدى إلى انفصام خطير بين النخب العلمانية والمجتمعات الإسلامية ، فالمجتمعات الإسلامية ترفض الإنتاج الأدبى العلمانى وتعتبره محرماً لأنه يعبر عن مفاهيم مخالفة للهوية الإسلامية حيث تنتشر فى هذا الأدب العلمانى العربى التبذل والانحلال الجنسى والخلقى فهو يعالج الموضوعات من مفهوم علمانى مما أدى إلى رفض المجتمعات الإسلامية لهذا الإنتاج الأدبى ومن هنا نشأت مشكلة المثقفين العرب كما ذكرنا سابقاً .

فالإنتاج الأدبى العلمانى عندما يطرح الرأى القائل : أن لا هدف للأدب إلا النواحى الفنية الجمالية فقط فهو قد حقق هدفه الثقافى وجاء كل إنتاجه الأدبى - وليس بعضه - يحمل مفاهيم ثقافته العلمانية فليس عندهم فى أوربا وأمريكا مشكلة ثقافية فالمشكلة الثقافية موجودة فى المجتمعات الإسلامية حيث الإنتاج الأدبى يحمل بعض المفاهيم الإسلامية ، والبعض الآخر - وهو الغالب الأعم- يحمل المفاهيم العلمانية مما أوجد انقساماً وصراعاً فى المجتمعات الإسلامية وظهرت الدعوة إلى التمسك بالأدب الإسلامى وسيادته فى المجتمعات الإسلامية مثلما أن الأدب العلمانى يسود ويسيطر فى المجتمعات الغربية العلمانية .

إن الانقسام والتمزق الذى يحدثه العلمانيون فى المجتمعات الإسلامية أمر خطير فى عصر العولمة وسوف يعمل على تأخر المجتمعات الإسلامية وانقسامها ثقافياً .

ولتصوير هذه المشكلة :

لنفترض جدلاً أن الإنتاج الأدبى الإسلامى ظهر ثم انتشر فى المجتمعات الغربية - مثل الدول الأوربية أو الأمريكية - وساد وسيطر فى نصوص وإبداع الأدباء الغربيين فماذا ستكون النتيجة ؟

إن فتاتين مسلمتين فى إحدى مدارس البنات فى فرنسا ارتدتا غطاء الرأس الإسلامى- الحجاب - فهاجت وسائل الإعلام الفرنسية ورفعت القضايا بعد أن طردت الفتاتان من المدرسة .

وعندما يسود ويسيطر الأدب الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية وينحسر الأدب العلمانى فى المجتمعات الإسلامى عندئذ سوف نقول أن أدبنا قد حقق غايته الثقافية ولم يعد هناك مشكلة فى هذا المجال ، والواجب عليه إن يكون هدفه الفنى الجمالى هو الهدف فقط لأنه يتمسك بالمفاهيم الثقافية بتلقائية ، فكل أديب عندما يبدع إنتاجاً أدبياً أصبح يتمسك بمفاهيم ثقافته الإسلامية بتلقائية ودون افتعال أو جهل أو تجهيل .

إن التمزق الذى تعيشه بعض المجتمعات الإسلامية الآن يرجع - إلى حد كبير - لعوامل الفرقة والتباعد التى أحدثها العلمانيون فى المجتمعات الإسلامية وما أحدثوه من تمزق ثقافى وتمزق اجتماعى وتمزق سياسى .

إن فرض الإنتاج الثقافى الذى يحمل المفاهيم العلمانية على المجتمعات الإسلامية فى ظل العولمة خطر كبير يجب التنبه إليه وتصحيحه .

رابعاً : اختلطت الأمور على القارئ الغير متخصص فهو يقرأ القصة أو قصيدة الشعر أو المسرحية ويعجب بها أو يرفضها ويقول إنها كلها انحلال وعرى أو لا يستطيع أن يتبين ما فيها لأنها مبهمة وغامضة أو يرفض قراءة الأدب عموماً درءًا للمفاسد ، هذا الخلط الموجود فى الإنتاج الأدبى يمكن أن نضعه أمام المعايير التى أوردناها سابقاً لنعاير بها الأدب لنعرف انتماءه الثقافى ، فتلك المعايير التى ذكرتها فى النظرية الثقافية الإسلامية يمكن عن طريقها :

١ - معرفه انتماء العمل الأدبى هل ينتمى للثقافة الإسلامية أم إلى الثقافة العلمانية أم أنه اختلطت فيه الأفكار ؟

وهو ما تعمدإليه الثقافة العلمانية أحياناً خلط عمل صالح بآخر فاسد .

٢ - هل يتمسك بمفاهيم الثقافة التى ينتمى إليها ؟

٣ - الحكم على العمل الأدبى من الناحية الجمالية الفنية ومدى صلاحيته من هذه الناحية ، لأن أى عمل أدبى لا يتميز بالنواحى الفنية الجمالية لا قيمة له .



خاتمة

إن سر العولمة هو التنافس الحر بين مراكز الصناعة والزراعة والبحوث العلمية والمراكز المعلوماتية والخدمية ... وكذلك بين الشركات سواء كانت شركات أفراد أو شركات عامة أو شركات عابرة للقارات ...

فالتنافس هو سر نهوض الدول النامية فى فترة زمنية وجيزة مثل دول النمور الآسيوية كسنغافورة وكوريا وماليزيا واندونيسيا والصين وهى الدول التى نهضت فى مدة عقد واحد أو عقدين وقضت على خرافة نظرية التطور أو التقدم الحضارى والصناعى التى حاول بها الاستعمار أن يغزو البلاد الأخرى فكرياً وثقافياً وشايعه فى ذلك تلاميذه من العلمانيين من أهل البلاد ، وأثبتت بالفعل أن التقدم الصناعى والتقدم فى المجالات الأخرى يعتمد على الإدارة والتكنولوچيا .

إن تهيئة الظروف لكى يكون التنافس فى بيئة عادلة متكافئة ولكى يكون تنافساً حراً ليس فيه تحيزاً أو محسوبية أو فساد ولكى يكون شفافاً واضحاً بعيداً عن الغموض والتعمية ، يتطلب إجراءات معينة وإعداد المصانع والشركات وإعداد الهياكل الإدارية والتنظيمية فى الدولة ومصادر الإنتاج إعداداً جيداً وهذا يستلزم استعداد مصادر الإنتاج والمصانع للتطوير والتجديد والتحديث فى ظل المنافسة الشرسة التى تتيحها العولمة . إن إعمال المنافسة وتعزيزها في النظام الاقتصادى ليست وقفاً على النظام الرأسمالى فقط فهى من المكتسبات الفطرية الطبيعة التى كانت سائدة فى العصور المختلفة ، كما كانت سائدة ومنتشرة طوال التاريخ الإسلامى بالإضافة إلى حرية الانتقال والتنقل لرؤوس الأموال والبضائع والصناعات والأفراد فى سائر بلاد العالم الإسلامى الشاسعة . إن المنافسة الاقتصادية التى أتاحتها العولمة لها قوانين ونظم تفرضها منظمة التجارة العالمية ومن أراد أن ينضم إلى منظمة التجارة العالمية عليه أن يلبى الشروط .

وكان للشركات عابرة القارات دور مهم فى سرعة النمو الاقتصادى فى ظل العولمة، فهذه الشركات عندما تنشئ مراكز لها فى الدول المختلفة فهى تنشئها فى الدول والأماكن التى تكون فيها تكلفة الإنتاج رخيصة - عمالة رخيصة ومواد خام رخيصة وتقدم تكنلوچى - وتقوم بتوزيع الإنتاج عبر منافذها المنتشرة فى أنحاء العالم .

والملاحظة المدهشة التى ظهرت فى السنة الأخيرة هى أن النمور الأسيوية التى نهضت فى فترة عقد أو عقدين عندما أصابتها الأزمة الاقتصادية وانهار اقتصادها عام ١٩٩٧ م وظن كثير من الخبراء والاقتصاديون أن تعب عقد أو عقدين تبخر وانهار فى عدة أيام إذا بها تعود للنهوض والتقدم فى سرعة عجيبة فى مدة لا تتجاوز عام أو عامين .

فمثلاً نسبة النمو فى ماليزيا أصبحت أكثر من ١٠٪ عام ١٩٩٩م بعد أن وصلت صفراً سنة ١٩٩٧ وقت الأزمة الاقتصادية .

أى أن الازدهار الاقتصادى والنمو والتقدم الذى أحدثته العولمة هو ازدهار ونمو دائم وتقدم حقيقى ، حتى لو انهارت الشركات الأجنبية ورحلت عن البلد التى حلت به الكارثة فإن الأثر الذى تتركه والمتمثل فى المعلومات والخبرات البشرية هو الثروة الحقيقية التى تحققت ، أى أن القيمة الحقيقية أصبحت فى المعلومات وتكنولوچيا المعلومات وليس فى رأس المال أو المواد الخام أو الإنتاج .

إن اقتصاد المعرفة الجديد كان من أسباب التقدم الذى أتاحته العولمة لماله من أثر كبير على الاقتصاد القديم وعلى مجمل الاقتصاد .

إن العولمة لها سلبيات وإيجابيات ولكن الخطر الحقيقى للعولمة هو خطر ثقافى .

إن خطر العولمة على هويتنا وثقافتنا هو خطر مزدوج ويتمثل فى المجال الثقافى وفى مجالات الحضارة أيضاً مثل النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد ناقشنا فى هذا المجال الخطر الثقافى للعولمة والمتمثل فى خلط الثقافات وعدم وضوح الحدود بينها واختلاط الأمر على الأفراد الغير متعلمين وعدم التمييز بين الإنتاج الثقافى الذى يمثل مفاهيم ثقافتنا الإسلامية والإنتاج الثقافى الذى يحمل المفاهيم العلمانية الغربية المادية الحديثة .

وتم وضع معايير ثقافية نعاير بها الإنتاج الثقافى - سواء كان إنتاجاً أدبياً أو فنياً - لنميز انتماءه الثقافى بمعنى هل ينتمى هذا الإنتاج للثقافة الإسلامية أو الثقافة العلمانية المادية أو الثقافة البوذية أو الثقافة الهندوسية ، وكذلك لنعرف مدى تمثيل هذا الإنتاج للمفاهيم الحقيقية لثقافته التى ينتمى إليها وهل هو إنتاج مختلط من ثقافات مختلفة من عدمه ؟

وهو ما نطلق عليه النظرية الثقافية الإسلامية للأدب والفنون وهو محاولة لإيجاد نظرية إسلامية للأدب والنقد الأدبى والفنون وأوضحنا مقاييسها التى تستخدم في المعايرة والقياس وهى معايير فنية جمالية مشتركة بين الثقافات ومعايير ثقافية تميز اختلاف الثقافات .

وضربنا لذلك أمثلة لتطبيق تلك المعايير فى الفنون الإسلامية - الأفلام الإيرانية - وفى الأدب الإسلامى .



المـراجـع

■ **المراجع العربية :**

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخارى . طبعة دار الشعب .

٣ - محمد إبراهيم مبروك ومجموعة من الكتاب والمفكرين . كتاب : الإسلام والعولمة . الدار القومية العربية .

٤ - دكتور أحمد فؤاد باشا . كتاب : الإسلام والعولمة ومفاهيم وقضايا كتاب الجمهورية.

٥ - دكتور محمد عبد القادر حاتم . وزير الإعلام السابق كتاب : الدعوة الإسلامية وأجهزة الأعلام ، دعوة مستقبلية . الهيئة المصرية العامة للكتاب عام١٩٩٦م.

٦ - د . نجيب الكيلانى كتاب : مدخل إلى الأدب الإسلامى . كتاب الأمة بقطر١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧ - الإمام أبو حامد الغزالى كتاب إحياء علوم الدين .

٨ - شيخ الإسلام محمد بن الوهاب كتاب الأصول الثلاثة .

٩ - دكتور محمد محمد عبد القادر الخطيب كتاب : دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية . مطبعة الحسين الإسلامية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

١٠ - مالك بن نبى كتاب مشكلة الثقافة . ترجمة دكتور عبد الصبور شاهين دار الفكر ١٩٦٩م .

١١ - دكتور عبد الحليم محمود : كتاب القرآن والنبى دار المعارف ١٩٨٥ طبعة ثانية .

١٢ - دكتور محمد الجوهرى : كتاب النظام السياسى الإسلامى والفكر الليبرالى . دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٩٣م .

١٣ - دكتور محمد الجوهرى حمد الجوهرى : كتاب : الثقافة العربية والحضارة والإسلامية . دار الأمين بالقاهرة ١٩٩٨م .

١٤ - عباس خضر كتاب القصة القصيرة فى مصر نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م ، الدار القومية للطبع والنشر القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٩٢ م .

١٥ - دكتور بدوى طبانة كتاب نظرات فى أصول الأدب والنقد شركة عكاظ للنشر والطبع ١٩٨٣م .

١٦ - دكتور يوسف نور عوض كتاب نظرية النقد الأدبى الحديث دار الأمين للطبع والنشر . القاهرة ١٩٩٤م

١٧ - إديث كريزويل كتاب عصر البنيوية ترجمة دكتور جابر عصفور دار سعاد الصباح ١٩٩٣م .

١٨ - فرنسيس فوكوياما كتاب : نهاية التاريخ وخاتم البشر مركز الأهرام للترجمة والنشر . القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٩ - ول وإيريل ديورانت مجموعة كتب قصة الحضارة . ترجمة نخبة من المترجمين . الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية .

٢٠ - شبكة الإنترنت عدة مواقع عن العولمة وعن الثقافة .

٢١ - دكتور حامد طاهر كتاب الأدب الإسلامى . دار غريب بالقاهرة .

٢٢ - فاروق شوشة كتاب : لغتنا الجميلة . الطبعة الأولى ١٩٧٣م طبعة مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩م .

■ المراجع الأجنبية :

1 - Grolier Academic Encyclopedia (Also Published under the tittle : Academic American Encyclopedia) .

2 - Terance Hawkes, Structuralism and Semuiotics (Berkeley : University of California 1977) .



■ **كتب للمؤلف :**

١ - النظام السياسى الإسلامى والفكر الليبرالى دار الفكر العربى القاهرة ١٩٩٣م.

٢ - الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ١٩٩٨م دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة .

■ **كتب تحت الطبع :**

١ - الجاسوس والزمن الجميل (قصة) .

٢ - الفنون الإسلامية .



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة ، 24 شارع خيرت - لاظوغلي - السيدة زينب
ت/ف، 00202-7922370 (جمهورية مصر العربية)
4F للكمبيوتر - ت/ف ، 00202-5424630

العولمة والثقافة الإسلامية

ما هي العولمة ؟

هل العولمة هي استعمار جديد ؟

هل العولمة هي الأمركة ؟

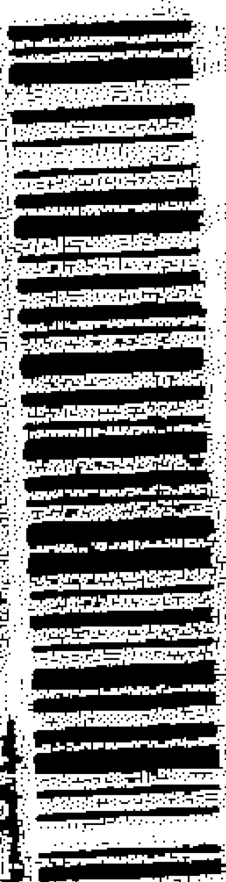
هل هي عولمة أم هيمنة ؟

هل هي حوار الثقافات .. أم صدامها ؟

هل العولمة هي تطور طبيعي للنظام الليبرالي الديمقراطي الغربي الحديث . وهي تمثل فترة ما بعد الحداثة بعد انهيار الحداثة ؟

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أبين كيف بدأت العولمة وتعريف لها ومحاولة إبراز إيجابياتها وسلبياتها ثم مناقشة العولمة والثقافة الإسلامية وحقيقة العلاقة بين ثقافتنا العربية الإسلامية (الثقافة الإسلامية) والإسلام ، وهو أنه لما كان الإسلام هو الرسالة الخاتمة فقد جاء شاملاً جميع جوانب الحياة ومنها جوانب الثقافة والحضارة ، أي أن الثقافة الإسلامية هي جزء من معطيات الإسلام ، وأيضاً الحضارة الإسلامية جزء من معطيات الإسلام . أما الفكر العلماني الغربي فيعتبر المسيحية جزءاً من الثقافة العلمانية .. وفي الفترة الأخيرة بدأت تغييرات حقيقية في الفكر العلماني الغربي إذ بدأت فئات الشعوب الأوروبية والأمريكية تعود للإيمان بالله ولكنه إيمان لا يرتبط بالشعائر المسيحية فهو إيمان [illegible] خلقية علمانية ويبحث عن أي دين ، فأعداد كبيرة تعود للمسيحية [illegible] اليمين الأمريكي ، وهناك من الأمريكيين والأوروبيين من يتساءل [illegible] وبعضهم يذهب للإيمان بالبوذية . ولذا أن نتساءل : هل هي بداية [illegible] العلمانية والهيمنة الأمريكية علينا بإحدى تجلياتها .. أم هي بداية [illegible] العلمانية والعودة للحروب الصليبية ؟

المؤلف





دار الأمين - القاهرة